الحفاظ على الأمن
في منظومة مجلس
التعاون ودور العلماء

الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء

مجموعة من الباحثين

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ:

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م

الأبحاث والأراء المنشورة لا تعبر بالضرورة
عن رأي المركز وإنما عن رأي كُتابها

مقدمة المركز

لا شكَّ أن الهاجسَ الأمنيَّ أخذ يحتلُّ المرتبةَ الأولى على جميعِ الأصعدةِ على مستوى العالم، لاسيما في منطقة الخليج الملتهبة، التي تتصارع على رمالها جميع الدول الكبرى ويتنافس على ثرواتها كل طامع وحاقد. ولقد شاهدنا خلال السنوات القليلة الماضية نشوء العديد من الحركات الإرهابية والمتطرفة التي لم نسمع بها من قبل، وممارستها لأبشع الجرائم بحق الإنسانية من تفجير المساجد والمجمعات التجارية، ونحر البشر، وإشاعة الفاحشة وغيرها من الجرائم البشعة التي يشيب لها الولدان.

هذا ولا يعرف فضائل الأمن إلا من اكتوى بنار الخوف والرعب، وذاق ذلَّ الفوضى والتشرد، وعاش في هذا العالم الذي تجتاحه الفتن والحروب والقلاقل، وأحاط به الخوف والجوع واليأس والاضطراب، دماءٌ تُراقُ، ورقابٌ إلى الموت تُسَاقُ، وفتنٌ عمياء، ومجاعات ويأس قاتل في عالم دبَّت في ربوعه جميع مظاهر اليأس والخوف، وعاش في غابة موحشة وأعمال منكرة وخوف مستمر!!

لقد منّ الله على قريش أن أسبغ عليهم نعمة الأمن في زمن كان الناس يتخطفون من حولهم؛ فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾. (قريش)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾حولهم»(العنكبوت:٦٧). بل جعل الله تعالى عقوبة كُفرانِ

النعم والصدِّ عن سبيل الله تعالى هو فقدان الأمن بقوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾، (النحل).

وقد ربط الإسلام بين السعادة وحيازة الدنيا، وبين الأمن فقال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» أخرجه الترمذي.

كما ربط الإسلام بين الإيمان وعمل الصالحات، وتحقيق الأمن الذي ينشده الجميع، فقال تعالى:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾، (النور).

وإيمانًا من مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية بأهمية التركيز على موضوع الأمن وبيان انعكاساته على جميع نواحي الحياة، فقد أفرد المركز هذه الدراسة المهمة بعنوان (الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء) والتي تتناول الكثير من المواضيع المتعلقة بالأمن على مستوى الخليج العربي والدول العربية، وتربط الدراسة ما بين الإيمان بالله تعالى وتطبيق شريعته، وما بين الإعداد المادي والمعنوي والأخذ بجميع الأسباب الممكنة لتحقيق الأمن.

وقد بدأت الدراسة بفصلٍ كتبه الدكتور وليد سيف النصر بيَّن

فيه القضايا الأساسية لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم؛ لأن أكثر من ضلَّ وانحرف عن جادة الصواب في العالم الإسلامي كان انحرافه بسبب جهله بهذه المفاهيم الأساسية ووضعه للعنف مكان السلم، والشدة مكان التسامح، والتحريض على الأنظمة القائمة، ومحاولة تغيير المنكر بغير الطرق التي أمر الله تعالى بها، فكان لابد من تأصيل تلك المسألة وبيان الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ومن سيرة السلف الصالح في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم كان لابد أن تبين الدراسة موقف علماء الدعوة السلفية الربانيين من الأحداث الجسيمة والفتن الكبيرة التي مرت على دول الخليج وطرق التعامل معها، مثل فتنة جهيمان عام ١٩٧٩م وغزو الكويت عام ١٩٩٠وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وغيرها، وكيف تعامل العلماء الكرام مع تلك الفتن بحكمة وعلم إلى أن أطفأ الله تعالى شرارتها وقد كتب هذا الفصل الشيخ الدكتور محمد الحمود النجدي.

بعدها جاء فصل كتبه الدكتور فهد الشليمي حول خطط الجماعات الإرهابية في تجنيد الشباب (الآلية وكيفية المواجهة) والذي فصَّل فيه حول العوامل المحفزة للتطرف، وأساليب الأعمال الإرهابية المتوقعة في المستقبل، وأساليب وطرق الوقاية ومكافحة الإرهاب على جميع مستويات الدولة والتنسيق على المستوى العربي.

وكان لابد من الحديث عن الجانب الاقتصادي وعلاقته بالأمن؛

فكتب الدكتور وليد عبدالوهاب الحداد فصلًا بعنوان (العوامل الاقتصادية والإرهاب) بيَّن فيها اهتمام الإسلام بالعوامل الاقتصادية، وضعف الاهتمام بالعوامل الاقتصادية في العالم العربي، وانتشار الفقر، والأسباب الاقتصادية لنشوء الإرهاب.

أخيرًا، كان لزامًا إفراد فصل يتعلق بالعلاقات الخليجية الإيرانية ودور إيران في زعزعة الاستقرار الخليجي وأطماعها في المنطقة وهو ما كتبه الأستاذ إبراهيم المزين وتناول فيه سعي إيران الحثيث للترويج لما يسمى (النموذج السياسي الإيراني) وتأسيس شرق أوسط إسلامي بقيادة إيران، وبيَّن الباحث علاقات إيران بالربيع العربي والثورات التي قامت في العالم العربي، وسعيها للحفاظ على النظام السوري والدفاع عنه بجميع ما أوتيت من قوة ومال وسلاح، ثم موقفها من أحداث البحرين.

لاشك أن هذه الدراسة لا يمكن اعتبارها دراسة شاملة وتغطي جميع الجوانب المتعلقة بالأمن؛ لأن الموضوع واسع وشامل ويتطلب مجلدات كبيرة لتفصيله، ولكن نرجو من الله تعالى أن نكون قد ألقينا الضوء على بعض الجوانب المهمة المتعلقة بموضوع الأمن وأن تكون تلك الدراسة نبراسًا لمن يطلب الفهم الشامل لهذا الموضوع المهم وأن تكون تمهيدًا لمزيد من الدراسات الجادَّة حول موضوع الأمن.

رئيس المركز

د. وائل محمد الحساوي

المبحث الأول

الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون وجهود العلماء

منهج علماء الدعوة السلفية من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إعداد
د. وليد بن سيف النصر

د. وليد بن سيف النصر في سطور

الاسم: وليد محمد نبيه سيف النصر

الميلاد: ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

الجنسية: بحريني

الشهادات والمؤهلات:

- شهادة في تدريس الحديث الشريف.
- إجازات في الكتب الستة وموطأ مالك.
- إجازة في قراءة حفص.
- وإجازة في تفسير ابن كثير.

الخبرات العلمية:

١- إمامة وخطابة بوزارة الأوقاف القطرية أكثر من عشرة سنوات.

٢- إمامة وخطابة ووعظ بالجيش القطري «سلاح الدروع» لمدة أربعة سنوات.

٣- إنشاء مدرسة أيتام ومعهد شرعي علمي مع إدارتهما والإشراف عليهما لمدة ثلاث سنوات.

٤- رئاسة تحرير مجلة الاستقامة بالبحرين.

٥- إنشاء مركز للبحث العلمي، بالبحرين.

٦-إقامة دورات علمية مكثفة في البخاري ومسلم والترمذي.

المؤلفات والتحقيقات:

١- تحقيق كتاب الشريعة للآجري (٤/١) مطبوع.

٢- تحقيق كتاب القضاء والقدر للبيهقي (٢/١)، مشارك في تحقيقه.

٣- تحقيق جزء من الرد على الجهمية من الإبانة لابن بطة (مجلد)، مطبوع.

٤ - شرح أصول السنة للإمام أحمد. (٢/١)، المختصر منه مطبوع.

٥- بحث في الإسبال لغير الخيلاء (مجلد)، مطبوع.

٦- إعلام الأتباع بحقيقة توحيد الاتباع. (مجلد).

٧- الدعوة السلفية بلا تكتلات حزبية ولا طوائف سياسية (مجلد).

٨- شرح صحيح كتاب: الشريعة (٥/١).

٩- جهود العلامة الألباني في توحيد العبادة (٣/١)، مطبوع.

١٠ - جهود العلامة العباد في توحيد رب العباد (٢/١).

١١ - جهود العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي في تقرير توحيد العباد (مشارك في إعداده) (٢/١).

١٢- ترتيب تمهيد ابن عبدالبر على أبواب الموطأ مع تخريج الأحاديث وا لآثار. (١٩/١) ولم يكمل التخريج.

وغير ذلك من الكتب والمقالات المتفرقة، وبعض الكتب التي تحت التحقيق والبحث والنشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه....

أما بعد: فلقد رأيت أن أكتب في هذا الموضوع المهم، والذي هو بعنوان: دور (جهود)[1] العلماء في الحفاظ على الأمن ضمن مجموعة دول مجلس التعاون، وقد وقع الاختيار على المحور الثالث لأكتب فيه، بما فتح الله تعالى، وهو: «منهج علماء الدعوة السلفية من قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وذلك بتكليف من مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية المتمثل برئيسه الموقر الدكتور وائل الحساوي حفظه الله، بدولة الكويت الحبيبة.

ولا شك أن سعي العلماء السلفيين في الحفاظ على الأمة من الفتن، وعلى الأمن في منطقة دول الخليج، بل في العالم أجمع أمر واضح بيِّن لكل من له أدنى معرفة واتصال بهم، ونصحهم للأمة، حُكَّاماً ومحكومين، أمر يشهد به القاصي والداني، وإبراز هذا الجانب من خلال تلك المحاور يُسهِم في معالجة هذه الأزمة لا سيما في هذه الحقبة، والتي تحتاج إلى مزيد عناية واهتمام وتكاتف للجهود،

١. وأرى أن تستبدل كلمة (دور)، بكلمة (جهود).

وتعاون بين المصلحين، من الأُمـراء، والعلماء والحكماء والفقهاء، والعقلاء، وجميع وسائل الإعـلام، ومراكز البحوث والتوجيه، من حيث التقعيد والتأصيل، والتطبيق والتفعيل.

فلا يُكتفى في حلِّ هذه المعضلة من الناحية العسكرية الأمنية، بل يجب أن تكون ضمن الحلول المطروحة: النواحي الإعلامية، والفكرية والمنهجية؛ لأن تلك العقائد والأفكار المنحرفة راسخة في عقول الكثير، والدعوة إليها لها زمان طويل، وغفلة الكثير من الناس عنها جعلها تستشري في الأمة، رغم توضيح العلماء السلفيين لها لكن هذا التوضيح للشباب كان من خلال الدروس العلمية في المساجد وبعض المؤلفات، والنصائح لولاة الأمر، والفتاوى.

مع علمهم بأنه لا يجوز سكوتهم عن الحق وكتمانه سيما إذا تعين البيان، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «إذا سكتَّ أنتَ وسكتُّ أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟!»[٢].

ومما يؤسف عليه أنه قد افتات على أهل العلم الذين هم أهله، أناس تَزَيَّوْا بِزِيِّهِم، ولبسوا لباسهم وليسوا منهم، وكانوا أبواق فتنة في الأمة، وكانوا سبباً لكثرة الاضطرابات والفساد، ورفعوا شعارات وتكلموا بكلام ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، ودَسُّوا السُمّ في العسل، فاختلطت الأمور على العامة الدهماء، وأسهمت في ذلك بعض وسائل الإعلام المأجورة الفاسدة المفسدة، فكان لزاماً على العلماء المصلحين أن يميزوا أهل الحق من أهل الزيغ والضلال، وأن يوضحوا سبيل المؤمنين، ويحذروا من سبيل المجرمين.

٢. الكفاية للخطيب (٩٢)، فتاوى ابن تيمية (٢٣١/٢٨).

ولقد قام علماؤنا ولله الحمد بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قديماً وحديثاً أَتَمَّ قيام بكل ما أوتوا من حكمة، ونصحوا للأمة حكاماً ومحكومين ولم يألوا فجزاهم الله عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء، وحذروا من سبيل المفسدين، ومغبة الخروج، والمظاهرات، وهذه الفتن، ولكن يجب أن يكون هناك تعاون أقوى فيما بينهم، واجتهاد أكثر من وسائل الإعلام في إيصال أصواتهم للناس عامة، والله غالب على أمره، ونحن على يقين أنه متى انتشر الحق وذاع ينقشع الظلام وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، (النور:١٨)، وقال:﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾، (الإسراء)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)﴾، (سبأ).

واللهَ نسأل أن يوفق الجميع لما فيه مرضاته، وصلاح الأمة، ورفعتها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

خطة البحث

هذا وقد وضعت خطة لهذا البحث، وجعلتها على النحو التالي:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، موزعة على أربعة عشر مطلباً وخاتمة.

المبحث الأول: علماء الدعوة السلفية، والحذر من أدعيائها.

المطلب الأول: صفة علماء الدعوة السلفية.

المطلب الثاني: أثر علماء الدعوة السلفية على الأمة.

المطلب الثالث: أدعياء العلم.

المطلب الرابع: عدم الافتئات على العلماء والتقليل من شأنهم.

المبحث الثاني: موقف العلماء من قضية تغيير المنكر.

المطلب الأول: هل قام علماء الدعوة السلفية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

المطلب الثاني: من ضل في هذا الأصل من أهل البدع؟

المطلب الثالث: موقف العلماء السلفيين من الدعوات المنحرفة الإرهابية.

المطلب الرابع: موقف العلماء من نصيحة الحكام.

المبحث الثالث: تحذير العلماء من السير وراء الدعوات الثورية غير المنضبطة بضوابط الشرع.

المطلب الأول: الخروج وعواقبه الوخيمة.

المطلب الثاني: الثورات نشأتها، والثورة الإصلاحية.

المطلب الثالث: فتاوى العلماء في الثورات والمظاهرات والاعتصامات.

المطلب الرابع: بعض مغالطات الثورات.

المبحث الرابع: حقيقة الربيع العربي وآثاره السيئة على الأمة.

المطلب الأول: حقيقة الربيع العربي (الغربي).

المطلب الثاني: مفاسد المظاهرات والاعتصامات، وما يسمى بالربيع العربي.

المبحث الأول:

علماء الدعوة السلفية..
والحذر من أدعيائها

المطلب الأول: صفة علماء الدعوة السلفية.

المطلب الثاني: أثر علماء الدعوة السلفية على الأمة.

المطلب الثالث: أدعياء العلم.

المطلب الرابع: عدم الافتئات على العلماء والتقليل من شأنهم.

المطلب الأول:

صفة علماء الدعوة السلفية

علماء الدعوة السلفية هم كبار أهل العلم وهم الذين ينبغي أن يصدر الناس عن أقوالهم، وإليهم المرجع في المدلهمات، والنوازل والملمات، والقضايا الكبار، والمسائل العظام، وهم النور الذي تستضيء به الأمة، وهم أعلم الناس بجميع الفقهيات: (فقه الكتاب – فقه السنة – فقه اللغة – فقه الواقع – فقه السنن الكونية – فقه الخلاف....إلخ)، وهم أهل الرسوخ فيها، ووهم أهل الفقه والفهم والاجتهاد في الشريعة، والتمرس فيها، وهم ذوو الخبرة الطويلة، ولديهم بُعد نظر، وبصيرة ودراية، وإلهام وتوفيق وهداية، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللَّه مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[٣]، وقد حاول الكثير أن يقصيهم فأبى الله إلا أن يُعْلِي كلمتهم، ولو كان أكثر الخلق على خلافها.

والعلماء حقاً هم الذين يبلغون الدين الصحيح ولا يبالون بشيء، قال شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فعالم الملة: هو الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالي بما دل عليه الشرع أوافق أهواء الناس أم لم يوافق»[٤]، ويجب على العلماء ما لا يجب على غيرهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والعلماء حقاً بينهم اتفاق ومحبة ووئام؛ فنجد أن الأئمة الكبار

٣. رواه البخاري (١٤٠٠).
٤. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣٠٨/٤).

أمثال العلامة ابن باز؛ وابن عثيمين؛ والألباني رحمهم الله ومن سار على منهاجهم، كلماتهم واحدة في العقيدة والمنهج، والمسائل العظام يذكرني ذلك بكلمة لقوام السنة ابن الأصبهاني رحمه الله حيث قال: «مما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة، من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، يجرون فيها على طريق لا يحيدون عنها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ.

بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبْيَن من هذا؟!، قال تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾، (النساء)[٥]

والخلاصة: أن العلماء حقاً هم السلفيون أتباع الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، وعلى رأسهم في هذا العصر: أئمة الهدى دعاة هذا المنهج الصافي، الذين عُرِفوا به، ودَعَوْا إليه، ولم يتزحزحوا عنه، فكل سُنَّة انتشرت كانت بفضل جهودهم بعد فضل الله تعالى، وكل بدعة أُميتت إنما يرجع ذلك إلى قيامهم بحربها، فلولا فضل الله علينا ثم فضل هؤلاء، لم يُميز الحق من الباطل، ولا عُرِف الرشد من الغي في هذا العصر، وعلى رأسهم: الأئمة الثلاثة المجددون الألباني وابن باز وابن عثيمين رحمهم الله، ومن سلك سبيلهم، من أمثال

٥. الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٣).

العلامة عبد المحسن العباد، والعلامة صالح الفوزان، والعلامة عبدالكريم الخضير ونحوهم، حفظهم الله جميعاً، فليست هذه من الكهانوتية في شيء كما يزعم البعض هداهم الله؛ لأنهم لم يدعوا إلى أنفسهم، ولم يتكلموا في مسألة إلا بالدليل الراجح الصحيح، والحجة والبرهان، فقاموا بالدعوة ممتثلين قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ (يوسف)، فجعلهم الله أئمة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون، وجعلهم أئمة للمتقين، وذلك أنهم أهل علم وحلم، ويقين وهدى، ومن أولي الصبر والبصيرة،، قال ابن القيم: «خِيَارُهُمْ مِنْ أُوتِيَ الْحِلْمَ وَالْعِلْمَ.... فَالْحَلِيمُ لَا يَسْتَفِزُّهُ الْبَدَوَاتُ، وَلَا يَسْتَخِفُّهُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يُقْلِقُهُ أَهْلُ الطَّيْشِ وَالْخِفَّةِ وَالْجَهْلِ، بَلْ هُوَ وَقُورٌ ثَابِتٌ ذُو أَنَاةٍ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ وُرُودِ أَوَائِلِ الْأُمُورِ عَلَيْهِ، وَمُلَاحَظَتُهُ لِلْعَوَاقِبِ تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ تَسْتَخِفَّهُ دَوَاعِي الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ؛ فَبِالْعِلْمِ تَنْكَشِفُ لَهُ مَوَاقِعُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَبِالْحِلْمِ يَتَمَكَّنُ مِنْ تَثْبِيتِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْخَيْرِ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى بَصِيرًا صَابِرًا لَمْ تَكَدْ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ فَقَدْ رَأَيْتَ إِمَامَ هُدًى حَقًّا فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ»[٦]؛ فآثارهم العلمية من فتاوى وكتب نافعة، وتلاميذ فكلهم خير وبركة على الأمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وإن الخير والهدى والحكمة، وإدراك الأمور على حقيقتها والبركة معهم، وقد قال ﷺ: «البركة مع أكابركم»[٧]، وقال عمر بن الخطاب: «قد علمتُ متى صلاح الناس، ومتى فسادهم، إذا جاء الفقه من

٦. إعلام الموقعين (١٥٣/٤).

٧. صحيح: رواه الحاكم وابن حبان (٥٥٩) وغيرهما (الصحيحة/١٧٧٨).

قِبَلِ الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قِبَل الكبير تابعه الصغير فاهتديا»[٨]، وقال الشعبي: «كل أمة علماؤهم شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم»[٩]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: «وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم..»[١٠].

ثم إنهم يبحثون وينظرون إلى المآلات بغير هوى، ولا غش، مع العلم التام بالمصالح والمفاسد، قال ابن الوزير: «معرفة العواقب الحميدة والغاية الغيبية البعيدة، والمرجحات الخفية عند تعارض المصالح والمفاسد»[١١]، وليحذر اتباع الهوى ومآلاته، قال الشاطبي رحمه الله: «ومنْ تتبعَ مآلاتِ اتباعِ الهوى في الشرعياتِ وجدَ منَ المفاسدِ كثيرًا، ولعلَّ الفِرقَ الضالةَ أَصلُ ابتداعهَا اتباعُ أَهوائها، دونَ توخي مقاصد الشرع»[١٢].

ولقد أخذ الله على العلماء الميثاق ببيان الحق وعدم كتمانه، عَنْ قتادة قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ﴾(آل عمران:١٠٧)، هَذَا ميثاق، أخذه الله عَلَى أهل العلم، فمن علم علماً، فَلْيُعَلِّمْهُ الناس، وإياكم وكتمان العلم، فإنَّ

٨. صحيح: جامع بيان العلم (١٠٥٥، ١٠٥٦)، ونصيحة أهل الحديث (١٣)، الصحيحة (١٠٠٣/٦).
٩. مجموع الفتاوى (٢٨٤/٧).
١٠. مجموع الفتاوى (٢٨٤/٧).
١١. إيثار الحق على الخلق (ص٢٦٨).
١٢. الموافقات (٢٩٩/٢).

كتمان العلم هلكة»[١٣]، وقال سفيان: «﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(آل عمران:١٠٧): أَنْ تُنْكِرَ الْمُنْكَرَ، وَتَأْمُرَ بِالْخَيْرِ، وَتُحَسِّنَ الْحَسَنَ، وَتُقَبِّحَ الْقَبِيحَ»[١٤]، لذا نجد أن أهل العلم أظهروا علمهم للخاصة والعامة، لا سيما عند الفتن، نصحاً لهم، وإرشاداً ونطقوا بالحق، ولم تأخذهم في دين الله لومة لائم[١٥]؛ فأهل العلم ثابتون ثبات الجبال الرواسي، كما قال الأول:

---

١٣. صحيح: تفسير ابن المنذر (١٢٥٠).

١٤. صحيح: تفسير ابن أبي حاتم (٤٦٣٣).

١٥. وذلك أنه قد حدثت من بعض من ينتسب إلى الدعوة السلفية، مجاملات كثيرة للعامة والخاصة على حساب الدين، وخاف بعضهم من مواجهة الناس فيما أرادوا من خروج، ومظاهرات ونحوها.

ولم ير هؤلاء أنه يسعهم ترك الخوض في الأمور العظيمة، فولجوها، ومما لا شك فيه أنهم يتحملون عاقبة أفعالهم، وأقوالهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل:٢٥)، فزلة العالم زلة العالَم، فإياك أيها الشيخ أن تفتي الأتباع بغير الحق، وإلا فأنت غاش لهم، يلحقك إثم تلك الفُتيا فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ومن أُفتي بفُتيا بغير ثبت فإنما إثمها على من أفتاه»()، ولا تتابعهم على ما يهوون، ولا أن تزيِّن لهم ما يشتهون، وأهواء الناس لا حدَّ لها، وقديماً قيل: «رضا الناس غاية لا تُدرك»، فكل من أرضى الناس، وأخذه الحماس مع المتحمسين، وكان ممن أعان أو شجع، بل سكت في موضع لا يسعه السكوت فيه فله نصيب من إثم ذلك، أو فساد يحدث بسبب منه مباشر له أو غير مباشر، فله كفل منه، وكل انتشار ورفع لباطل، أو دحض لحق، فإنَّ عليه وزر الوالغين الهالكين فيه لا ينقص من أوزارهم شيئاً، فلا تكن أسوة في السوء والشر، من حيث تريد الإصلاح، وقد ورد عن ابن مسعود قال: «إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإن الرجل لأن يكون تابعاً في الخير خير من أن يكون رأساً في الشر».

صحيح: رواه ابن وضاح (٢٣١)، وابن بطة في الإبانة من طريقين (١٧٦، ١٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٨٦).﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ (الإسراء)، وفي الحديث: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». إسناد صحيح: رواه الدارمي (٢/١٣٢)، صححه العلامة الوادعي في "جامعه" (٥/٣١).

تزول الجبال الراسيات وقلبه... على العهد لا يلوي ولا يتغير ومن أمثلة ثبات أهل العقل والعلم والهدى في الفتن، وأنهم لا يستجيبون للعامة والطغام، ما ورد عَنِ الْعَوَّام، قَالَ: حدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الآجرِّ، عَنْ شَيْخَيْنِ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ رَجُلٍ وَامْرَأَته، قَالاَ: قَدِمْنَا الرَّبَذَةَ فَمَرَرْنَا بِرَجُلٍ أَبْيَضِ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ أَشْعَثَ، فَقِيلَ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ فَعَلَ بِكَ هَذَا الرَّجُلُ وَفَعَلَ، فَهَلْ أَنْتَ نَاصِبٌ لَنَا رَايَةً فَنَأْتِيك بِرِجَالٍ مَا شِئْت، فَقَالَ: «يَا أهلَ الإسلام، لا تعرضوا عليَّ أذاكم، لا تُذلُّوا السُّلطانَ، فإنَّهُ مَن أذلَّ السُّلطانَ أذلَّه اللهُ، واللهِ أَن لَو صلبني عثمانُ علَى أطولِ حَبلٍ، أَو أَطولِ خشبةٍ لَسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ وَاحتسبتُ ورأيتُ أنَّ ذَلكَ خيرٌ لِي، ولو سَيَّرني ما بين الأُفقِ إلى الأُفقِ، أو بين المَشرقِ إلى المغربِ، لَسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ واحتسبتُ ورأيتُ أنَّ ذلكَ خيرٌ لي»[١٦].

فهم ثابتون راسخون، ينظرون بنور الله تعالى، ويبصرهم الله بحقائق الأمور قبل وقوعها.

فالواجب على طلاب العلم وأهله، أن يوجِّهوا الناس إلى ما فيه صلاحهم، وليس العكس،﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾ (الروم)، وقال تعالى:﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾(الحجر)، فالغوغاء وطغام الناس ينبغي أن نحذرهم، كان إسحاقَ بن راهُوَيْه ذاتَ يَوم روَى في ترجيع الأذانِ أحاديثَ كثيرةً ثمَّ روَى حديثَ عَبد اللَّه بْن زيد الأنصاريِّ، وقَدْ أمرَ محمَّدُ بنُ أسلمَ النَّاسَ بالتَّرْجيع فقلتمْ هذَا مبتدعٌ، عامَّةُ أهلِ هذه الكورة غَوغَاءُ، ثمَّ قَالَ: «احذرُوا الْغَوْغاءَ فإنَّ الأَنبيَاءَ قتلتهُمُ الغوغَاء». رواه أبونعيم في «الحلية» (٢٣٨/٩)، فلم يلتفت إلى مخالفتهم لما معه من الحق، وأما اليوم فبعضهم يخاف من مواجهة الناس بما هم عليه، أو مخالفتهم فكانوا بذلك سبباً في إفساد الكثير من الدعوة، ولقد أصابوها في مقتل، فلقد كان عمر رضي الله عنه العالم الفاضل الملهم، كان يجمع للمسألة النازلة أهل بدر والمهاجرين والأنصار، فكيف بهؤلاء، فإلى الله المشتكى.

١٦. رواه ابن أبي شيبة (٣٨٨٥٧)، وسبق نحوه من طرق أخرى غير هذا وبشيء من الاختلاف.

فالمضار والمفاسد ظاهرة جداً لكل ذي عينين، ويعرفها العلماء والعقلاء قبل وقوعها، ولذا حذّر منها العلماء قديماً وحديثاً، لذلك قال الحسن: «إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهل»[١٧].

١٧. صحيح: رواه ابن سعد في طبقاته (١٢٢/٧).

المطلب الثاني:

أثر علماء الدعوة السلفية على الأمة

قال الإمام أحمد في خطبة كتابه في «الرد على الجهمية» في وصفهم: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وقد نصحوا للأمة كما نصح الأنبياء لأممهم، وهم أبصر الناس في الفتن، وعن عبد الرحمن ابن عبد ربِّ الكعبة. قال: اجتمعنا إلى رسول الله ﷺ. فقال: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكرونها، وتجيء الفتن فيرقِّق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة، فلتأته منيتُهُ وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناسِ الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه،...»[18]، فما من بدعة تُحدَث إلا هيأ الله لها من يقوم بقمعها، وورد عن ابن عباس قال: «والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني،

١٨. صحيح مسلم (٤٦/٣).

والله إنه لتحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجلُ إليَّ فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسُّنَّةِ فترد عليه»[١٩]، قال ابن القيم: «وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها، أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها، ويحذِّر المسلمين منها نصيحة لله»[٢٠]، ومن أراد أن يعرف صحة فضلهم وخيرهم من عدمه فلينظر إلى ثمارهم وآثارهم، ومآلات أقوالهم.

فكل خير في دعاة الأمة إنما هو أثر من آثارهم، وبركة من بركاتهم، وكل شر فيهم إنما هو بالبعد عن منهاجهم، وشؤم مخالفة نصائحهم وأقوالهم، فوجب على الناس شرعاً أن يصدروا عن أقوالهم، وألا يخرجوا عنهم وعليهم، وأن يعرفوا لهم فضلهم وخيرهم.

١٩. شرح اعتقاد أهل السنة (١٢)، بسند فيه ضعف.
٢٠. حاشية ابن القيم على مختصر سنن أبي داود (٢٩٨/١٢).

المطلب الثالث:

أدعياء العلم

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾(التوبة)، قوله عزَّ وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، يعني نسوا نعم الله عندهم، فأنساهم شكر النعم، وهؤلاء لا يستحقون نصر الله تعالى لهم لقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (الحج:٤٠).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه)، حتى تختلف التجار في البحر، وحتى تخوض الخيل في سبيل الله ثم يظهر قوم (يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرؤونه) يقولون من أقرأ منا من أعلم منا من أفقه منا؟!»

ثم قال لأصحابه: «هل في أولئك من خير؟»، قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: «أولئك منكم من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار»[٢١]، «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» متفق عليه، وعن أَبي ذَرٍّ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي؟» قَالَهَا ثَلاثًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا

٢١. حسن لغيره: رواه الطبراني وغيره، وهو في «صحيح الترغيب» للعلامة الألباني (١٣٥، ١٣٦).

الذِي غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخوفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَئِمَّةً مُضِلِّينَ»[٢٢]، قال الإمام أحمد واصفاً حال أدعياء العلم والهدى من المبتدعين بأنهم: «يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدَّعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين».

وقال ابن القيم: «قد أقام الله سبحانه لكل عالم ورئيس وفاضل من يظهر مماثلته، ويرى الجهالُ وهم الأكثرون مساجلته ومشاكلته، وأنه يجري معه في الميدان، ولا سيما إذا طوَّل الأردان، وأرخى الذوائب الطويلة وراءه كذنب الأتان، وهدر باللسان، وخلا له الميدان.

فلو لبس الحمارُ ثيابَ خَزٍّ

لقال الناسُ: يا لك من حمارِ!

وهذا الضرب إنما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهلية، قد غرَّهم عكوف من لا علم عنده عليهم، ومسارعة أجهل منهم إليهم»[٢٣].

فالمصيبة تعظم عند تَصَدُّر من ليس بأهل للعلم والاجتهاد في قضايا الأمة العظيمة، مع اعترافه أنه ليس من مجتهدي الأمة، وأنه ليس من الراسخين في العلم، فضلوا وأضلوا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير (صَالِحِينَ

٢٢. حسن لغيره: رواه أحمد(٢١٢٩٧)، وفيه بعض الضعف، وله شاهد رواه أبويعلى (٤٦٦)، وهو ضعيف السند، «السلسلة الصحيحة» (١٩٨٩).
٢٣. إعلام الموقعين (٤/٢٦١).

مُتَمَاسِكِينَ) ما أتاهم (أخذوا) العلم من قِبَل(أصحاب النبي) وأكابرهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم وشرارهم هلكوا»[٢٤]،

وهم أنواع أهل الرأي، وقُصَّاص، وأشباه طلاب العلم، وأنصاف العلماء، ومثقفون، وحزبيون أهل بدع وضلالات.

الرويبضة (أشباه طلاب العلم، والقُصَّاص، والمثقَّفون).

فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سَيَأْتي عَلَى النَّاس سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلم فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[٢٥].

قال شيخنا الألباني رحمه الله: «ونحوه قول عمر رضي الله عنه: «فساد الدين إذا جاء العلم من الصغير، استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير، تابعه عليه الصغير»[٢٦] وما أكثر هؤلاء (الصغار) الذين يتكلمون في أمر المسلمين بجهل بالغ»[٢٧]، وقريب منه قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَزَالُ بِخَيْرٍ مَا اتَّقَى اللَّهَ فَإِذَا حَاكَ فِي صَدْرِهِ شَيْءٌ أَتَى رَجُلًا عَالِمًا فَسَأَلَهُ فَشَفَاهُ مِنْهُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَيوشِكَنَّ أَنْ لَا تَجِدوهُ»[٢٨]، فالقضايا

٢٤. صحيح: رواه عبدالرزاق (٢٠٤٤٦)، واللالكائي (١٠١)، والبيهقي في «المدخل» (٢٧٥) من طريق شعبة عن أبي إسحاق به.
٢٥. صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٢٢٥٣).
٢٦. صحيح: رواه قاسم بن أصبغ بسند صحيح كما قال الحافظ في (الفتح١٣/٣٠١)، (الألباني)
٢٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/١٠٠٣).
٢٨. رواه البخاري (٢٩٦٤).

العامة، وأمور الأمة العظام لا يدخل فيها إلا أهل الفقه والعلم، والحكمة والعقل، فلا يؤخذ الدين والعلم والتوجيه عن الأصاغر، (أهل البدع)، ولا يؤخذ من الصحفيين، ولا المثقفين ولا الحركيين ولا المفكرين، ولا يؤخذ من فاسق ولا منافق وإن كان فصيحاً، عليمَ اللسان، متفيهقاً، حافظاً لكلام أهل العلم، بل حافظاً للنصوص، وفي الحديث: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كل منافق عليم اللسان»[٢٩]، قال ابن الجوزي واصفاً حال هؤلاء: «أخذ هؤلاء يتكلمون فِي تفسير القرآن، وتارة فِي الحديث وتارة فِي الفقه وغير ذلك، وَالله سبحانه لا يخلي الزمان من أقوام قوَّامين بشرعه، يردُّون عَلَى المتخرصين ويبيِّنون غلط الغالطين»[٣٠]، فهؤلاء أضافوا مع جهلهم الهوى، واتباع الظن، والرأي، والتخرص: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)﴾(النجم)، وأكثر هؤلاء مضطربون، ومتخبطون ولا يعرفون بم يستدلون!! وصدق ابْنُ عُيَيْنَةَ: «وَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَشَدُّ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُ الْعِلْمِ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المتكلمون يحتج كل منهم بما يقع له من حديث موضوع أو مجمل لا يفهم معناه، وكلما وجد أثراً فيه إجمال نَزَّله على رأيه»[٣١]، ومعظم المتدينين منهم قُصَّاص، أو أشباه طلاب علم، أو طلاب علم جيدون لكن حملهم الهوى على أن يخوضوا فيما خاض فيه الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

٢٩. صحيح: رواه أحمد (١٤٣)، من رواية عمر، ورواه الفريابي في «صفة المنافقين» (٢٣)، من رواية عمران.
٣٠. تلبيس إبليس (ص٢٩١: ٢٩٣).
٣١. مجموع الفتاوى (٤/٨٢،٨٣).

الله أيضاً: «القُصَاص[٣٢] والجُهَّال ليس في كلام أحدهم تصوير

٣٢. والقُصَّاص: هم الذين يعتمدون في جُلِّ ما يُذَكِّرون به الناس على قصص، وحكايات ليست من كتاب الله تعالى، ولا من سنة النبي ﷺ الصحيحة، وينقلون الضعيف من الحديث، والغرائب والعجائب، التي تجذب العامة والدهماء، والإسرائيليات، أو ما لا يعلمون صحته من الحديث، وفي الحديث: «كفى بالمرء إثماً أن يُحدِّث بكل ما سمع»، (الصحيحة/٢٠٢٥) همُّهم جذب أنظار الناس إليهم، وتكثير المستمعين لهم، والتأثير فيهم، وأكثر كلامهم الْيَوْم فِي توبة الفنانين، وأخبار اللاعبين، وقصصهم، ولا يكادون يذكرون الفرائض، فالأمر كما قال ابن الجوزي: «والواعظ همته ما يزوق به كلامه، ويكثر جمعه، ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه». (صيد الخاطر/ص٣٣٥). ليسوا من أهل العلم والتحقيق، وقد تصلح نيات بعضهم، ولكن عملهم مخالف لعمل خير الناس وهم قرن النبي ﷺ وأصحابه. وهي صفة من صفات الخوارج: هم أهل قصص، وهم أول من أحدثه، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ أَبِي النَّضْرِ: سَأَلَ رَجُلٌ مُحَمَّدَ بْنَ سيرينَ: مَا تَقُولُ فِي مُجَالَسَةِ هَؤُلَاءِ الْقُصَّاصِ؟، قَالَ: «الْقَصَصُ أَمْرٌ مُحْدَثٌ، أَحْدَثَه هَذَا الْخَلْقُ مِنَ الْخَوارِجِ» صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٧٠٧٥)، قلت: وأمثال هؤلاء كثير اليوم كجماعة التبليغ، والخطباء أصحاب الصياح والعويل، والهيجان والتهييج، من أمثال خالد الراشد ونحوه، أو من يسمون بأهل الرقائق، قد اهتموا وشغفوا بها، وتركوا تعليم الناس أصل الأصول، وهو: التوحيد والعقيدة، وبعضهم من أصحاب التفاهات والفكاهات، من أمثال الجبيلان ونحوه، أو أصحاب البرمجة العصبية، وكيف تصبح كذا، ومثل هذه الأمور التي أشهرها السويدان ونحوه هداهم الله جميعاً، وألهوا الشباب المسلم، وصدوهم عن دينهم.

وبعضهم صنف الكتب الحركية والرقائق ونحوها، قال ابن الجوزي رحمه الله: «وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لا تستند إلى أصل، وإنما واقعات تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن".

قال إسحاق بن حية: سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات؟ فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون، وقال ابن الجوزي رحمه الله: ورُوِّينا عن أحمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحبٍ له: لا أرى لك أن تجالسهم.

وعن سعيد بن عمرو البرذعي قال: شهدتُ أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه؟

فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له: في هذه الكتب عبرة!، قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمةَ المتقدمةَ صنفوا هذه الكتبَ على الخطرات

للصواب، ولا تحرير للجواب كأهل العلم أولي الألباب، ولا عنده خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يحسن التقليد الذي يعرفه متوسطة الفقهاء لعدم معرفته بأقوال الأئمة ومآخذهم.

والكلام في الأحكام الشرعية لا يقبل من الباطل والتدليس ما يُنَفَّق على أهل الضلال والبدع الذين لم يأخذوا علومهم من مشكاة النبوة، وإنما يتكلمون بحسب آرائهم وأهوائهم فيتكلمون بالكذب والتحريف فيدخلون في دين الإسلام ما ليس منه وإن كانوا لضلالهم يظنون أنه منه»[٣٣].

الجهلة، وحدثاء الأسنان وأنصاف العلماء المتشبعون بما لم يعطوا:

وهم أشبه ما يكونون بالغوغاء والدهماء فلا ينبغي أن نشيخهم وأن ندخلهم في الأمور العظيمة للأمة، فإنهم يفسدون ولا يصلحون، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ وَهُوَ بِمِنًى، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، (وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لاَ يَعُوهَا، وَأَنْ لاَ يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا) وَإِنِّي أَرَى أَنْ تُمْهِلَ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ وَالسَّلاَمَةِ، وَتَخْلُصَ لِأَهْلِ الفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ وَذَوِي رَأْيِهِمْ،

والوساوس وهذه الأشياء؟!، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبُلي، ومرة بحاتم الأصم، ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع». المنتقى النفيس من تلبيس إبليس (ص٢١٦).

٣٣. الرد على البكري.

(فَيَعِي أَهْلُ العِلْمِ مَقَالَتَكَ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا)»، قَالَ عُمَرُ: «لَأَقُومَنَّ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ»[٣٤]، وقد ورد وصف أمثال هؤلاء الجهلة في حديث النبي ﷺ: «يخرج قوم فِي آخر الزَّمَان أَحْدَاث الْأَسْنَان سُفَهَاء الأحلام يَقُولُونَ من خير قَول الْبَرِيَّة لَا يُجَاوز إِيمَانهم حَنَاجِرهمْ»[٣٥]؛ فالوعاظ والقصاص[٣٦] ونحوهم، لا يجوز أن يتكلموا في أمور العامة، والقضايا المصيرية للأمة، وفي مثل هذه المسائل، التي هي من شأن أهل الحل والعقد، وأهل الشورى والرأي، وأهل العلم، والاختصاص، وأهل الخبرة والحذق في الفنون المختلفة كل في مجاله، ولذلك قال ابن قتيبة: «لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب، وحدّتُهُ، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، فمع السن الوقار والجلالة والهيبة، والحَدَث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه، وأفتى هلك، وأهلك»، فهؤلاء الأحداث، والقصاص، داخلون في حديث «الرويبضة»، دخولاً أولياً؛ فالشباب، والنساء، وقليلو العلم، وأنصاف العلماء، والوعاظ، والمذكِّرون، هم مظنة الرعونة والطيش والعجلة، والعاطفة، والسفه، وعدم إدراك الأمور على حقائقها، فيجمعون بين الجهل الظاهر بالشرع، وبين الاندفاع الشديد، وكذلك هم أداة لينة سهلة يستخدمها

٣٤. رواه البخاري (٣٩٢٨)، (٦٨٣٠).
٣٥. مجموع الفتاوى (٢٢٥/٥).
٣٦. من أمثال العريفي، وخالد الراشد ومن نحا نحوهم من المهيجين، من أصحاب الحماسات.

أعداء الإسلام، لضعف بصيرتهم، فإذا كان الأمر في العهد الأول عهد النور والهدى، والخير والتقى، تكلم بعض الشباب بكلام فيه نوع اعتراض على قسمة رسول الله ﷺ للغنائم، كما ورد عن أنس رضي الله عنه وفيه: «أنهم قالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقام النبيُّ ﷺ فيهم فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقال فقهاء الأنصار: «أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم»، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ...»[٣٧].

أهل البدع والأهواء والحزبيون (أهل كرسي وعلو وفساد في الأرض) فهؤلاء جميعاً، قال الله عن أمثالهم:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾ (إبراهيم)، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولكنهم يخربون بيوتهم بأيديهم.

والكلام على الحركيين والحزبيين والإرهابيين ونحوهم يطول.

ويجب على العلماء أن يقفوا في وجوه هؤلاء بكل قوة وصلابة، كي يميز الحق من الباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان الوقوف في وجوه أهل البدع: «هذا من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون

٣٧. متفق عليه: رواه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).

القلوب ابتداء»[٣٨].

فلينظر في البلاد التي تسلط فيها الروافض وملكوا؛ كسوريا ولبنان والعراق كيف أهلكوا فيها الحرث والنسل، وأفسدوا الدين والدنيا.

وكذا ما تمكن فيه الخوارج وأهل البدع من المتصوفة، حوربت فيه السنة، وقل الخير في الناس، وظهرت البدعة والفساد في الأرض، فكان الأمر كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا للإسلام نصروا ولا للأعداء كسروا»[٣٩].

٣٨. مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٢٣١).
٣٩. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٠٦).

المطلب الرابع:

عدم الافتئات[٤٠] على أهل العلم والتقليل من شأنهم واتهامهم بالمداهنة

قال ابن المبارك: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه»[٤١].

وقال الشوكاني: «إن غالب ما يصدر من المتعصبة من تمزيق أعراض علماء الدين المتمسكين بالسنن الصحيحة الثابتة في هذه الشريعة هو راجع إلى الطعن على الشريعة والرد لما جاءت به وتقليب السننَ بدعاً والبدعَ سنناً، والأخذ على أيدي هؤلاء حتى يَدَعوا ما ليس من شأنهم ويقلعوا عن غوايتهم، ويقصروا عن ضلالتهم واجب على كل مسلم وإذا لم تتناول أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا لم تتناول غيره»[٤٢].

وقد ورد عن بعضهم أنه أساء الظن بأسامة بن زيد رضي الله عنه، وأنه يسكت عن الباطل، فقالوا له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه»[٤٣]، وفي أثر طارق بن شهاب: أتى عتريس بن عرقوب، عبدَ اللهِ بن مسعود،

٤٠. صحيح: أدب الصحبة (٥٢).
٤١. صحيح: أدب الصحبة (٥٢).
٤٢. أدب الطلب (ص٨٧).
٤٣. رواه مسلم (٢٩٨٩).

فقال: يا أبا عبد الرحمن! هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

فقال عبدُ الله بن مسعود: «هلك من لم ينكر المنكر بقلبه، ولم يعرف المعروف بقلبه»[٤٤].

وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمهم الله جميعاً: «ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين: اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع، والعلماء هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان، فلا يتلقى العلم إلا عنهم، فمن زهد في الأخذ عنهم، ولم يقبل ما نقلوه، فقد زهد في ميراث سيد المرسلين، واعتاض عنه بأقوال الجهلة الخابطين، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة، والعلماء هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف، أخذ الدين عن أهله»[٤٥].

وقال أيضًا هؤلاء الأئمة: والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف، رحمهم الله تعالى: «ومما ينبغي التنبيه عليه: ما وقع من كثير من الجهلة، من اتهام أهل العلم والدين، بالمداهنة والتقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه، ولم يدر هؤلاء الجهلة: أن اغتياب أهل العلم والدين، والتفكه بأعراض المؤمنين، سم قاتل، وداء دفين، وإثم

٤٤. صحيح الإسناد: سبق.
٤٥. الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣٣/٩).

واضح مبين، قال تعال:﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾. (الأحزاب: ٥٨).

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من... اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا»[٤٦].

فبعض الناس هداهم الله يطعنون في العلماء، ويقلِّلون من شأنهم، ويضعون من هيبتهم في الأمة، وذلك أنهم رأوا ورع أئمة وعلماء السلف وإقبال الناس عليهم، والتفافهم حولهم، وأن الناس لا يقبلون إلا منهم، ولا يلتفتون إلى هؤلاء أصحاب الحماسات والحماقات، فأرادوا أن ينفِّروا العامة منهم فاتهموهم بما هم منه برآء، بل كانوا هم أحق بهذا الوصف، وتلك التهم من العلماء السلفيين، وخيرة الأمة، فإياك أن تبغض أحداً من علماء الأمة الكبار من السلفيين الربانيين فإن هذا نذير شؤم عليك في دينك قبل دنياك، وعاجلك قبل آجلك، نعوذ بالله من الخذلان وفي الصحيح: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[٤٧]، فإن لم يكونوا هؤلاء أولياء الله فلا نعلم لله ولياً!

قال قتيبة بن سعيد: «إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل وذكر آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع»[٤٨]، وقال أبو حاتم الرازي -رحمه الله-: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[٤٩]، وقال ابن تيمية:«الذين يعيبون أهلَ الحديث ويعدلون

٤٦ الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١٣/٩).
٤٧. رواه البخاري (٦٥٠٢).
٤٨. شرف أصحاب الحديث (ص٧١).
٤٩. عقيدة أبي حاتم الرازي (ص٦٩).

عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب»[٥٠].

ألا فليتق الله شباب متعجلون، أخذتهم الحمية لدينهم -زعموا- فظلموا علماء الأمة وورثة نبينا، واتهموهم بأبشع التهم، وأشنع المقالة، فقالوا علماء سلطة، و..و.. إلخ، ولم يعرفوا لهم قدرهم، الذي أُمِروا أن يعرفوه لهم، وفي الحديث: «ليس منا من لم يُجِلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعَالِمنا حقه»[٥١]، فلا خير في قوم لا يعرفون للعلماء قدرهم ومكانتهم، ولا يعطونهم حقهم من الاحترام والتوقي، قال ابن عساكر رحمه الله: «لُحُومُ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتْكِ مُنْتَقِصِهِمْ مَعْلُومَةٌ، وَمَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ بَلَاهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ»[٥٢].

فإن أخطأ العالم عن اجتهاد فقال بقول زل وأخطأ فيه، وكان الغالب عليه الصواب في نصر السنة، وذم البدعة، وله قدم صدق في نشر الحق، والجهاد في سبيل ذلك، فهؤلاء يشملهم الحديث:»إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر«[٥٣]، فالقاعدة التي جرى عليها علماء الحديث أن العالم الذي كثر خيره، وكثرت حسناته، وإصابته؛ يجب وأن يحترم وأن يعرف له ما أصاب فيه، وأن يدعى له بالمغفرة والرحمة، ولا يُجارى في خطئه، قال ابن القيم رحمه الله: «ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالحة وآثار حسنة، وهو من

٥٠. مجموع الفتاوى (٩٦/٤).
٥١. صحيح: يراجع تخريجه في الصحيحة (٢١٩٦).
٥٢. تبيين كذب المفتري (ص٢٩).
٥٣. متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين»[٥٤].

٥٤. إعلام الموقعين (٢٨٣/٣)، وهناك نصوص كثيرة ونقول تدل عليه لم نذكرها هنا اختصاراً.

المبحث الثاني:

موقف العلماء من قضية تغيير المنكر

المطلب الأول: هل قام علماء الدعوة السلفية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

المطلب الثاني: من ضل في هذا الأصل من أهل البدع؟

المطلب الثالث: موقف العلماء السلفيين من الدعوات المنحرفة الإرهابية

المطلب الرابع: موقف العلماء من نصيحة الحكام

المطلب الأول:

هل قام علماء الدعوة السلفية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

لقد قام علماء السنة من السلفيين قديماً وحديثاً بواجب الأمر بالمعروف والنهي على المنكر حق قيام، وفق قواعد وأصول أهل السنة دونما غلو ولا شطط، وبشروطه المعروفة عند أهل العلم، فمن ذلك ما قرره الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في عقيدته قال:

«وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة».

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله شارحاً كلامه: يرى الشيخ كغيره من أهل السنة والجماعة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران: ١٠٤)،﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. (آل عمران: ١١٠)، وغير ذلك من الآيات.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١)، فجعل من صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذي

لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هذا من المنافقين، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾. (التوبة: ٦٧)، فهم بالعكس، وها هم الآن يأمرون بالمنكر، بل يأمرون بكل منكر، ويدعون إليه، ويدعون المسلمين إلى أن يتخلوا عن دينهم، ويسمون التمسك بالدين تشددًا وغلوًا، فيقولون: لا بد أن يترك المسلمون هذا، ولا بد أن تتمرد النساء ويتركن الحجاب، اتركوا الولاء والبراء واجعلوا الناس سواء ما بينهم فرق. هذا أمر بالمنكر، هم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف دائمًا وأبدًا، عكس المؤمنين فإنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، ولا بد منه في الإسلام، فإذا وجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا علامة نجاة الأمة، وإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا علامة هلاك الأمة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾. (هود: ١١٦)، قليل هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأنجاهم الله من العذاب، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. (الأعراف: ١٦٥)، فلا ينجو إلا أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فهو إما منافق ليس في قلبه إيمان، وإما مؤمن ضعيف الإيمان، وإذا هلك أهل المنكر يهلك معهم؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر بحسب استطاعته؛ ولهذا قال ﷺ: «فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»، وفي رواية: «وليس وراء ذلك من

الإيمان حبة خردل»، فدل على أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هذا هالك مع الهالكين، فلا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تحصل النجاة إلا بوجود هذا الأمر، فإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق على الناس الهلاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقول الشيخ: «على ما توجبه الشريعة»، هذا رد لقول الخوارج والمعتزلة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على ولاة الأمور، وشق عصا الطاعة، وتفريق الجماعة، وسفك الدماء، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا لا توجبه الشريعة، بل تنهى عنه الشريعة، وليس هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم يسمون الخروج على ولاة الأمور، وشق عصا الطاعة، واستباحة دماء المسلمين وتكفيرهم، يسمون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا انحراف في هذا المسمى العظيم، ولهذا يقول شيخ الإسلام وغيره من أهل السنة: «على ما توجبه الشريعة»؛ كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»؛ لأجل ألا يعتقد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما اعتقده الخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون مرتكب الكبيرة من المؤمنين، ويسمون هذا من إنكار المنكر، وهذا خلاف ما توجبه الشريعة، وهو غلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيجب التنبه لهذا، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو كما قال ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»، هذه كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة، فإذا لم تستطع، فأنت لست مكلفًا بذلك، إلا أنك

لا بد أن تنكره بقلبك، وتعتزل أهله وتبتعد عنهم.

أما الذين يحملون السلاح في وجوه المسلمين، ويقولون: هذا هو الأمر المعروف والنهي عن المنكر. فهذا مذهب الخوارج ومذهب المعتزلة أهل الضلال.

فهذا هو القيد الذي أراده أهل العلم بقولهم: «على ما توجبه الشريعة»[٥٥].

ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله: «وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير،.. وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب فهزموا وهُزِم أصحابهم فلا أقاموا ديناً، ولا أبْقَوْا دنيا. والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا.... أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم»[٥٦].

ومما يؤكد ذلك ما ورد عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: مرفوعاً قَالَ ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[٥٧]، قال الشيخ العلامة عبدالله بن حميد معلقا عليه بقوله: «وهذا يدل على كمال هذه الشريعة وتمام

٥٥. شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله/ص١٣٩ وما بعدها.
٥٦. المنتقى من منهاج الاعتدال (ص٢٨٦).
٥٧. رواه مسلم (١٨٤٧)، بهذا اللفظ، ورواه البخاري بلفظ آخر وليس فيه موضع الشاهد.

نضوجها في السياسة وغيرها؛ لأنه متى حصل منابذة للحاكم، لا بد أن ينجم عن ذلك القتل، وخلل في الأمن، وعدم الاستقرار، فيذهب بسبب ذلك الألوف من الأنفس، كما قيل[٥٨]: ملك ظلوم غشوم، خير من فتنة تدوم، وهذا شيء يشهد له التاريخ والواقع، وهناك أنفس شريرة لا يناسبها إلا هذا الوضع، ما لم يضرب عليها بيد من حديد»[٥٩].

وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي أَنْ لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يَنْتَقِصُ دِينَكَ فَقُلْ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، وَدَمِي دُونَ دِينِي، فَلَا تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ»[٦٠].

قال العلامة الألباني رحمه الله معلقاً على مثل هذه الأحاديث: «فلا يجوز الخروج عليهم وقتالهم ليس حباً لأعمالهم، وإنما درءاً للفتنة، وصبراً على ظلمهم في غير معصية لله عزوجل»[٦١].

٥٨. يروى هذا القول عن عمرو بن العاص.
٥٩. الدرر السنية (٢٤١/١٦).
٦٠. إسناده صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣٣٧١١)، والآجري في «الشريعة»، كتابي (صحيح الشريعة/٥٠).
٦١. السلسلة الضعيفة (٨٤٩/١٣).

المطلب الثاني:

مَن ضل في هذا الأصل من أهل البدع؟

قد اشتهر عن الخوارج والمعتزلة من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنهم يريدون به الخروج على ولاة الأمور، فالذي يخرج على الولاة، هذا هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عندهم، قال الشيخ العلامة ابن جبرين رحمه الله: «وقصدهم به الخروج على الولاة إذا أظهروا المعاصي أو الظلم، وقد أكثر العلماء من الرد عليهم، وإبطال قواعدهم وأصولهم»[٦٢].

وقال النووي رحمه الله: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى وُجُوبِهَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَعَلَى تَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا القاضي»[٦٣]، وقال شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله: فقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(النساء:٥٩)

فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة وهي فريضة في المعروف.

والنصوص من السنة تبين المعنى، وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم بالمعروف، لقوله ﷺ: «ألا مَن وَلِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنَّ يداً من طاعة»، وقال

٦٢. شرح لمعة الاعتقاد،ص١٨٨.

٦٣. شرح مسلم للنووي في التعليق على حديث: (١٨٣٤).

عبادة بن الصامت –رضي الله عنه–: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويُسْرنا أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله»، وقال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»، فهذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، وما ذلك إلا لأن الخروج على ولاة الأمور يُسَبِّبُ فساداً كبيراً وشراً عظيماً فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير.

والقاعدة الشرعية المجمع عليها (أنه لا يجوز إزالة الشر بما هو أشر منه بل يجب درء الشر بما يزيله أو يخففه) وأما درء الشر بشر أكثر فلا يجوز بإجماع المسلمين، أما إذا كان الخروج يترتب عليه فساد كبير واختلال الأمن وظلم الناس، واغتيال من لا يستحق الاغتيال إلى غير هذا من الفساد العظيم، فهذا لا يجوز بل يجب الصبر والسمع والطاعة في المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد في تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير، هذا هو الطريق السويُّ الذي يجب أن يسلك؛ لأن في ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأن في ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن في ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر أكثر، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية»[٦٤].

٦٤. مختصراً من علاقة الحاكم والمحكوم (ص٧-١٣)، فيسمع ويطيع للسلطان ولو أخذ الحكم بالتغلب والقوة، واستتب له الأمر، ويأتي قول ابن بطال في هذا، وحجتهم (حديث عبادة) وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها". (فتح الباري١٣/٩).

أما من انحرف منهم فله علينا النصيحة ولا ننزع يداً من طاعة لقوله ﷺ: «... وألا ننازعَ الأمَر أهلَهُ، وإن بَغَوْا علينا، وأن نقولَ بالحق حيثما كان، لا نخاف في الله لَومَةَ لائم» متفق عليه.

قال ابن عبد البر: «لا نخاف في الله لومة لائم»، فقد أجمع المسلمون أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه في تغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره بيده، فإن لم يقدر، فبلسانه، فإن لم يقدر، فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكره بقلبه، فقد أدّى ما عليه، إذا لم يستطع سوى ذلك، والأحاديث عن النبي ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، ولكنها كلها مقيدة بالاستطاعة.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه أنه قال:«أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان».وقال الله عز وجل:﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾(الحج:٧٨)، ولما وجبت مجاهدة الكفار حتى يظهر دين الحق، فكذلك كل من عاند الحق من أهل الباطل، واجب مجاهدته على من قدر عليه حتى يظهر الحق»[٦٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا أمر بالطاعة مع استئثار ولي الأمر، وذلك ظلم منه، ونهيٌ عن منازعة الأمر أهله، وذلك نهي عن الخروج عليه؛ لأن أهله هم أُولو الأمر الذين أمر بطاعتهم، وهم الذين لهم سلطان يأمرون به، وليس المراد من يستحق أن يُولَّى ولا سلطان له، ولا المتولِّي العادل؛ لأنه قد ذكر

٦٥. فتح البر (١/١١٣).

أنهم يستأثرون، فدل على أنه نهي عن منازعة ولي الأمر وإن كان مستأثراً، وهذا باب واسع. انتهى[٦٦].

وأما من خاف على نفسه فليكره عمله بقلبه، وهو معذور فيما وراء ذلك.

وفي أثر طارق بن شهاب: أتى عتريس بن عرقوب، عبدَ اللهِ بن مسعود، فقال: يا أبا عبد الرحمن! هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

فقال عبدُ الله بن مسعود: «هلك من لم ينكر المنكر بقلبه، ولم يعرف المعروف بقلبه»[٦٧].

وقد سئل ابن عباس: آمر إمامي بالمعروف؟، قال: «إن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك»[٦٨]، وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل لمؤمن أن يُذِلَّ نفسَهُ»، قالوا: يا رسول الله! وما إذلاله نفسه؟، قال: «يتعرض من البلاء لما لا يقوم له»[٦٩].

ولذلك يقول ابن خلدون واصفاً حال بعض أصحاب الثورات، يقول: «أصحاب الثُّوَّار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر، والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم

٦٦. منهاج السنة النبوية (٣/٣٩٠).
٦٧. صحيح الإسناد: سبق.
٦٨. صحيح: رواه البيهقي ()، عبد الرزاق (١١/٣٤٨-ح٢٠٧٢٢)
٦٩. صحيح لغيره: له شواهد كثيرة ينظر تخريجه في "السلسلة الصحيحة" (٦١٣).

من الغوغاء والدَّهماء، ويعرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين....»[٧٠]، وقال ابن عبد البر: «لا يلزم التغيير إلا من القوة والعِزة والمنعة، وأنه لا يستحقُّ العقوبة، إلا من هذه حاله، وأما مَن ضَعُفَ عن ذلك، فالفرضُ عليه التغيير بقلبه، والإنكارُ، والكراهة»[٧١].

٧٠. مقدمة ابن خلدون (ص١٥٩).
٧١. الاستذكار (٣٧٥/٢٧).

المطلب الثالث:

موقف العلماء السلفيين
من أصحاب الدعوات المنحرفة

وقال قتادة: «إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير بالمدينة وبالشام وبالعراق وأزواجه يومئذ أحياء والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ولا رضوا الذي هم عليه ولا مالؤوهم فيه بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله ﷺ إياهم ونعته الذي نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بألسنتهم ويشتد والله أيديهم عليهم إذا لقوهم»[٧٢].

وعَنْ سَعيد بْن جُمْهَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: مَا فَعَلَ أَبُوكَ؟ قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الأَزَارِقَةُ، فَقَالَ: لَعَنَ الله الأَزَارِقَةَ: مَرَّتَيْن، أَوْ ثَلاَثًا، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُمْ كِلاَبُ أَهْلِ النَّارِ»، قُلْتُ: الأَزَارِقَةُ وَحْدَهَا أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا[٧٣].

من أصول مذهبهم ذم الاستخلاف:

وينكرون الاستخلاف وولاية العهد، قال البغوي رحمه الله: «واتفقت الأمة من أهل السنة والجماعة على أن الاستخلاف سنة، وطاعة الخليفة واجبة، إلا الخوارج، والمارقة الذين شقوا العصا،

٧٢. تفسير عبد الرزاق (١١٥/١).
٧٣. صحيح: أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١٥٥٣) وأحمد بن منيع.

وخلعوا ربقة الجماعة»[٧٤]، قال ابن بطال: «إن الإمام يجوز له أن يجعل ولاية العهد بعده لرجل،... وقد وردت السنة بمثله، وأجمعت الأمة على استعماله»[٧٥].

ومن أهم ما اشتهروا به:

التكفير بالكبائر أو ببعضها فقالوا: «من عصى الله فهو كافر، واحتجوا بآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾(المائدة)، وقالوا: إنها نص في أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافراً»[٧٦]، وقال القرطبي: «إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين، قال القشيري: ومذهب الخوارج أن من ارتشى، وحكم بحكم غير الله فهو كافر»[٧٧].

ولكنهم لم يجمعوا على التكفير بالكبيرة، كما ذكر عنهم ذلك البغدادي، فهم إذن دركات في مسألة التكفير، فمنهم من يتجرَّأُ، فيكفر بالمعصية، والكبيرة، ومنهم يجعل الحسنة سيئة والسيئة كفراً، فليسوا جميعاً على التكفير بالمعصية.

٧٤. شرح السنة (٨٤/١٠).
٧٥. شرح ابن بطال (٢٢٣/٥).
٧٦. اللباب في علوم القرآن (٣٥٠/٧).
٧٧. تفسير القرطبي (١٩١/٦)، وينظر(أضواء البيان١٣٨/٦).

ومن أصول مذهبهم: الخروج على الحكام والسلاطين:

ويرون الخروج على الأئمة، ويتهجم بعضهم على معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –، وعمرو بن العاص – رضي الله عنه –. ولا يلزم من أن يلحق الإنسان بمذهبهم أن يكفر بالمعصية، فالنجدات مثلاً لا تكفر بالكبيرة، قال أبو المظفر طاهر السفاريني رحمه الله: «النجدات مِنْهُم فَإِنَّهُم قَالُوا: إِن الْفَاسِق كَافِر على معنى أَنه كَافِر نعْمَة ربه فَيكون اطلاق هَذِه التَّسْمِيَة عِنْد هَؤُلَاءِ مِنْهُم على معنى الكفران لَا على معنى الْكفْر وَمِمَّا يجمع جَمِيعهم أَيْضا تجويزهم الْخُرُوج على الإِمَام الجائر»[٧٨]، فهذا فيه أبلغ رد على الذين لا يُدخِلون مجيزي الثورات وأصحاب الخروج، ولو خرجوا بالسيف لا يدخلونهم في جملة الخوارج بحجة أنهم لا يكفرون بالكبائر.

قلت: فذو الخويصرة الخارجي لم يكفر الصحابة ولا النبي ﷺ، ولا أحد، ولكن كان خارجياً بخروجه على السلطان بالكلام، وغلوه في الدين، وكذا الذين خرجوا على عثمان وعلي فهم خوارج سواء كفروهما أم لا، وسواء خرجوا بالسيف أم لا، ولذلك القعدية خوارج، وينظر إلى قول البربهاري رحمه الله: «ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره»[٧٩]، فبمعرفة هذا الأصل، وهذه المسألة يزول كثير من الإشكال، ويمكن أن يكون فيه نصيب من قول الخوارج، أو صفة من

٧٨. التبصير في الدين (ص٤٥).
٧٩. شرح السنة للبربهاري (ص١٢٩).

صفاتها، ولذلك نجد عمر رضي الله عنه، كاد أن يضرب عنق من ظن أن به صفة واحدة من صفات الخوارج، عَنِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لصبيغ لما ضربه: «وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِه، لَوْ وَجَدْتُكَ مَحْلُوقًا لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَلْبِسُوهُ ثِيَابَهُ، وَاحْمِلُوهُ عَلَى قَتَبٍ، ثُمَّ أَخْرِجُوهُ حَتَّى تَقْدِمُوا بِه بَلادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ خَطِيبًا، ثُمَّ لِيَقُلْ: إِنَّ صَبِيغًا طَلَبَ الْعِلْمَ فَأَخْطَأَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِه حَتَّى هَلَكَ وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِه»[٨٠]، فلا يلزم أن تجتمع صفاتهم جميعاً، كما لا يلزم أن يقولوا جميعاً بإنكار الرجم، أو الشفاعة، أو الدجال، أو القول بخلق القرآن أو نحوه، حتى نحكم عليهم بأنهم: خوارج، ولذلك حذرنا النبي ﷺ منهم بصفة واحدة من صفاتهم وهي: «اتباعهم المتشابه من النصوص»، فقال عنهم: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «ومن أصولهم الخروج على أئمة الجور، وكل من ارتكب منهم كبيرة، ولذلك سموا بالخوارج، ومن أصولهم - أيضاً -: التكفير بالكبائر، فمن ارتكب كبيرة فهو كافر. وتخليد من أرتكب كبيرة في النار إلا النجدات في الأخيرين. ولذا سموا وعيديه، ومن أصولهم - أيضاً - القول بخلق القرآن وإنكارُ أن يكون اللهَ قادرٌ على أن يظلم.

وتوقف التشريع والتكليف علي إرسال الرسل، فمن وافقهم في هذه الأصول فهو منهم، وإن خالفهم في غيرها، ومن وافقهم في بعضها، ففيه منهم بقدر ذلك»[٨١].

٨٠. صحيح: رواه الآجري في الشريعة (١٥١).
٨١. فتاوى العلامة عبدالرزاق عفيفي(ص٩٠).

وقال شيخنا العلامة الألباني: عن سفر الحوالي: «يخيل إليَّ أنه يميل إلى مذهب الخوارج، مع أنه يرد عليهم، وغمزني بالإرجاء أكثر من مرة؛ تارة تصريحاً وأخرى تلويحاً، مع إظهاره الاحترام والتبجيل...»[٨٢]، وقال شيخنا العلامة الألباني في وصفهم: «بدا لي أن أسميهم:خارجية عصرية، ولكن من باب:﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ (المائدة)، فأنا لا أرى أن نطلق القول ونقول فيهم: إنهم خوارج إلا من بعض الجوانب وهذا من العدل الذي أمرنا به....»[٨٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «قال بعض السلف: من قال إن الناس هلكوا فهو أهلكهم، ومن قال إنهم ضلوا فهو أضلهم، ومرادهم أن من اشتغل بعيب غيره عن عيب نفسه ففيه شعبة من الخوارج»[٨٤].

قد ابتلوا بالغرور والتعالم حتى زعموا أنهم أعلم من عليٍّ وابن عباس، وسائر الصحابة، وكما جاء في حديث أنس أن أحدهم رأى أنه خير من النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعلي وغيرهم من الصحابة.

وفي الحديث عَنْ أَنَسٍ قَالَ ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ: «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمْ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ»[٨٥]،

٨٢. (السلسلة الضعيفة ٩٤٨/١٤).
٨٣. لقاء الباب المفتوح (٢٨/١١).
٨٤. المصدر السابق
٨٥. صحيح: رواه أحمد (١٢٨٨٦)، وابنه عبدالله في (السنة/١٥٤٧).

وفي الأثر: عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن الاصم قال: «طاف خارجيان بالبيت، فقال أحدُهما لصاحبه: لا يدخل الجنةَ مِن هذا الخلق غيري وغيرك!، فقال له صاحبه: جنة عرضها كعرض السماء والأرض بنيت لي ولك؟!، فقال: نعم فقال: هي لك وترك رأيه»[٨٦].

يسبون الحكام ويستبيحون حرماتهم وحرمات المسلمين.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء﴾ (فاطر:٨) قال: «منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم، لأنهم لا يستحلون الكبائر»[٨٧].

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب»[٨٨].

وقد سئل ابن عباس: آمر إمامي بالمعروف؟ قال: «إن خشيتَ أن يقتلك فلا، فإن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك»[٨٩].

وعن أبي مجلز أنه قال: «سب الإمام الحالقة، لا أقول: حالقة

٨٦. صحيح: رواه اللالكائي (١٢٣٤/٧).
٨٧. تفسير البغوي (٤١٣/٦).
٨٨. صحيح: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» له (٤٧٤/٢)، وحسَّن إسناده العلامة الألباني في تخريجها (١٠١٥)، وله طريق أخرى عند البيهقي في (الشعب٢٠٢/١٣)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٤١)، وقوام السنة في «الحجة» (٤١٧)، وأبونعيم في تاريخ أصبهان (٢٥٨/١)، من طريقين عن أنس به.
٨٩. صحيح: عبد الرزاق (٣٤٨/١١-ح٢٠٧٢٢)، والبيهقي في «الشعب».

الشعر، ولكن حالقة الدين»[٩٠].

ولما سمع أبوبكرة رضي الله عنه رجلاً يقول عند منبر ابن عامر لما قام خطيباً وعليه ثياب رقاق فقال: انظر إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فزجره أبوبكرة، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطانَ الله في الأرض أهانه الله»[٩١].

قلت: فكيف بمن يشتمونهم في المنابر، والصحف، ووسائل الاتصالات، والإعلام المختلفة؟!

لو سأل سائل: ما علاقة أصحاب الثورات بالخوارج، وهل للخوارج أشباه اليوم؟!

الجواب: قال ابن حزم: «يلحق بهم مَن شايعهم على أفكارهم، أو شاركهم في آرائهم في أي زمان»[٩٢]، وذكرت اللجنة الدائمة تعليقاً على حديث الخوارج: «هذا الحديث وما في معناه قاله النبي ﷺ في الطائفة المسماة بـ: الخوارج؛ لأنهم يغلون في الدين ويكفرون المسلمين بالذنوب التي لم يجعلها الإسلام مكفرة، ولهم بقايا إلى الآن، والحكم عام في كل من اعتقد عقيدتهم في كل زمان ومكان»[٩٣]، ولا تستغرب أخي المسلم لو كان لهؤلاء الخوارج أشباه اليوم، فإن كل مبتدع له نصيب من الخروج، قل أو كثر، فجميع الطوائف المبتدعة لديها خروج.

فالصوفية، ينظر ماذا فعلوا من إدخالهم للكفار والغزاة المجرمين

٩٠. إسناده لا بأس به: رواه ابن زنجويه في «الأموال» (رقم٣٤).
٩١. صحيح: رواه الترمذي (رقم٢٢٢٤)، وصححه العلامة الألباني (الصحيحة٥/٢٩٦).
٩٢. الفصل في الملل والنحل (١/١١٤).
٩٣. فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٣٦٩).

إلى بلاد المسلمين، وكفَّروا الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجماعته وقاتلوهم.

وجميع الإمامية والروافض في كل دول الإسلام وتاريخهم في القديم والحديث خروج وتكفير لأهل السنة حتى بدلوا أصل دينهم، فقد كانوا لا يرون الجهاد ولا الصلاة خلف الأئمة حتى يخرج الغائب، الذي لا وجود له في الحقيقة، فلما طالت غيبته اضطروا لتحريف دينهم، فقامت الدولة الصفوية التي تقوم على أساس من القتل لأهل السنة، مع مخالفتها لأصل دينها وعقيدتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «في الصحيحين من حديث أبي سعيد: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم، فإنهم يستحلّون دماء أهل القبلة، لاعتقادهم أنهم مرتدون، أكثر مما يستحلّون من دماء الكفّار الذين ليسوا مرتدين، لأن المرتد شرّ من غيره»[٩٤].

والمعتزلة قديماً وحديثاً هم المعتزلة بقواعدهم الباطلة، وخروجهم على السنة، والأمة والأئمة، وكانوا يقولون: إن المعتزلة هم قعدة الخوارج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «و«الْمُعْتَزِلَةُ» وَعِيدِيَّةٌ فِي «بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ... - وَهُمْ أَيْضًا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ»[٩٥]، ولا تعجب إن قلتَ لك: بل المرجئة خوارج، قال الصابوني: قال أحمد بن سعيد الرباطي: قال لي عبد الله بن طاهر:

٩٤. مجموع الفتاوى (٢٨ /٤٩٧).
٩٥. مجموع الفتاوى (٥٥/٦).

«يا أحمد! إنكم تبغضون هؤلاء القوم أي المرجئة جهلاً، وأنا أُبغضهم عن معرفة؛ إنهم لا يرون للسلطان طاعةً...»[٩٦]، وقال سفيان الثوري واصفاً المرجئة بأنهم من أهل الأهواء المضلة، ثم قال: «وهم يرون السيف على أهل القبلة»[٩٧]، وقال الإمام أحمد رحمه الله: «إن الخوارج هم المرجئة»[٩٨].

والجهاديون وأصحاب الثورات والانقلابات العسكرية: هؤلاء يسلكون سبيل من سبق، ويتعاونون مع الكفار، ونراهم يسيرون في التغيير بسيرة الكفار، وهو في الحقيقة تحقيق للحلم اليهودي في بلاد المسلمين، وتعاونهم مع الرافضة ضد أهل السنة لم يعد خافياً على أحد، وقياداتهم في إيران، وما أحسن ما ذكره الحسن البصري رحمه الله: قال: قاتل رسول الله ﷺ أهلَ هذه الجزيرةِ من العرب على الإسلام، لم يقبل منهم غيره وكان أفضل الجهاد، وكان بعده جهاد آخر على هذه الطغمة في أهل الكتاب﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(التوبة:٢٩)، قال الحسن: «ما سواهما بدعة وضلالة»[٩٩]. يعني ما تزعمه الخوارج، ثم إن من شرط الجهاد أن يقوم به ولاة الأمر والسلطان، قال النبي ﷺ: «الإمام جنة يقاتل من ورائه»[١٠٠]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالْجِهَادُ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا وُلَاةُ الْأُمُورِ»[١٠١]، ولا جهاد إلا بأمير برٍ كان أو فاجرٍ،

٩٦. عقيدة السلف أصحاب الحديث(ص١٠٩)..
٩٧. شرح أصول أهل السنة للالكائي (١٨٣٤).
٩٨. «السنة» له (ص٧٤).
٩٩. رواه ابن أبي شيبة (٤٢٨/٦).
١٠٠. متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٤١).
١٠١. منهاج السنة النبوية (١١٨/٦).

قال ابن قدامة: «لا يخرجون (أي إلى الجهاد) إلا بإذن الأمير لأن أمر الحرب موكول إليه»[١٠٢]، وقال: «وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك»[١٠٣].

فالخوارج ومن كان على شاكلتهم سماهم العلماء وحذروا منهم بالاسم، كتحذير العلامة الإمام ابن باز والعلامة ابن عثيمين من أسامة بن لادن، والفقيه، ونحوهم، وكذلك حذر أئمة العلم المعاصرون من داعش والبغدادي، والظواهري، وجبهة النصرة ونحوهم.

١٠٢. المغني (١٣/٣٣).
١٠٣. المغني (١٣/١٦).

المطلب الرابع:

موقف العلماء من نصيحة الحكام

وقال الإمام البربهاري: «إذا رأيت الرجلَ يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجلَ يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وعلى المسلمين، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين»[١٠٤].

فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[١٠٥].

وقد قال عياض بن غَنْم لهشام بن حكيم: ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان، فلا يُبْدِه علانية، ولكن يأخذ بيده، فإن قبِلَ منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه»[١٠٦].

قَالَ سعيد بن جمهان لابن أبي أوفى: قُلْتُ: فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ وَيَفْعَلُ بِهِمْ وَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا غَمْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: وَيْحَكَ ابْنَ جُمْهَانَ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ إِنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ، وَإِلاَّ

١٠٤. شرح السنة.
١٠٥. صحيح لغيره: ابن أبي عاصم (١١٢٠).
١٠٦. صحيح: رواه أحمد (٤٠٣/٣)، وابن أبي عاصم (ح١١٣٠).

فَدَعْهُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ[١٠٧].

وقريب منه ويؤيده ما ورد عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: لَمَّا ذَكَرُوا مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ الَّذِي ذَكَرُوا أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ أَحْدَثَ هَذَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ فَمَا تَأْمُرُونِي قَالَ: «تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ الرُّومِ وَفَارِسَ إِذَا غَضِبُوا عَلَى مَلِكٍ قَتَلُوهُ، قَدْ وَلَّاهُ اللَّهُ الَّذِي وَلَّاهُ فَهُوَ أَعْلَمُ لَسْتُ بِقَائِلٍ فِي شَأْنِهِ شَيْئًا»[١٠٨]

قلت: وهذا أدعى لقبول النصيحة، ويدل على إخلاص الناصح، أما الإعلان بها فهي فضيحة وليست نصيحة.

قال الشوكاني: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يُظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة، ولا يُذلُّ سلطان الله»[١٠٩].

وقال العلامة السعدي عن نصيحة لولاة الأمر: «واجتناب سبهم والقدح فيهم وإشاعة مثالبهم، فإن فِي ذلك شراً وضرراً وفساداً كبيراً فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، ثم قال: وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سرًا لا عَلَنًا بلطف وعبارة تليق بالمقام ويحصل بِهَا المقصود، فإنَّ هذا مطلوب فِي حق كل أحد، وبالأخص

١٠٧. صحيح: رواه أبو يعلى (٣٤٤٨).
١٠٨. رجاله ثقات (رواه ابن أبي شيبة/ ٣٨٨٤٧).
١٠٩. السيل الجرار (٥٥٦/٤).

ولاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص.

ثم قال: واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس، فتقول لهم: إني نصحتهم وقلت وقلت، فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص وفيه أضرار أخرى معروفة»[١١٠].

١١٠. «الرياض الناضرة» (ص٢٩).

المبحث الثالث:

تحذير العلماء من السير وراء الدعوات الثورية غير المنضبطة بضوابط الشرع

المطلب الأول: الخروج وعواقبه الوخيمة.

المطلب الثاني: الثورات نشأتها، والثورة الإصلاحية.

المطلب الثالث: فتاوى العلماء في الثورات والمظاهرات والاعتصامات.

المطلب الرابع: بعض مغالطات الثورات.

المطلب الأول:

الخروج وعواقبه الوخيمة

إن للخروج على الأئمة عواقب وخيمة، وقد أمر الإسلام بقتال الخوارج بسبب عواقبهم وإضرارهم بالأمن العام للأمة، فأمر الشارع بقتال الخوارج، وعدم قتال أئمة الجور، مهما حدث منهم من ظلم وبغي، فقد قال أبو الحارث الصائغ سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد، وهَمَّ قومٌ بالخروج. فقلت يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء؟ فأنكر ذلك عليهم. وجعل يقول: «سبحان الله! الدماء، الدماء، لا أرى ذلك ولا آمر به. الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة التي يسفك فيها الدماء، ويستباح فيها الأموال، وينتهك فيها المحارم، أمَا عَلمتَ ما كان الناس فيه -يعني أيام الفتنة-».

قلتُ: والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: «وإن كان!! فإنما هي فتنة الخاصة فإذا وقع السيف عمت الفتنة وانقطعت السبل. الصبر على هذا ويَسْلم لك دينُك خيرٌ لك». ورأيته ينكر الخروج على الأئمة وقال: الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به [١١١]. ا. هـ.

وقال شيخ الإسلام مبيناً سبب ذلك: «أمره ﷺ بقتال الخوارج، ونهيه عن قتال الولاة الظلمة وهذا مما يستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله.

١١١. المسائل المروية عن أحمد في العقيدة (٤/٢).

ومن أسباب ذلك أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يقاتِل في العادة إلا لأجل الدنيا يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات وحتى لا يظلمهم فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق الذين قال فيهم: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمته فهو شهيد» لأن أولئك معادون لجميع الناس، وجميع الناس يعينون على قتالهم ولو قدر أنه ليس كذلك العداوة والحرب فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس ودماءهم فهم مبتدؤون الناس بالقتال بخلاف ولاة الأمور فإنهم لا يبتدؤون بالقتال للرعية، وفرق بين من تقاتله دفعاً وبين من تقاتله ابتداء ولهذا هل يجوز في حال الفتنة قتال الدفع فيه عن أحمد روايتان لتعارض الآثار والمعاني.

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة وهذا قتال على الدنيا ولهذا قال أبو برزة الأسلمي عن فتنة ابن الزبير وفتنة القراء مع الحجاج وفتنة مروان بالشام هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا.

وأما أهل البدع كالخوارج فهم يريدون إفساد دين الناس فقتالهم قتال على الدين.

والمقصود بقتالهم أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله فلهذا أمر النبي ﷺ بهذا ونهى عن ذلك، ولهذا كان قتال علي رضي الله عنه للخوارج ثابتاً بالنصوص الصريحة وبإجماع

الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين.

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه ﷺ كان يقسم مالا فجاء ذو الخويصرة التميمي بين عينيه أثر السجود فقال يا محمد اعدل فإنك لم تعدل فقال: «ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ثم قال أيأمنني من في السماء ولا تأمنوني فقال له بعض الصحابة دعني أضرب عنقه فقال: يخرج من ضئضىء هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم» الحديث، فهذا كلامه في هؤلاء العُبَّاد لما كانوا مبتدعين وثبت عنه في الصحيح أن رجلاً كان يشرب الخمر فأتي به إليه مرة فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به النبي ﷺ فقال: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»، فنهى عن لعن هذا المُعَيّن المدمن الذي يشرب الخمر، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله، فعلم الفرق بين العام المطلق والخاص المعين.

وعلم أن أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف ضرراً على المسلمين من أمر أهل البدع الذين يبتدعون بدعة يستحلون بها عقوبة من يخالفهم»[١١٢].

١١٢. منهاج السنة النبوية (٥/١٥٣)، فأهل البدع مشائيم على الأمة، فبدعهم تتزايد، وتنتشر، والساعي بها يزداد تشبثاً بها، ولا جرم أنه يجد أن ما يفعله قربة لله تعالى، فما يزداد بها إلا تمسكاً وصلابة واستمراراً، ومن الحق نفوراً وبعداً وعناداً واستكباراً، وها هي بدع الخوارج منذ عهد عثمان رضي الله عنه إلى أن يخرج الدجال في أعراضهم.
فالناظر في المظاهرات التي كانت تقام لأجل الدنيا والخبز، وما أطلق عليه اسم: (الانتفاضة الشعبية)، أو (انتفاضة الحرامية)، لأنها قامت لأجل الدنيا وباسمها، ما لبثت أن تلاشت وانقشعت، أما الانتفاضات والمظاهرات والاعتصامات الأخيرة في كثير منها يزعم أصحابها أنها لله وفي سبيل الله عز وجل، تعالى الله عن أن يأمر بهذه المنكرات والضلالات، والسفاهات، (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)، فقال تعالى مكذباً لهم قل إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، (الأعراف: ٢٨).

وله حقوق وهي من النصيحة لأئمة المسلمين المذكورة في الحديث، وهي من مقتضيات بيعة أهل الحل والعقد، والقَسَم الذي يقومون به أمامه، وهي لازمة للرعية كلهم فلا يجوز أن يقول أحد: لا تلزمني بيعته، وأني لم أبايعه!، ولا أن يقول: هذا ليس بحاكم شرعي، وأنا غير راضٍ به، وليس هذا بولي أمر لي، وذلك أن الحاكم تثبت له الولاية بسلطانه على أهل الناحية، واستتباب الأمر له، رضي من رضي، وسخط من سخط، ولو تغلب بالقوة تثبت له الولاية بالإجماع.

وقال أبو بكر ابن العربي رحمه الله: «وَجَوْرُ السُّلْطَانِ عَامًا وَاحِدًا أَقَلُّ إذَايَةً مِنْ كَوْنِ النَّاسِ فَوْضَى لَحْظَةً وَاحِدَةً»، قال ابن بطال: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء».

وقال شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «(الإمام) هو ولي الأمر الأعلى في الدولة، ولا يشترط أن يكون إماماً عامّاً للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا ولو تأمَّر عليكم عبد حبشي»، فإذا تأمر إنسان على جهةٍ ما، صار بمنزلة الإمام العام، وصار قوله نافذاً، وأمره مطاعاً، ومن عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإن

وكنت نقلت سابقاً كلمة شيخ الإسلام: «وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَحْوَالِ؛ أَنَّ أَعْظَمَ السُّيُوفِ الَّتِي سُلَّتْ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إلَيْهَا وَأَعْظَمَ الْفَسَادِ الَّذِي جَرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ: إنَّمَا هُوَ مِنْ الطَّوَائِفِ الْمُنْتَسِبَةِ إلَيْهِمْ، فَهُمْ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَى الدِّينِ وَأَهْلِهِ».

لم تكن له الخلافة العامة؛ وبهذا نعرف ضلال ناشئة نشأت تقول: إنه لا إمام للمسلمين اليوم، فلا بيعة لأحد!! نسأل الله العافية ولا أدري أيريد هؤلاء أن تكون الأمور فوضى ليس للناس قائد يقودهم؟! أم يريدون أن يقال: كل إنسان أمير نفسه؟!

هؤلاء إذا ماتوا من غير بيعة فإنهم يموتون ميتة جاهلية والعياذ بالله؛ لأن عمل المسلمين منذ أزمنة متطاولة على أن من استولى على ناحية من النواحي، وصار له الكلمة العليا فيها، فهو إمام فيها، وقد نص على ذلك العلماء مثل صاحب سبل السلام وقال: إن هذا لا يمكن الآن تحقيقه، وهذا هو الواقع الآن، فالبلاد التي في ناحية واحدة تجدهم يجعلون انتخابات ويحصل صراع على السلطة ورشاوى وبيع للذمم إلى غير ذلك، فإذا كان أهل البلد الواحد لا يستطيعون أن يولوا عليهم واحداً إلا بمثل هذه الانتخابات المزيفة فكيف بالمسلمين عموماً؟!! هذا لا يمكن»[١١٣].

وقد قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم، بل يحالون للحكم الشرعي، هذه مسائل يحكمها الحكم الشرعي.

ثم قال: وإذا لم توجد محاكم، فالنصيحة فقط، النصيحة لولاة الأمور، وتوجيههم للخير والتعاون معهم، حتى يحكموا شرع الله.

أما أن الآمر الناهي يمد يده أو يقتل أو يضرب، فلا، لكن يتعاون مع ولاة الأمور بالتي هي أحسن، حتى يحكِّموا شرع الله في عباد الله، وإلا فواجبه النصح وواجبه التوجيه إلى الخير، وواجبه إنكار

١١٣. الشرح الممتع (١٢/٨ وما بعدها).

المنكر بالتي هي أحسن، هذا هو واجبه:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦)، لأن إنكاره باليد أو القتل أو الضرب يترتب عليه شر أكثر، وفساد أكبر بلا شك ولا ريب لكل من سبر هذه الأمور وعرفها»[١١٤].

وسئل سماحته: ما حكم الاعتداء على الأجانب السيَّاح والزوار في البلاد الإسلامية؟

فأجاب رحمه الله: «هذا لا يجوز، الاعتداء لا يجوز على أي أحد، سواء كانوا سيّاحاً أو عمالاً، لأنهم مستأمنون، دخلوا بالأمان، فلا يجوز الاعتداء عليهم، ولكن تناصح الدولة حتى تمنعهم مما لا ينبغي إظهاره.

أما الاعتداء عليهم فلا يجوز، أما أفراد الناس فليس لهم أن يقتلوهم أو يضربوهم أو يؤذوهم، بل عليهم أن يرفعوا الأمر إلى ولاة الأمور، لأن التعدي عليهم تعدٍ على أُناس قد دخلوا بالأمان فلا يجوز التعدي عليهم، ولكن يرفع أمرهم إلى من يستطيع منع دخولهم أو منعهم من ذلك المنكر الظاهر، وأما نصيحتهم ودعوتهم إلى الإسلام أو إلى ترك المنكر إن كانوا مسلمين فهذا مطلوب، وتعلمه الأدلة الشرعية، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١١٥]، وسُئلَ فضيلة الشيخ ابن جبرين: هل يعتبر الاغتيال لمسؤول في الدولة وغيره، نوعاً من الغدر؟ وهل يجوز اغتيال الكافر؟.

فأجاب رحمه الله: لا يجوز قتل الغدر للمستأمن أو المعاهد أو

١١٤. من كتاب: كيف نعالج واقعنا الأليم (ص١٨٢)..
١١٥. مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢٣٩/٨).

الذمي، فضلاً عن المسلم، ففي الحديث: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة». فإن كان المقصود رئيساً أو مسؤولاً كان الإثم أكبر، وذلك أنه قد تعين كرئيس لشركة أو مؤسسة، فقتله فيه افتيات على الدولة، وإذا قدر أنه صدر منه شيء من الأذى فيرفع بأمره إلى المحاكم لينفذ فيه حكم الله تعالى».

فبالجملة إنهم يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان كما جاء وصفهم في حديث الخوارج، بل أخذ هؤلاء في التشبه باليهود والنصارى وأهل الكفر في أمور كثيرة منها أساليب وطرق التغيير، فأول الفتنالخروج على الأئمة، وأولهم عثمان رضي الله عنه، كما ورد عن حُذَيْفَة رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لأصحابه: «أَيُّ الْفِتَنِ تَعُدُّونَ أَوَّلَ؟» فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: «أَوَّلُ الْفِتَنِ الدَّارُ، وَآخِرُهَا الدَّجَّالُ»[١١٦].

وقال أيضاً العلامة الألباني رحمه الله: «فإني أنصح الشباب المتحمس للجهاد، والمخلص: أن يلتفتوا لإصلاح الداخل، وتأجيل الاهتمام بالخارج الذي لا حيلة فيه، وهذا يتطلب عملاً دؤوباً، وزمنا طويلاً؛ لتحقيق ما أسميه بـ (التصفية والتربية)؛ فإن القيام بهذا لا ينهض به إلا جماعة من العلماء الأصفياء، والمربين الأتقياء، فما أقلهم في هذا الزمان، وبخاصة في الجماعات التي تخرج على الحكام!، وقد يزعم بعضهم أنه قد انتهى دور التصفية، فانحرفوا إلى العمل السياسي أو الجهاد، فكم من مخالفات شرعية تقع منهم جميعاً بسبب الإخلال به، وركونهم إلى التقليد والتلفيق، الذي به يستحلون كثيراً مما حرم الله! وهذا هو المثال: الخروج على الحكام؛

١١٦. صحيح: رواه عمر بن شبة (١٢٤٧/٤)، وابن أبي شيبة (٢٥٩١٩)، والخلال في «السنة» (٢٢٤/٢).

ولو لم يصدر منهم الكفر البواح.

وختامًا أقول: نحن لا ننكر أن يكون هناك بعض الحكام يجب الخروج عليهم؛ كذاك الذي كان أنكر شرعية صيام رمضان، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، فهؤلاء يجب قتالهم بنص الحديث، ولكن بشرط الاستطاعة.

لكن مجاهدة اليهود المحتلين للأرض المقدسة، أوجب من قتال مثل ذاك الحاكم من وجوه كثيرة، من أهمها أن جند ذاك الحاكم من إخواننا المسلمين، وقد يكون جمهورهم- أو على الأقل الكثير منهم- عنه غير راضين، فلماذا[١١٧] لا يجاهد هؤلاء الشباب المتحمس

١١٧. وأنا أسأل سؤالاً آخر فأقول: لماذا القاعدة فقط في بلاد المسلمين، ولا يوجد عند اليهود من القاعدة أحد؟!

الجواب عندي هو أن القاعدة هي صنيعة أمريكية صهيونية، وقد صرحت كلنتون بأنهم هم الذين أنشؤوا القاعدة قبل عشرين سنة في أفغانستان، وهي مخترقة اختراقاً كبيراً من المخابرات الأمريكية وغيرها؛ ليوجهوا الشباب ضد حكام المسلمين، وعلى رأس تلك الدول أعظم دولة وأفضلها على الإطلاق حكماً ودعوة وهي: «المملكة العربية السعودية»؛ لأن قيادة الدعوة والدين في الأمة منها، ولو لاحظ الناس اليوم جميع السهام موجهة إليها من أبنائها، ومن خارجها، وهي صامدة ثابتة، على بعض الضعف بها، ولكنها أفضل الدول على الإطلاق ويكفي ثلاثة أشياء بها.

أولاً: دعوة التوحيد والسنة، وليس بها شرك كما هو في عامة بلاد المسلمين.

وثانياً: إقامة الصلاة والأمر بها في جميع مؤسسات الدولة، وإغلاق المحلات لها.

وثالثاً: المحاكم الشرعية، ومشايخ العلم هم القضاة بها.

ولست أدعي أنها خلافة راشدة على منهاج النبوة، فإن الناس لا يستحقون من الله ذلك لظلمهم وفسادهم، كما أشار إليه ابن القيم.

أما القاعدة وأصحاب المنهج التكفيري، فإنهم موجهون من إيران، ويدارون من قبل أجهزة استخبارية مشبوهة، ضد أهل السنة وبلاد المسلمين، وأي بلد أو مكان تريد أمريكا أن تسيطر عليه، فتوجه القاعدة إليه كي يتسنى لها، ويسوغ لها السيطرة عليه، كما فعلوا في أفغاستان، والعراق، ومالي، والصومال، والسودان وغيرها، وتحاول الآن في سيناء بمصر، وفي سوريا.

ومما يعجب منه بعضهم ولست بمتعجب منه ما كتبه بن لادن في وصيته: «على

اليهود، بدل مجاهدتهم لبعض حكام المسلمين؟! أظن أنه سيكون جوابهم عدم الاستطاعة، والجواب هو جوابنا، والواقع يؤكد ذلك؛ بدليل أن خروجهم- مع تعذر إمكانه- لم يثمر شيئاً سوى سفك الدماء سُدى! والأمثلة كثيرة، فهل من مدَّكر؟!»[١١٨].

المجاهديـــن فـــي كل مكان أن يســـتعيدوا أنفاســـهم، وأن يوحدوا صفوفهـــم، ويدعوا الصليبيين، واليهود إلى حين، وأن يتفرغوا لعلماء السوء الذين لا يجاهدون»!!.
وهذا لا يعني أنهم جميعاً عملاء، ولكن بهم شباب صغير مغرر به، وبعض الكبار حمقى يُلْعَبُ بهم من قبل جهات مشـــبوهة، وتأتيهم أوامر من جهات مجهولة هي من أعداء الأمة، والآن في سوريا بدأت تتكشف الأمور وتتضح فإلى الله المشتكى.
١١٨. الصحيحة (٣٤١٨).

المطلب الثاني:

الثورات نشأتها، والثورة الإصلاحية

مبدأ الثورات كان مما سمي بالثورة الإصلاحية التي قام بها مارتن لوثر ضد الكنيسة الغربية الكاثوليكية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي وكذلك الثورة الفرنسية التي قام بها نابليون الأول عام ١٧٨٩م، والتي كانت تنادي بنفس شعارات الماسونية: الحرية، والوحدة، والمساواة والإخاء.

فالثورة: طالما مَجَّدَها الشيوعيون وجعلوها مبدأً يسعون من خلاله للسيطرة على العالم بأسره، ومن قبلهم الفرنسيون كما سبق، والتي قامت ثورتهم على أساس إقصاء الدين، ومحاربته بلا هوادة، ثم تسرب هذا الاسم الإجرامي الإلحادي، وكان ضمن ما غزا به هؤلاء الملاحدة أهلَ الإسلام من غزو ثقافي في جميع مناحي الحياة، وجاء من تبع هؤلاء من أبناء ملتنا الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وصبغوه بالصبغة الشرعية، كما صبغوا الديمقراطية الخبيثة الملحدة وغيرها بهذا.

والثورة عادة داخلية، ضد الحكام، وأما الجهاد فضد أعداء الإسلام، والثورة فوضى، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فله ضوابطه وشروطه، وأهدافه السامية، وهو يظهر الدين ويصلح الله به الأمم، ويعلي كلمة الله، ويأتي بالرزق والخير، وأما الثورات فهي تهدم وتدمر الدين والدنيا، وتأكل الأخضر واليابس.

المطلب الثالث:

فتاوى أهل العلم في الثورات والمظاهرات والاعتصامات

فتوى العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

قال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله (مفتى المملكة السعودية): «ثم التكلم بالاستبداد دائماً سنة الإفرنج، ثم تجد في البلدان التي تنتسب إلى الإسلام إذا نسب عنه قطع اليد في السرقة قالوا: وحشية، وحشية. ويقولون: استبداد، هم لعبوا بالدين والعقائد والنشء كل ملعب، لكن من أجل استيلاء المادة عليهم»[١١٩].

«فهذه سياسة الإسلام للشعوب مع ولاة أمورها، لما يترتب على منازعة الوالي من ذهاب الإسلام، وتسلط الأعداء، وإراقة الدماء، والفوضى، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، كما هو مشاهد الآن في كثير من البلاد العربية وغيرها، كل انقلاب يحدث، يذهب فيه عشرات الألوف من الناس، كما هو مشاهد الآن في مصر، والعراق، وسوريا، واليمن، والجزائر، وغيرها نسأل الله السلامة»[١٢٠].

فتوى العلامة ابن حميد رحمه اللّه:

فتوى العلامة عبدالله بن حميد رحمه الله قال: «الذين يقول في وصفهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «وسائر الناس همج

١١٩. فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/١٧٣).
١٢٠. الدرر السنية في الرسائل النجدية (٢٢/٢٧).

رعاع أتباع كل ناعق»؟! الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فهم أتباع كل ناعق ضد الدين، أتباع كل ناعق ضد السياسة، أتباع كل ناعق ضد الأخلاق وحسن السيرة، أتباع كل ناعق ضد الأمن والطمأنينة، أتباع كل ناعق ضد الملوكية والولايات الشرعية، أتباع كل ناعق بالفتن، أتباع كل ناعق بالحرية المزعومة الغربية، أتباع كل ناعق بسقوط المروءات، أتباع كل ناعق وإن جهلوا غاية الناعق، ومبدأه ومقاصده، كما يقول المفتون في قبره: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

الإسلام يقول: (من أهان إمام المسلمين أهانه الله)، والإسلام يقول: (السلطان ظل الله في أرضه، فمن خرج على الإمام يريد نصرة الإسلام بزعمه فهو كاذب، ما لم يعين ما أخل به الإمام، ويناصحه سراً مراراً، ثم يعلن له ذلك عند العجز عنها في السر.

فتوى العلامة ابن باز رحمه اللّه:

فتوى سماحة الوالد الإمام ابن باز رحمه الله: «الأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق، وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات.

ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شراً عظيماً على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة.

فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت

المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليس هناك طريق أصلح للدعوة من طريق الرسل فهم القدوة، قال تعالى:﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾(الأحقاف:٣٥) الآية»[١٢١].

فتاوى العلامة الألباني رحمه الله:

ونقل فضيلة الشيخ مشهور آل سلمان أقوالاً للعلامة الألباني رحمه الله مفرغاً من أشرطة متفرقة قال عن هذه الثورات التي وقعت في الجزائر: «إنّ هذه جزئية من الكليّة، أخطرها هو هذا الخروج الذي مضى عليه بضع سنين، ولا يزداد الأمر إلا سوءاً».

ويقول في جواب سؤال عن استخدام الثوار للمتفجِّرات التي تودي بحياة العشرات: «جوابنا واضح جدّاً، أنّ ما يقع في الجزائر وفي مصر وغيرهما هو سابقٌ لأوانه أولاً، ومخالفٌ لأحكام الشريعة غايةً وأسلوباً ثانياً»، وقال بعد كلام: «... فكلّ الجماعات التي تدَّعي الانتساب إلى السلف، إذا لم يعملوا بما كان عليه السلف، ومن ذلك ما نحن بصدده أنه لا يجوز تكفير الحكام، ولا الخروج عليهم، فإنما هي دعوى يدّعونها، هذه مسألة واضحة البطلان جدّاً»[١٢٢].

فتوى العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: «وإنما ضيَّق النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، أي: الخروج على الأئمة بهذه القيود التي قد

١٢١. مجموع الفتاوى (٤١٩/٦).
١٢٢. من كتاب: العراق (١١٧/١، ١١٨).

يظنها بعض الناس صعبة؛ لأن ما يترتب على الخروج أشد ضرراً مما هم عليه، وأنتم تشاهدون الآن ما حصل من الثورات، هل كانت الشعوب أسعد بعد الثورة منها قبل الثورة؟ أبداً، بل بالعكس. فالمهم أن ننصح إخواننا المسلمين بعدم التسرع»[١٢٣].

فتوى العلامة صالح ابن غصون رحمه اللّه:

وممن أفتى بتحريم المظاهرات، فضيلة الشيخ صالح بن غصون رحمه الله، كما في كتاب: «الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية» (ص١٨٤)، فقال: «أما أن الإنسان يسلك مسلك العنف أو أن يسلك مسلك والعياذ بالله أذى الناس أو مسلك التشويش أو مسلك الخلافات والنزاعات وتفريق الكلمة، فهذه أمور شيطانية وهي أصل دعوة الخوارج،، ففرق بين دعوة أصحاب النبي ﷺ وسلفنا الصالح وبين دعوة الخوارج ومن نهج منهجهم وجرى مجراهم، دعوة الصحابة بالحكمة وبالموعظة وببيان الحق وبالصبر واحتساب الأجر، ودعوة الخوارج بقتال الناس وسفك دمائهم وتكفيرهم وتفريق الكلمة وتمزيق صفوف المسلمين، هذه أعمال خبيثة، وأعمال محدثة.

والأولى للذين يدعون إلى هذه الأمور يُجانبونَ ويُبعد عنهم ويساء بهم الظن، هؤلاء فرقوا كلمة المسلمين، الجماعة رحمة والفرقة نقمة

١٢٣. لقاء الباب المفتوح (٢١/٤٥)، وله فتاوى كثيرة في هذا الصدد، فالذين قاموا ضد المجرم بشار الأسد، مع إجرام وكفر هذا الباطني الخبيث كلهم الآن ندم على خروجه، وعلى تلك المظاهرات، التي أثمرت عن داعش وجبهة النصرة والضلال، وسفك الدماء، وتدمير البلاد، وعدم أمن السبل، وإخافة الجميع، والفوضى في البلاد، وانتهاك الحرمات، ونهب الممتلكات، وتشويه جمال الإسلام، والصد عنه، واللعب بالأمة، والمتاجرة بالدين والشرف.

وعذاب والعياذ بالله.

لكن أهل البلد الآن أحزاب وشيع، تمزقوا واختلفوا ودخل عليهم الأعداء من أنفسهم ومن بعضهم على بعض، هذا مسلكٌ بدعيٌّ ومسلك خبيث ومسلك جاء عن طريق الذين شقوا العصا والذين قاتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-ومن معه من الصحابة وأهل بيعة الرضوان، قاتلوه يريدون الإصلاح وهم رأس الفساد ورأس البدعة ورأس الشقاق فهم الذين فرقوا كلمة المسلمين وأضعفوا جانب المسلمين، وأن لو ذهب هؤلاء لم يأتِ أحسن منهم، لو ذهب هذا كله، لجاء أسوأ منه فإنه لا يأتي عامٌ إلا والذي بعده شرٌ منه...»[١٢٤].

فتوى العلامة صالح الفوزان حفظه اللّه:

قال العلامة الفوزان حفظه الله: «وهذا حتى عند الكفار، إذا قاموا على ولي أمرهم وخرجوا عليه، فإنه يختل أمنهم ويصبحون في قتل وقتيل، ولا يقر لهم قرار، كما هو مشاهد في الثورات التي حدثت في التاريخ، فكيف بالخروج على إمام المسلمين؟».

فتوى العلامة عبد المحسن العباد حفظه اللّه:

وقال شيخنا العلامة العباد حفظه الله: «لا أعلم في الشرع ما يدل على جواز الاعتصامات والمظاهرات التي استوردها كثير من المسلمين من بلاد الغرب وقلدوهم فيها، ويترتب على هذه المظاهرات

١٢٤. من موسوعة مواقف السلف في العقيدة... لفضيلة الشيخ المغراوي (٣٠٢/١٠).

مفاسد أقلها التضييق على الناس في طرقاتهم، يصاحبها أحياناً مظاهرات مضادة ينتج عنها وجود قتلى وجرحى، وقد ينتج عن ذلك سلب ونهب وإخافة للآمنين، ولا يعني حصولها من بعض المتظاهرين تأييد الشعوب لها، لاسيما إذا كان المتظاهرون لهم توجهات معينة ومآرب خاصة».ا-هـ.

فتوى اللجنة الدائمة:

واللجنة الدائمة أصدرت فتوى[١٢٥]، قالت: «ننصح كل مسلم ومسلمة بالابتعاد عن هذه المظاهرات الغوغائية التي لا تحترم مالاً ولا نفساً ولا عرضاً، ولا تمت إلى الإسلام بصلة، ليسلم للمسلم دينه ودنياه، ويأمن على نفسه وعرضه وماله. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو: بكر أبو زيد، عضو: صالح الفوزان، عضو: عبد الله بن غديان، نائب الرئيس: عبدالعزيز آل الشيخ، الرئيس: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز»[١٢٦].

فتوى العلامة الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله:

قال العلامة تقي الدين الهلالي رحمه الله: «فبشر الشعب الذي أصيب بمثل هذه الثورات بعذاب أليم، ومن يمدح مثلها أو يتمنى حدوثها في وطنه فهو غاش لقومه ساعٍ في هلاكهم». (من كتاب: التقدم والرجعية).

١٢٥. وقد نقلت بعض هذه الفتاوى من رسالة: «حكم المظاهرات» لفضيلة الشيخ عبدالمالك الجزائري حفظه الله.
١٢٦. الفتوى برقم (١٩٩٣٦).

فتاوى لجمع من أهل العلم منهم: (سماحة الشيخ صالح اللحيدان حفظه الله -العلامة عبدالكريم الخضير حفظه الله - فضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله - معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله - فضيلة الشيخ صالح السدلان حفظه الله - العلامة مقبل الوادعي رحمه الله).

والعلامة الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله كما يأتي، ولسماحة الشيخ صالح اللحيدان حفظه الله، فتوى بتحريم ذلك، والعلامة عبدالكريم الخضير حفظه الله قال: «المظاهرات والغوغائيات كلها لا قيمة لها في الإسلام، بل لا يقرها؛ لأنه يندس فيها من يريد الفساد»[١٢٧]، وفضيلة الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله، (ص١٨٧)، ومعالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله، وفضيلة الشيخ صالح السدلان حفظه الله أيضاً، والعلامة مقبل الوادعي رحمه الله، وغيرهم كثير ممن لا يحصون كثرة، ولا أعلم عالماً قط له قدم راسخة في العلم والفقه في الدين، وله أياد بيضاء في خدمة التوحيد والعقيدة والسنة، ونصح للأمة، يقول بِجِلِّها، بل لا أكون مبالغاً لو قلت: إنه لا يوجد عاقل فضلاً عن عالم يجيز المظاهرات، ونحوها، بل حتى محمد الغزالي الإخواني قال: «ولقد راقبت الانقلابات التي وقعت في أرجاء العالم الإسلامي وأزعجني أنها وقعت لمحاربة عوج، وإقرار خير، فإذا العوج بعدها يزيد والخير ينكمش، واهتبل أعداء الإسلام الفرصة فضاعفوا أرباحهم فى بلاده، وإيهانهم لقضاياه حتى لكأنهم كانوا مع هذه الانقلابات على موعد!!.

١٢٧. شرح الموطأ (١٦٧) دروس مفرغة.

وضاع السودان الجنوبى وتحقق حلم الصليبية العالمية التى تسعى وراءه من خمسين سنة، فكسبت ٢٥٠ ألف ميل مربع من الأرض»[١٢٨]، وقريب منه الأستاذ علي جريشة[١٢٩].

١٢٨. قذائف الحق (ص١٨٤)، قد يقول قائل: كيف تنقل عن الغزالي وأنت تعرف منهجه، وتخالفه، أقول: أنا الذي يهمني أن يترك الناس هذا الهراء، وهذه الثورات، ولعل بعضهم يقبل منه، ولا يقبل منا، فبعض الناس قد لا يعجبهم أهل العلم من السلفيين، فأبين لهم أضرار هذه الثورات، والانقلابات ونحوها، ولو من كلام المخالف لنا، وقد ذكر الله تعالى قول بعض الكافرين والمبطلين ووافقه فيما قال: كملكة سبأ، وورد في الحديث: «صدقك وهو كذوب»، يعني: الشيطان فكيف بنقل كلام حق لمسلم؟!، قال تعالى:﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)﴾(الزمر).

١٢٩. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي (ص٤٨).

المطلب الرابع:

بعض مغالطات الثورات

خدعوك فقالوا: «سلمية»!!!.

قال الشيخ زيد بن عبدالعزيز آل فياض رحمه الله: «شهدت منطقة الشرق الأوسط في السنوات الماضية ثورات، جاءت رد فعل لبعض الأوضاع السيئة، وتذمّرًا من تصرفات الحاكمين وأعوانهم، وقد صاحب هذه الثورات: دعايات وأقاويل، ومهَّد لها تحريضات إذاعات وصحف (وغيرها)، وقد انخدع كثير من الشباب بتلك الدعايات البراقة، وظنوا أن تلك الثورات ستحل مشاكلهم، وتعود عليهم بالرفاهية والرغد، وخالوها ورداً ورياحين، (لأجل ذلك أطلقوا عليها: الربيع)، ولكن ما إن هدأت عاصفة العواطف المخدوعة، حتى شكَّت فيما قيل من مبالغات، وبدأت تتكشف الأغشية عن العيون، وإذا هي ثورات دموية، ورأت ألواناً من الهمجية، وأدركت أن الأكاذيب، والتضليلات، وحرب الإذاعات قد زجَّت بهم في هوة سحيقة، وهي ثورة نشرت الرعب والقلاقل، ونحن لا نحبذ تصرفات الحاكمين، ولكن نريد أن نكون في حال من الوعي، تمكننا من معرفة الطريق السوي لحل مشاكلنا، وألا نظل إمَّعات، تضلنا الدعايات الفارغة، والأوهام الخادعة»[١٣٠].

١٣٠. مجلة اليمامة العدد (٣٤٨)، نشر في (١٣٨٢/٥/٢٩هـ). هذا المقال وبعض ما يتعلق بالخوارج، والمظاهرات ونحوها نقلته من بحث الشيخ الدكتور فهد الفهيد حفظه الله ضمن بحوث مؤتمر الإصلاح والتغيير، (ص٢١٠).

وقال شيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أما قولهم: إن هذه المظاهرات سلمية، فهي قد تكون سلمية في أول الأمر، أو في أول مرة، ثم تكون تخريبية، وأنصح الشباب أن يتبعوا سبيل من سلف...»[١٣١].

خدعوك فقالوا: «انتصرت الثورة»!!

ومن أبشع ما سمعت وقرأت لهؤلاء: أن الثورات حققت انتصاراً!، فأي انتصار وأي خيبة ودمار خلفته هذه الثورات، وأي فساد، فهل يعتبر ميزان نجاح الثورات وعدمه هو إسقاط حاكم، وتولية آخر، فانتصارات النبي ﷺ وأصحابه كانت ظاهرةً في التمكين للدين والتوحيد، وإقامة الشرع وتحكيمه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فما الفرق بين الحكم السابق وما بعده للدول التي قامت فيها الثورات؟!!، فالجميع يحكم بحكم الجاهلية.

فأي انتصار مع هذا القتل والتقتيل، ونزيف الجراح الذي مازالت الأمة تئن منه، وتتجرع المر، وتحصد الدمار من جرائه، وقد مرت على ثورات البلاد سنوات ولم تستقر بل لم تزدد إلا اضطراباً وخراباً، وقلاقل وفساداً، مادياً ومعنوياً؛ وما هو أدهى وأمر أنه ليس من مشروعهم تحكيم الشرع والدين، بل الديمقراطية فإلى الله المشتكى.

ثم إن الحاكم إن تبدل فأحسن أحواله أن يكون كسابقه، فهما وجهان لعملة واحدة كما قال شيخنا العباد حفظه الله.

١٣١. الجواب الأبهر (ص٧٥)، نقلاً من «حكم المظاهرات» (ص٥٣).

هل مسألة المظاهرات من المسائل الاجتهادية؟

إن هذه المسألة ليست من مسائل الاجتهاد، فهي مسألة ليست حادثة، ولو عددناها حديثة فتحريمها مؤيد بنصوص قطعية متواترة، وبالقواعد الشرعية، والأصول المرعية، ومقاصد الشريعة، وتيقن المآلات، وما أثبته الواقع، والتاريخ القديم والحديث، كلها تقضي فيها بحكم واحد وهو التحريم، ومفسدة واحدة فقط من مفاسدها تقضي بتحريم المظاهرات، فكيف لو اجتمعت فيها من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله عز وجل[١٣٢]؟!.

كيف لو أجاز ولي الأمر المظاهرات؟

يزعم بعضهم أن ولي الأمر هو الذي أجاز ذلك، إذن يجوز لي هذا ولا يعد خروجاً عليه!!

الجواب: أنه لا تجوز المظاهرات ولو أجازها ولي الأمر؛ لأنها طريق غير شرعي، ولو أمره بها، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى، فلو أمره وليُّ الأمر أن يحرق نفسه كوسيلة للتعبير عن رأيه، أو تغيير أوضاع، هل يسمع له أو لا؟!، ففي الحديث: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه»[١٣٣]، «فإن النهي عن التشبه بالكفار لا ينقلب مباحاً، بدعوى إذن الحاكم به، وكأن الحاكم صار

١٣٢. نقلته بالاختصار من بحث الشيخ الدكتور حمد الهاجري حفظه الله ضمن بحوث مؤتمر الإصلاح والتغيير، (ص٢٩٠).
١٣٣. رواه البخاري (٦٤٨٨).

مصدراً للتشريع»[١٣٤].

ولأنها وسيلة لشر وفساد، ولأنها فتح باب لأهل الفساد والباطل أن يصطادوا في الماء العكر.

وأنا أنقل فتوى لشيخنا العلامة ابن عثيمين رحمه الله حيث قال في جواب على سؤال بهذا الصدد: «عليك باتباع السلف، وإن لم يكن موجوداً عند السلف فهو شر، فالمظاهرات كلها شر سواء أذن فيها الحاكم أو لم يأذن.

وإذن بعض الحكام بها ما هي إلا دعاية، وإلا لو رجعت إلى ما في قلبه لكان يكرهها أشد كراهة، لكن يتظاهر بأنه كما يقول: ديمقراطي وأنه قد فتح باب الحرية للناس، وهذا ليس من طريقة السلف»[١٣٥].

وبعد كل هذا وجدنا من يحاول أن يتعلق بمثل بيوت العنكبوت، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فيحشد شيئاً مما ظنوها أدلة، وهي ليست كذلك، وقد أجاد الدكتور الشيخ عبد العزيز السعيد حفظه الله في كتابه الماتع، «النقض على مجوزي المظاهرات»، فهو مهم في بابه.

---

١٣٤. من بحث فضيلة الدكتور عبدالله العنقري حفظه الله، ضمن بحوث مؤتمر الإصلاح والتغيير (ص٣٣٨).

١٣٥. لقاء الباب المفتوح (١٧٩)، ولقد اعترف الذين أخرجوا وأنشؤوا مثل هذه المظاهرات من الشباب والشابات الفسقة الفجرة والسفهاء، أنهم دربوا من قبل دول الغرب وأذنابهم على كيفية إثارة الناس، واستفزاز الجهات الأمنية، وأعان في ذلك بعض وسائل الإعلام المأجورة الخائنة المجرمة، وهي سبب معظم الفساد في الأرض، وكل من يشارك في هذا له نصيب من إثم القتل والتخريب ونحوه.

المبحث الرابع:

حقيقة الربيع العربي وآثاره السيئة على الأمة

المطلب الأول: حقيقة الربيع العربي (الغربي)

المطلب الثاني: مفاسد المظاهرات والاعتصامات، وما يسمى بالربيع العربي

المطلب الأول:

حقيقة الربيع العربي (الغربي)

(الربيع العربي) هذا لفظ جميل في مبناه، وخراب ودمار في حقيقته وفحواه ومعناه، فلم نر ربيعاً عربياً، بل ضياعاً وخراباً يباباً، وفساداً في جميع المجالات، وفوضى، وعدم استقرار للبلاد، وذهاباً للاقتصاد، والسياسة، وتدمير للقوى، وللجيوش التي هي مصدر حمايتها من أعدائها من الخارج، والأمن الداخلي في بلاد الثورات، مع القتل، والنهب، والتشريد، والفتن، وقبل هذا كله ضياع الدين، ففعل بعضهم ببعض ما لم يحلم به أعداؤهم، ولم ينتفع بذلك إلا الغرب وأذنابهم، لذلك أسميته أنا بـ(الربيع الغربي)، فلم يستفد منه إلا اليهود والغرب، والروافض، ونحوهم.

ومن أراد المزيد من معرفة حقيقة هذا الربيع المزعوم، فليكتب في الشبكة العنكبوتية، ومحرك البحث (جوجل) (النت): (حقيقة الربيع العربي)، ليقف على حقائق، ويعلم الكثير من الخفايا، وقد ثبت باليقين أن هؤلاء المذكورين كانوا وراء هذا الخراب، وهذه الثورات، ومخططات الأعداء ضد المنطقة، والانتقال باليهود: من دولتهم الصغرى، إلى: (دولة إسرائيل الكبرى)، والله من ورائهم محيط.

بعض التصريحات الأمريكية في العزم على القيام بهذه الفتن والتغييرات تحت شعار «الإصلاح» أو «الثورة الخلاقة»:

لم يعد الأمر خافياً على أحد لا سيما بعد حدوث هذه الثورات، بل لم يستح هؤلاء من ذكره، مع تصريحهم بأنهم الذين وراء مثل

هذه الفتن، ولكن بحجة تحرير الشعوب من الظلم والاستبداد، وقد كذبوا وخدعوا وخدروا الأمم بمثل هذا، وإلا فها هي سوريا، ومن قبلها فلسطين التي لم تعترف أمريكا يوماً من الدهر بحقوقها، ولم تنصرها قط بل على العكس!!

والأمر يسير وفق برامج وخطط، رسمت معالمها؛ فمنذ أكثر من عشر سنوات، وُضعت الخطة لمشروعي الهيمنة الأمريكي والصهيوني، في مؤسسة (هريتاج).

وإن التهيئة الأمريكية الجاري تحقيقها في البلدان المستهدَفة، يدور معظمها حول شعار (الإصلاح) وإحلال «القيم» الديمقراطية (الكفرية)، وأذكر بعضاً من هذه التصريحات، فلقد انتقدت صحيفة نيوزويك الأمريكية الصادرة في (١٦/٦/٢٠٠٤م) الإدارة الأمريكية لبدئها بغزو العراق للتركيز عليه في مشروع التغيير الديمقراطي في الشرق الأوسط، مع أنه كان الأجدر بتلك الإدارة بحسب الصحيفة أن تكثف الجهود تجاه مصر، إذا ما أرادت تغييراً حقيقياً في المنطقة يوصل إلى صياغة عملية لمشروع الشرق الأوسط الكبير؛ لأنها أي مصر ستظل عقبة في تحقيقه إذا استمرت على وضعها الراهن الرافض للإصلاح بأجندة أمريكية.

وفي مناظرة كبرى نظمها اتحاد الطلبة في جامعة أكسفورد البريطانية قبل مدة، أدلى (جيمس وولسي) الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي. إيه) بتصريح قال فيه: «حان الوقت لاستبدال جميع الأنظمة –يعني: في المنطقة)، وقال: «إن الولايات المتحدة عازمة على تكرار تجربة التغيير في أوروبا

الشرقية في دول الشرق الأوسط».

وقالت وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندليزا رايس): «سنعتمد طريق (الفوضى الخلاقة) لتغيير الأوضاع» وقد رددت ذلك في مناسبات متعددة.

ويمكن للإخوة أن يراجعوا الشبكات العنكبوتية، ويدخلوا جملة: «حقيقة الربيع العربي»، «المؤامرة الكبرى على المنطقة العربية»، و«حقيقة الفيس بوك مترجم بالعربية» ليتبين لهم التصريحات، والتخطيطات، والمؤامرات.

ونذكر فيما يأتي شيئاً من مفاسد تلك المظاهرات والثورات والاعتصامات أو ما يطلقون عليه (الربيع العربي) فيما يلي لعلنا نستطيع أن نتصور فداحة الأمر وخطورته، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وإن مفسدة واحدة تكفي في الحكم عليه بالتحريم وتجريم القائم عليه.

المطلب الثاني:

ذكر بعض مفاسد المظاهرات والاعتصامات أو ما يُسمَّى بالربيع العربي

إن مفاسد المظاهرات، والإضرابات، والاعتصامات ونحوها، وما يسمى بالثورات العربية، أو الربيع العربي لا تكاد تحصى ولا تعد، ونذكر منها ما حضرنا الآن من مفاسد فيما يلي:

١- مخالفة النصوص الآمرة بالسمع والطاعة لأولياء الأمور، وقد أمرنا بالصبر على جورهم إن جاروا، سواء قصدوا ذلك أم لا.

٢- نقض للبيعة ومقتضاها، وإخفار للمسلمين الذين بايعوا حاكمهم وأقسموا الأيمان في عهدهم وبيعتهم، قال تعالى:﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾(النحل:٩١)، وعَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ»، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ- إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ- أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعَةِ الله وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يداً وَلَا يُسْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ»، المؤمن لا يغدر، ولا يحل له أن ينقض بيعته لأجل الأصلح!.

٣- الخروج على الحاكم بأنواع الخروج المختلفة، ومن أولها وأخطرها: الخروج باللسان والكلام.

٤- مخالفة الهدي النبوي في التغيير، وتهميش قضايا الاعتقاد، والانشغال بالسياسة العفنة عن دعوة التوحيد والسنة.

٥- أن تجعل للسفهاء والرويبضة رأياً وسلطة، فيتكلم في قضايا الأمة لكع بن لكع في حين الشريعة لم تجعل لهم ريادة وقيادة، وفي هذا إقصاء لذوي الألباب، وأهل الحل والعقد وهم الأقل عدداً، الأكثر تأثيراً ونفعاً.

٦- سن قوانين تزيد في الفساد، وتؤيد المفسدين، وتهمل الدين، بل وتبديل الدساتير، مع اهمال الدين، قال عبدالقادر عودة: «أدَّى إهمال الدين والعقائد وإبعاد الأخلاق والفضائل عن دائرة القانون إلى نتائجه الحتمية، ففسدت الأخلاق، وشاعت الفوضى، ونبتت في الجماهير روح التمرد والاستهانة بالقانون، وكثرت الثورات، وتعددت الانقلابات، وتغيرت النظم طبقاً للأهواء، وانتفى الاطمئنان والاستقرار من حياة الشعوب»[١٣٦].

٧- الانضواء تحت رايات جاهلية، تحت مسمى: الحرية، والديمقراطية، والأحزاب ونحوها، وقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» [١٣٧].

٨- أنها تضر بدين المرء، بسبب كثرة المخالفات التي بها.

٩- أنها اتباع لسبيل المجرمين، والتشبه بالكافرين.

وقد كانت قديماً في الجاهلية نظمٌ يتوصلون بها إلى الحكم، وإلى

١٣٦. مجلة البحوث الإسلامية (٢١٣/٧٧).
١٣٧. رواه مسلم (١٨٣٨).

حقوقهم، فلم يلتفت النبي ﷺ إليها، وشرع لأمته وسائل صحيحة لإقامة الشرع والدين، وقال:﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)﴾ (الأعراف)، وقوله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة:... ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية»[١٣٨]، وحديث: «ليس منا من عمل بسنة غيرنا»[١٣٩]، ولا أشك أنها ليست من سبيل المؤمنين، فقد قام الخوارج متظاهرين على الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حتى قتلوه صابراً محتسباً، فجميع مظاهر الخروج على الحاكم مرفوضة شرعاً وعقلاً.

١٠- أنها من الابتداع في الدين، والتشبه بالمبتدعين.

١١- تمزيق الأمة، وإشاعة الاختلافات، وكثرة الأحزاب، وإثارة النزاع، والبغضاء بين الناس.

١٢- إشاعة الفوضى، والفساد، والإكثار من الثورات والتمرد، وعدم الانضباط في الأمة.

قال العلامة الألباني رحمه الله: «قد انسحبوا (أي الكفار المستعمرون) -والحمد لله- من البلاد المذكورة، فاستقلت سورية والعراق ومصر، ولكن الكفار قد خلَّفوا في هذه البلاد من ثقافاتهم وقوانينهم وعاداتهم، فقد دبت الفرقة والخلافات الحزبية بين سكانها، وتعددت الانقلابات العسكرية فيها، والله يعلم متى يعود الهدوء إليها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى الشرع»[١٤٠].

١٣٨. رواه البخاري (٦٤٨٨).
١٣٩. صحيح الجامع الصغير (٥٤٣٩).
١٤٠. التعليق على مختصر صحيح مسلم للمنذري (٥٣٨).

١٣- إهلاك الحرث والنسل، وإراقة الدماء وترويع الآمنين، رغم أن إزهاق نفس مؤمنة واحدة أهون من زوال الدنيا بأكملها فضلاً عن الكراسي التافهة.

١٤- اختلاط الرجال بالنساء، وتعرضهن، لأمور كثيرة وقد يصل الأمر إلى التحرش بهن، والاعتداء على أعراضهن.

١٥- تدمير القوى الاقتصادية للبلاد، ومن ذلك هروب المستثمرين بأموالهم من البلاد،، للبحث عن مكان آمن، وغالباً ما يذهبون بها إلى بلاد الكفار، ليجدوا عندهم ملاذاً آمناً، فيكون فيه تقوية لأهل الكفر على المسلمين، مع إضعاف اقتصاد البلاد الإسلامية.

١٦- تخريب الممتلكات العامة والخاصة، وتعريض المحلات للنهب والسرقة.

١٧- إخلال بالأمن، وإشاعة الخوف والهلع والذعر في البلاد، وكثرة الظلم، فبدلاً من أن يكون ظالمٌ واحدٌ وحاشيته، يكثر الظلم في معظم أفراد البلاد، فيأكل القويُّ فيها الضعيف.

١٨- تعطيل مصالح العباد، وتعطيل الإنتاج بسبب الإضرابات عن العمل، وتعريض الأمة إلى الأضرار الجسيمة، وما تسببه من زحام، وتعطيل للطرق وسيرها.

١٩- الاستهانة بالقوانين والنظم، والخروج عن الانضباط.

٢٠- سن سنن الانحراف في الأمة بأسرها، فالناس والبلاد يتابع بعضهم بعضاً.

٢١- استنفاذ طاقات الأمة، كم يكلف الأمة من أموال وطاقات بشرية

لأجل حفظ الأمن.

٢٢- الذل والمهانة، وزيادة السوء، وفساد المعيشة، وزيادة الغلاء وشدة المؤنة، وعموم الظلم من الولاة كما جعل الله الحجاج على أهل العراق، فأصبح الأمر كما قال ابن كثير رحمه الله: «وبالجملة كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب، والخروج على الأئمة، وخذلانهم لهم، وعصيانهم، ومخالفتهم، والافتئات عليهم»[١٤١].

٢٣- فتح الباب أمام أهل الفساد، وأهل البدع والزنادقة، والمندسين في صفوف المسلمين لضرب الإسلام ولإظهار شعاراتهم وتسويق معتقداتهم، والتصريح بها، وتمكين الروافض ونحوهم من بلاد أهل السنة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام من ذهب قال: «وَأَيْنَ ظُلْمُ بَعْضِ وُلَاةِ الْأُمُورِ مِنِ اسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ، بَلْ مِنِ اسْتِيلَاءِ مَنْ هُوَ أَظْلَمُ مِنْهُ؟ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ، وَتَقْلِيلِهَا بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَمَعْرِفَةُ خَيْرِ الْخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ، حَتَّى يُقَدَّمَ عِنْدَ التَّزَاحُمِ خَيْرُ الْخَيْرَيْنِ وَيُدْفَعَ شَرُّ الشَّرَّيْنِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَرَّ الْكُفَّارِ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْخَوَارِجِ (والروافض: خوارج وزيادة) أَعْظَمُ مِنْ شَرِّ الظَّالِمِ»[١٤٢].

٢٤- اضطراب أصحاب الثورات، وتناقضهم؛ فقبل الثورة، يزعمون أنها حق مشروع، فإذا استتب الأمر لهم تغيَّر الحكم، وصار

١٤١. «البداية والنهاية» (١٣١/٩).
١٤٢. منهاج السنة النبوية (١١٨/٦).

محرماً، وعند بعضهم في أثنائها كان محرماً، ثم بعد زوال رئيسهم أصبحت مشروعة!، وبعد ذلك فيها نظر.

ثم بعض الدول كإيران كانت تحث على الثورات، ولما قامت ثورة في بلادهم قمعوها بأشد أنواع القمع، وبعض الدول الأوربية التي تبيح قانون الإضرابات، لما أضرب العمال فيها عن العمل، فصلتهم من عملهم، وهذا يدل على أنه عمل يتنافى مع الفطرة واستقامة حال الأمم.

٢٥- استعداء الكفار على بلاد المسلمين، وموالاتهم ومظاهرتهم على المسلمين، بل رأينا من المتظاهرين من يستدعي ويستعدي الأمريكان على بلاده، ويستقوي الاتحاد الأروبي على دولته، ويتحالف مع الصليبيين لتدمير البلاد والعباد ليصل إلى كرسي الحكم عبر دباباتهم، وبعض الأفراد يرفع أمره لمجلس الأمن، ومنظمات حقوق الإنسان[١٤٣] الكافرة، ومنظمات أهل الكفر، والأمم المتحدة وغيرها مما لم نر منهم خيراً قط لبلاد المسلمين، وبغير ضرورة تلجئهم إلى ذلك، هذا غير تعلق القلوب بهم من دون الله كأن النصر على الأعداء والظالمين بأيديهم!!.

قال الطبري رحمه الله: «الْأَخْبَار متظاهرة عَن رَسُول الله ﷺ أَنه قَالَ: «من تعزَّى بعزاء الْجَاهِلِيَّة، فأعضُّوه بهن أَبِيه وَلَا تَكْنوا»[١٤٤]، (يعني: يقال له أعض بأير أبيك) قال: «والتعزي بعزاء الْجَاهِلِيَّة: هُوَ أَن يُنَادي من ركب بظُلْم: يا لبني فلَان!، فَنهى ﷺ الْمَظْلُوم عَن

١٤٣. مقتبس من بحث الشيخ محمد بن ضاوي العصيمي، ضمن بحوث مؤتمر الإصلاح والتغيير (ص٣٥٧).

١٤٤. صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٤)، وهو في الصحيحة (٢١٦).

الاعتزاء بِمَا ذكرنَا وَأمر من ظُلِمَ فاستصرخ على ظالمه أَن يَقُول: يَا لعباد الله، وَيَا للْمُسلمين»[١٤٥].

٢٦- هدم عقيدة الولاء والبراء، وذلك بخروج المسلمين في المظاهرات مع الكفار وأهل البدع والأهواء.

والأفكار المنحرفة، فيرفع الصليب مع المصحف، كما رأينا ورأى غيرنا ذلك في أحداث مصر الأخيرة في ميدان التحرير.

٢٧- مخالفة أصحاب الثورات للقواعد الشرعية والتي منها:

أولاً- قاعدة: درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح، وهذا على فرض وجود المصالح حقيقة لا وهمية لهذه المظاهرات؛ إن هذه الاعتصامات والمظاهرات، والعصيان المدني ونحوها، تفضي إلى مفاسد أكيدة متيقنة، دينية، واجتماعية، واقتصادية، وبيئية، وسياسية، وأمنية، وغير ذلك، وأما إفضاؤها إلى إصلاح فمظنون، وما كان كذلك، فحكمه التحريم قطعاً.

فكيف والمصلحة في هذه الوسائل ملغاة تماماً، لأن النبي ﷺ لم يلجأ إليها لا هو ولا أصحابه مع قيام المقتضي لها والباعث عليها.

ثانياً-قاعدة: دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى، والمتمثلة في ظلم الظالم وفسقه ونحو ذلك، فإنها لا شيء أمام ما يقع من جراء هذه المظاهرات من سفك الدماء ونهب للأموال وانتهاك للأعراض وأشد من ذلك كله تسلط الأعداء على بلاد المسلمين.

ثالثاً - قاعدة: سد الذرائع، إذ هذه الوسائل ذريعة لوقوع

١٤٥. تهذيب الآثار (الجزء المفقود/ص٣٠: ٣١).

منكرات أكبر مما يراد إزالته بها غالباً وتقع بسببها فتن عظيمة ومصائب جليلة.

رابعاً - قاعدة: لاضرر ولا ضرار، فلا يجوز إلحاق الضرر بالآخرين، ولا يخفى على الضرير فضلاً عن البصير ما لهذه المظاهرات والمسيرات من أضرار وخيمة، ستأتي بالتفصيل.

خامساً- قاعدة: إعمال المقاصد الشرعية؛ فالشريعة جاءت بحفظ ضروريات وكليات، منها الدين والمال والعرض والنفس، ولا يخفى على ناظر مدى تأثير هذه المظاهرات والمسيرات على هذه الضروريات، فهي في الحقيقة ضياع لها جميعاً[١٤٦].

٢٨- السعي في تحقيق مآرب ومطامع أمريكية وصهيونية في المنطقة، وطاعة الماسونية.

وسواء في ذلك أن شعروا أو لم يشعروا، قال الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد: «وقد قسمت الماسونية جمعياتها حسب مخططاتها وأغراضها فبعض هذه الجمعيات لإثارة الطلاب وبعضها للاستيلاء على أفكار الصحفيين والكتاب والمؤلفين، وبعضها لإثارة العمال والفلاحين وبعضها مختصة بالعسكريين، وبعضها لإحداث الانقلابات والفتن والقلاقل في الدول إلى غير ذلك»[١٤٧].

وقد علم الجميع أن أمريكا وأوربا الآن في حالة ذعر مما يحدث في بلادهم من دمار اقتصادي، فأرادوا أن يسيطروا على العالم

١٤٦. نقلته بالاختصار من بحث الشيخ الدكتور حمد الهاجري حفظه الله ضمن بحوث مؤتمر الإصلاح والتغيير، (ص٢٩٥).
١٤٧. مجلة الجامعة الإسلامية (٧٨/٦).

لأسباب كثيرة، منها، أو من أهمها القضية الاقتصادية، ويتحدث المراقبون عن احتمال قيام حرب عالمية ثالثة، كما كان هذا هو السبب المباشر في الحربين العالميتين الأولى، والثانية، بل نقل الأستاذ رشيد رضا رحمه الله عن بعضهم: «بِأَنَّ جَمِيعَ الثَّوَرَاتِ وَالْحُرُوبِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ ذَاتِ الشَّأْنِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ قَدْ كَانَ الْمَالُ سَبَبَهَا الصَّحِيحَ، أَوْ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَثِّرَةِ فِيهَا أَشَدَّ التَّأْثِيرِ»[١٤٨].

وإن واحدة من هذه المفاسد كافية في الحكم على مثل هذه المظاهرات بالتحريم، فكيف بها وغيرها مجتمعة؟!.

١٤٨. تفسير المنار (٢٣/١١).

الخاتمة

نختم هـذا البحث ببيان مـا لله تعالى مـن حِكَم عظيمة في هذه الفتن، وقد تميزت بها الصفوف، وأظهرت المنافقين ومن في قلبه مـرض، والمغرضين، وكشف الله دولاً وأفـراداً من خلال هذه الثورات، فما يقضي الله قضاء إلا وهو خير، وعاقبته خير للإسلام والمسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما يجعل الله من حِكَم في الفتن والبلاء على المسلمين: وقد أظهر الله في هذه الفتنة من رحمته بهذه الأمة وجُنْدِها ما فيه عبرةٌ، حيثُ ابتلاهم بما يُكفر به من خطاياهم، ويُقبِل بقلوبهم على ربّهم، ويجمع كلمتهم على وليّ أمرِهم، ويَنزِعَ الفُرقةَ والاختلاف من بينهم، ويُحرك عَزَماتِهم للجهاد في سبيل الله وقتال الخارجين عن شريعة الله.

فان هذه الفتنة التي جَرتْ، وإن كانت مُؤلمةً للقلوب، فما هي -إن شاء الله- إلاّ كالدواء الذي يُسقَاه المريضُ ليحصل له الشِفاءُ والقوة. وقد كان في النفوس من الكِبْر والجهل والظلم ما لو حَصل معه ما تشتهيه من العِزّ لأعقَبها ذلك بلاءً عظيما. فرحمَ الله عبادَه برحمتِه التي هو أرحم بها من الوالدة بولدها، وانكشف لعامة المسلمين شَرْقًا وغَرْبًا حقيقةُ حالِ هؤلاء المفسدين الخارجين عن شريعة الإسلام وإن تكلموا بالشهادتين، وعَلِمَ مَن لم يكن يعلم ما هم عليه من الجهل والظلم والنفاق والتلبيس والبُعد عن شرائع الإسلامِ

ومناهجه، وحَنَّتْ إلى العساكر الإسلامية نفوس كانت مُعرِضة عنهم، ولانَتْ لهم قلوبٌ كانت قاسية عليهم، وأنزل الله عليهم من ملائكته وسكينته مالم يكن في تلك الفتنة معهم، وطابتْ نفوسُ أهل الإيمان ببَذْلِ النفوس والأموال للجهاد في سبيل الله، وأعدُّوا العدَّة لجهاد عدوِّ الله وعدوهم، وانتبهوا من سِنَتِهم، واستيقظوا من رَقْدَتِهم، وحمدوا الله على ما أنعمَ به من استعداد السلطان والعسكر للجهاد، وما جمعه من الأموال للإنفاق في سبيل الله»[١٤٩].

ومما يؤكد ذلك أننا نوقن بأن العاقبة للتقوى، وأن هذه الفتن وإن أحدثها أعداء الإسلام بأيدي بعض الناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فإن الحق منصور، وأن ما دعا إليه أئمة الدعوة السلفية من الحق هو الظاهر على كل من ناوأه، ومهما ساء واقعنا فلن يكون أسوأ حالاً من المجتمع المكي الجاهلي الأول، الذي قضى الله عليه بمنه وفضله، فلا ينبغي أن يتطرق إلينا اليأس من روح الله، ولا نستسلم لهذه الأحوال، وهذا الفساد، بل ينبغي أن نسعى في تغييره وتعديله، وإصلاحه بكل قوة، وثبات، وصدق، لذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾(السجدة)، فنحتاج إلى صبر ومصابرة، وصدق وتجشم للصعاب، فطريق الأمر بالمعروف وتغيير المنكر ليس سهلاً ليناً، بل مليئٌ بالأشواك، وكثير المصاعب، والأذى، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾(لقمان:١٧)، ولسان حالنا ينبغي أن ينطق:﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾(إبراهيم)، وكل هذا مع تيقن النصر والظفر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ

١٤٩. جامع المسائل (٢٩٧/٥).

الْمَنْصُورُونَ (١٧٢)﴾ (الصافات)، فلا ينبغي أن نجزع، ونشك في وعده تعالى، ونسيء الظن به، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يذكرنا بقوله: «وكثير من الناس إذا رأى المنكرَ أو تغير كثير من أحوال الإسلام، جزع، وكلَّ، وناح كما ينوحُ أهلُ المصائب، وهو منهيٌّ عن هذا، بل هو مأمور بالصبر، والتوكل، والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمنَ بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر، إن وعد الله حقٌّ، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربهِ بالعشي والإبكار»[١٥٠]، فالطائفة المنصورة والفرقة الناجية لا تمل ولا تكل، ولا تفتر في الإصلاح وقد ورد وصفها في الحديث: «لا يزالُ طائفةٌ منْ أمتي على الحقِّ منصورينَ، لا يضرهمْ منْ خالفهم، حتى يأتي أمر الله عزوجل»[١٥١]، فنسأل الله الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد، والصدق في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه لا شريك له

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٥٠. مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩١-٣٠٥).

١٥١. صحيح: رواه ابن ماجه (١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني

الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء

إعداد
الشيخ الدكتور/ مُحمد الحُمود النّجديّ

د. محمد الحمود النجدي في سطور

- محمد حمد محمد محمود النجدي.
- دكتوراة في العقيدة الإسلامية، ورسالته في شرح أسماء الله الحسنى وآثارها.
- إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.
- مدرس بدار القرآن الكريم سابقا.
- رئيس اللجنة العلمية بجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - فرع صباح الناصر .
- المشرف على موقع : الأثري نت - al-athary.net

من المؤلفات :

١- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (تأليف - مطبوع ٣ مجلدات).

٢- حسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير (مطبوع ٤ مجلدات).

٣- شرح العقيدة الطحاوية (مجلد كبير).

٤- شرح كتاب الوضوء والغسل والحيض ، من مختصر صحيح مسلم (مجلد).

٥- شرح كتاب الإيمان ، من مختصر صحيح مسلم (مجلد).

٦- تهذيب روضة المحبين ، للإمام ابن القيم (مجلد) .

٧- إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، للقاضي أبي يعلى الحنبلي – تحقيق (مجلد كبير).

٨- الحسبة – لشيخ الإسلام ابن تيمية (تحقيق- مغلف)

٩- الوصية الكبرى – لشيخ الإسلام ابن تيمية (تحقيق – مغلف)

١٠- إبطال وحدة الوجود – لشيخ الإسلام ابن تيمية (تحقيق- مغلف).

١١ – كتاب العرش وما روي فيه – للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة (تحقيق) مغلف .

١٢- شرح صحيح الكلم الطيب. (مغلف).

١٣- رسائل ومسائل تهم الأسرة والمجتمع (١- ٨) أجزاء (مغلف).

١٤ – شرح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخاري – (مجلد لم يطبع).

١٥ – كتاب النبذ في أصول الفقه – للإمام الفقيه ابن حزم (تحقيق).

وغيرها من الكتب والرسائل ومقالات منشورة في مجلة الفرقان، وفي غيرها من المجلات والصحف.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولًا: نعمة الأمن والأمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فنعمة الأمن والاستقرار، من أعظم النّعم التي يظفر بها الإنسان، بأن يكون آمناً على دينه أولاً، ثم على نفسه، ثم على ماله وولده وعرضه، وهو الأساس في ازدهار الحضارة، وتقدم الأمم، ورُقي المجتمعات، وإذا ضاع الأمنُ اختلتْ الحياة، وتوقف موكب التقدم، وأصبح همّ كل فردٍ، هو الحفاظ على أمنه، وأمن من معه، دون النظر إلى أي شيء آخر مهما كان.

وحبُ الأمن والأمان، أمرٌ فطري في كلّ الناس، وهو من الخير الذي فطر الله تعالى الإنسان على حبه، كما قال تبارك وتعالى﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)﴾(العاديات).

وفي ظل الأمن والأمان، يهنأ الإنسان بحياته، بنومه وبطعامه وشرابه، وقد قَرَن الله تعالى بينهما في كتابه، فقال سبحانه﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ (قريش).

وكذا قال ﷺ: «منْ أصبحَ آمناً في سِربه، مُعافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حِيزتْ له الدنيا بما فيها» رواه الترمذي.

ولا عجب في ذلك؛ وهو مطلب الشعوب كافة، وهو هبةٌ من الله لعباده، ونعمة يغبط عليها كل من وهبها.

ومن أجل استتباب الأمن في المجتمعات، جاءت الشريعة الغراء بالعقوبات الصارمة، والحدود القاطعة، حفظاً للأمن والأمان، قال سبحانه ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ (البقرة)؛ ففي قتل مجرم واحد، حياة آمنة هنيئة لأمة بأكملها، وقديماً قيل: القتل أنفى للقتل. والآية أبلغ.

وفي الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «حدٌّ يعملُ في الأرض، خيرٌ لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً «رواه النسائي وابن ماجه.

ولا عجب في ذلك ! لأن في إقامة الحدود، ردعٌ وزجر لأولئك الذين في قلوبهم مرض، وحفظٌ للأمن والأمان، غضب النبي ﷺ على من شفع في حدٍّ من حدود الله، وأكّد على ذلك بقوله: «وأيمُ الله، لو أنّ فاطمة بنتَ محمدٍ سرقت، لقطعت يدها «متفق عليه.

وما ذلك إلا من أجل سدّ باب الذريعة، المفضية إلى التهاون بالحدود والتعزيرات، أو التقليل من شأنها.

• تعريف الأمن:

الأمن لغة: هو طمأنينة النفس، وزوال الخوف عنها، وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله في سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ (التوبة).

قال الراغب الأصفهاني: أي أبلغه المكان الذي فيه أمنه، وطمأنينة نفسه، وزوال خوفه.

فالأمن: هو السلامة والاطمئنان للنفس، وانتفاء الخوف عن حياة الإنسان، أو عما تقوم به حياة الإنسان.

ولقد اهتم الإسلام بالأمن غاية الاهتمام، واعتبره هدفاً لذاته، وقد دعا القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى المحافظة على الأمن بكافة جوانبه، الأمن للدين، الأمن للنفس، الأمن للمال، الأمن للعرض والنسل، وهذه هي الضروريات الخمس التي جاء الشرع لحفظها، وجاءت لحفظها جميع الشرائع والأديان، تأمل في قول أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ (البقرة:). ولقد استجاب الله عز وجل دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فانتشر الأمن والأمان، والطمأنينة والسلام في البلد الحرام، واستمر هذا الأمن حتى في الجاهلية، حتى إنّ الرجل منهم كان يلقى قاتل أبيه في مكة، فلا يتعرض له بسوء، بينما فقد هذا الأمن، وشاع الخوف والاضطراب خارج مكة المكرمة في أنحاء جزيرة العرب، وقد أشار الله تعالى إلى تلك النعمة على أهل مكة، ممتناً عليهم بتلك النعمة﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

وَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)﴾ (العنكبوت).

وسائل تحقيق الأمن:

أولًا: أعظم مقومات الأمن وتحقيقه: إصلاح العقيدة، بإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، قال الله جل في علاه: ﴿وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ (النور).

فلا بد من إخلاص العبودية لله، وتصحيح العقيدة حتى ننعم بالأمن والأمان.

ثانيًا: الأمن والأمان لا يكون إلا بتحقيق الإيمان، والابتعاد عن العصيان، لأن الأمن مشتق من الإيمان والأمانة، وهما مترابطتان، قال الله جل في علاه: ﴿الّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)﴾ (الأنعام)، والمراد بالظلم في الآية: هو الشرك، كما بينه الله تعالى في وصية لقمان الحكيم لابنه، إذْ قال: ﴿يَا بُنَيّ لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)﴾. (لقمان).

ثالثًا: من مقومات الأمن في الأوطان: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا هو سبب خيرية هذه الأمة، فقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز به في مواضع كثيرة، وبه تنتشر الفضيلة، وتنقمع الرذيلة، وهو وظيفة كل فرد في المجتمع، وبتركه تحل العقوبات، ويختل الأمن، فقد دخل النبي ﷺ على زينب بنت جحش رضي الله

عنها، وهو يقول: «ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا «قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثُر الخَبَث «. متفق عليه

ولا خير ولا أمان في مجتمع لا يُحارب الرذيلة، ويدعو إلى الفضيلة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهون عن المُنكر، أو ليُوشكن الله عزّ وجل أنْ يبعث عليكم عذاباً من عنده، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم». رواه الترمذي وحسنه

رابعًا: من مقومات الأمن في الأوطان أيضًا: شكر نعم الله تعالى بالقلب واللسان، والجوارح والأركان، وذلك بالإقرار بها للمنعم المحسن سبحانه، وبحبه لذلك، وتعظيمه والثناء عليه باللسان وذكرها، وباستعمال تلك النعم في طاعة الله تعالى، فلا تحارب الله تعالى بنعمه؟! فالنعم لا تدوم إلا بأداء حقها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ (إبراهيم).

وانظر ماذا يصنع كفرانُ النعم بالأفراد، والأمم والشعوب، قال الله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾، (النحل).

يعني أنها لم تقدر تلك النعم حقّ قدرها، ولم تقم بشكرها، وأداء الفضل الذي لله فيه عليها، فتحول ذلك الأمن إلى خوف، ورغد العيش إلى جوع، بسبب كفرهم وعدم شكرهم.

وقد قال كثيرٌ من أهل التفسير: إن هذه القرية، هي: مكة المشرفة، زالت عنها نعمة الأمن ورغد العيش، الذي كانت تنعم به، لما كفرت برسول الله ﷺ، وحاربت دين الله تعالى.

خامسًا: الاستقرار السياسي للبلاد، بطاعة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فهو من أهم أسباب استتباب الأمن، وانظر لتعرف أهمية هذا الأمر الخطير إلى تلك الدول، التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي، فتكثر فيها حركات الخروج والتمرد والانقلابات، فهناك لا يأمن الناس على حياتهم، ولا على أموالهم، ولا على أعراضهم، ولا يهنئون بمعاش في ظل فقد الأمن والأمان؟!

ولهذا اهتم الإسلام بتأمين استقرار البلدان، فأمر بطاعة ولاة الأمر في غير معصية الله تعالى، وجعل طاعتهم متممة لطاعته وطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾. (النساء).

وكذا قال رسوله ﷺ بنحوه، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أطاعني فقد أطاعَ الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومنْ أطاعَ أميري فقد أطاعني، ومن عَصَى أميري فقد عصاني». رواه مسلم

وحذّرت الأحاديث النبوية الشريفة، من الخروج على الحكام، فمنها: قوله ﷺ: «منْ كَرِه من أميره شيئاً فليصبرْ عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس خرج من السلطان شبراً، فماتَ عليه، إلا ماتَ ميتةً

جاهلية». رواه مسلم

وقال ﷺ: «منْ أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحد، يُريد أنْ يشقَ عَصاكم، أو يُفرّق جماعتكم، فاقتلوه». رواه مسلم

بل وشدّد رسولنا ﷺ في الأمر بطاعة ولي الأمر، مهما كان أصله ونسبه ولونه، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إنّ خليلي أوصاني أنْ أسمعَ وأطيع، وإنْ كان عبداً مُجدّع الأطراف «رواه مسلم في كتاب الإمارة (١٨٣٧).

ولأهمية الأمر وخطورته، لم تجعل الشريعة ارتكاب الحاكم للظلم والمعاصي والمخالفات، مسوغاً للخروج عليه، ما لم يصل ذلك إلى إعلان الكفر البواح، الذي يكون عليه دليل قاطع من دين الله تعالى، لحديث عبادة رضي الله عنه قال: دَعَانَا رسولُ اللَّه ﷺ، فبايَعْنَاهُ، فكان فيما أَخَذَ علينا، أَنْ بَايَعَنا على السَّمْع والطَّاعة، في مَنْشَطنا ومَكْرَهنا، وعُسْرنا ويُسْرنا، وأَثَرَة علَينا، وأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عندَكُم مِنَ اللَّهِ فيه بُرْهانٌ «. رواه مسلم.

ومع ذلك فقد أوصي الله تعالى ورسوله ﷺ ولاة أمور المسلمين، بتقوى الله تعالى، والرفق بالرعية، وأداء الأمانة في الولاية والمسؤولية، وهي خزيٌ وندامة يوم القيامة، إلا من أخذها بحقها، كما جاء في الحديث: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خِزيٌ وندامة، إلا مَنْ أخذَها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها. رواه مسلم

وفي صحيح مسلم أيضا: قال ﷺ: «اللهم مَنْ ولي منْ أمرِ أمتي شيئاً، فشقّ عليهم، فاشقُق عليه، ومنْ ولي أمر أمتي شيئا، فرفق بهم فارفق به «.

ولا شك أن دعاء النبي ﷺ من الأدعية المستجابة، فمن ولي شيئا من أمر الأمة فشق عليهم، فسيشق الله عليه.

فليتق الله الجميع، راع ورعية.

سادسًا: من مقومات الأمن أيضاً: الاستقرار الاقتصادي للبلاد، بتأمين الحياة الطيبة للجميع، وذلك بتوفير حاجات الناس، وسد مطالبهم، فبذلك يحصل الأمن للبلاد والعباد، ولهذا شرع الله تعالى في الإسلام الزكاة، بل أوجبها على الأغنياء حقًّا للفقراء، وحثّ على الصدقات، وأمر ولاة الأمر بالعدل في توزيع الأعطيات، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ (النحل).

سابعًا: ومن مقومات الأمن في الأوطان: وجود جهاز أمن قوي أمين، وسلطة تنفيذية قوية، تقوم بتنفيذ الأوامر، وتطبيق الأنظمة والقوانين، وتحاسب من يخالفها، وإلا فما فائدة الأنظمة؟ وما فائدة القوانين؟ إنْ لم تنفذ عملياً، ويرى الناس أثرها في المجتمع.

ولهذا أمر الله تعالى بإقامة الحدود علانيةً، لتكون زاجراً للناس عن الشر، كما قال تعالى في حدّ الزاني والزانية ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾(النور).

فقوله تعالى ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: علانية، والطائفة الرجل فما فوقه، وقال مجاهد: الطائفة الرجل الواحد إلى الألف، وكذا قال عكرمة، وقال قتادة: أمر اللّه أن يشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين، أي: نفر من المسلمين، ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالاً.

فليتق الله تعالى الجميع، وليعلم القاصي والداني، أنه ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾(النور). فبالتوبة والاستغفار، تحلُ البركة على البلاد والعباد.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ (الأعراف).

أولاً - حركة جُهيمان وموقف علماء الجزيرة من الحركة ومن احتلال المسجد الحرام

فلا شك أولاً أنّ تعظيم المؤمن لشعائر الله عز وجل؛ علامة على تقوى قلبه، وخشيته من ربه؛ يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، ويدخل في تعظيم تلك الشعائر: المحافظة عليها من عبث العابثين، وتدنيسهم لها، وإفسادهم فيها، وهتكهم لحرمتها.

وقد تجلى هذا التعظيم بوضوح، في موقف علماء الجزيرة من

حركة جهيمان، ومن احتلالهم للمسجد الحرام، ثم موقف الحكومة السعودية وفقها الله تعالى في عهد الملك خالد رحمه الله، في تطهيرها الحرم المكي الشريف من هذه الزمرة الضالة، الخارجة على ولى الأمر، وعن أهل العلم ومشورتهم، وأهل الإسلام عموما، فيما يُعرَف بحادثة «جهيمان»؛ حيث كانت حدثاً جللًا، ومصيبة عظمى، حلّت بالإسلام والمسلمين، والحمد لله على كل حال؛ فالمرءُ يُبتلى على قدر دينه، وأشد الناس بلاءً الأنبياء؛ فالأمثل فالأمثل.

ونود أنْ نعطي القارئ شيئاً من مجريات تلك الأحداث الأليمة، لذلك الحدث الجلل، الذي استنكره ليس المسلمون وحدهم، بل وغير المسلمين، وهو بحساب وظن من قاموا به، طاعة وقربة؟! مع أنهم يزعمون أنهم على هدي الرسول ﷺ، وخُطى الصحابة الكرام؟! حتى تَكَشَّف الأمر، فتبين عظيم الخطأ والجهل؟!

تفاصيل دخول الفئة الباغية الحرم المكي :

في فجر يوم الثلاثاء الأول من العام والقرن الهجري الجديد ١٤٠٠ للهجرة، العشرين من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٩م، تم إدخال الأسلحة بالحيلة للحرم المكي؛ فقبل الفجر تم إدخال شاحنتين، الأولى تحوي تمراً وماء، والأخرى ذخيرة، وذلك عن طريق منافذ لدخول الشاحنات، إلى مكان مخصص في الحرم؛ لتعبئة المياه.

أما بقية الأسلحة الخفيفة، فقد تم وضعها في نعوش على أنها جثامين سيتم الصلاة عليها بعد الصلاة؟! وتم إدخال هذه النعوش

الوهمية، من أبواب متعددة؛ بهدف توزيع الأسلحة.

كان المنظر طبيعياً؛ فالمصلون اعتادوا رؤية النعوش كل صباح للصلاة على الموتى بعد الفراغ من صلاة الفجر، وسائر الصلوات المكتوبة.

ساعد المصلون في حمل النعوش ابتغاء في الثواب، وهم لا يعرفون أنهم يحملون أسلحه في داخل النعوش، أُعدّتْ لاحتلال الحرم المكي الشريف؟!

وكان قد شارك في تلك الحادثة الإجرامية، أكثر من٢٠٠ فرد من الزمرة الضالة من جماعة جهيمان الزائغة عن الحق.

فبعد أنْ رفع المؤذن أذان الفجر في المسجد الحرام كعادته كل صباح، وسط تجمع كبير من المسلمين الذين كان البعض منهم يؤدي مناسك العمرة، متنقلاً ما بين الكعبة المشرفة، والسعي بين الصفا والمروة، فيما كان الطابق الأول من المسجد الحرام ممتلئاً بالمصلين، الذين كان عددهم يزيد على (٦٠) ألف شخص، غالبيتهم من الحجاج الذين قضوا مناسكهم، وبقوا بجوار بيت الله الحرام، قبل أسبوعين من الحدث.

وبعد الأذان أقيمت الصلاة، حيث تقدم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ليؤم المصلين الذين وحدوا صفوفهم باتجاه الكعبة؛ استعداداً للصلاة، لكن بعد أن فرغ الشيخ السبيل من الصلاة،التي قرأ في ركعتيها الأولى والثانية ما تيسر من سورة «التوبة «حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد ارتفعت الأصوات بعد تدافع أعداد كبيرة من الناس في كافة أنحاء المسجد الحرام، حتى تمكن أحدهم

من الاستيلاء على «الميكروفون» المخصص للإمام، ثم أخذوا بعضَ المصلين رهائن، وتحصَّن بعضُ قناصةٍ منهم في مآذن الحرم، لتتم السيطرة الكاملة على الحرم.

شهادة إمام الحرم المكي على أحداث الزمرة الباغية الضالة:

يقول إمام المسجد الحرام الشيخ محمد بن عبد الله السبيّل رحمه الله: إن مشادة حصلت بينه وبين أحد أفراد الزمرة الباغية، بعد سحب المايكروفون من أمامه بطريقة مفاجئة، واكبها قيام الشخص نفسه بسحب خنجره مهدداً، إلا أن الشيخ السبيل طلب منه الهدوء؛ لأنه يريد الصلاة على جنازة حاضرة أمامه.

وبعد أن فرغ الشيخ السبيل من الصلاة، استولى المهاجمون على «المايكروفون» وبدأ أحدُهم في توجيه نداءٍ للمصلين؛ يدعوهم فيه للجلوس والاستماع لبيان مهم وسط وجوم وهرج عمّ أرجاء المسجد الحرام، فيما تدافع بعض المصلين فضولاً نحو صحن الطواف لاستجلاء ما يحدث، في الوقت الذي شهدتْ فيه أبواب المسجد الحرام تجمعاً من المصلين الذين لم يستطيعوا مغادرة المسجد؛ بسبب تكتل المسلحين أمام الأبواب، ورفضهم خروج أيٍّ من المصلين إلا بعد الاستماع للخطبة، في محاولة للسيطرة على الأبواب وإحكام إغلاقها.

الرصاصةُ الأولى:

عندما حاول أحد أفراد جماعة (جهيمان)، من الجهة الجنوبية إغلاق أحد أبواب الحرم؛ حاول أحد حراس الحرم منعه وهو أعزل

من السلاح، فضُربت الرصاصةُ على حلقة معدنية في الباب؛ فارتدتْ عليه وأردته قتيلاً.

ما إن أطلقت أول رصاصة داخل المسجد الحرام، حتى دبَّ الرعبُ في نفوس المصلين الذين أدركوا أن الأمر ليس عادياً، وأن ثمة أمر خطير يدور داخل أروقة المسجد الحرام، إلا أن أعداد الطلقات كانت في تزايد، وفي أنحاء متفرقة من المسجد، فيما كان خطيبٌ مجهولٌ يتحدث عن «المهدي «وعلاماته، ومميزاته، وأهدافه، وكيفية مبايعته، ويسرد بعض الأحاديث التي تصف المهدي؛ في محاولة منه لإقناع الناس بمهديهم المزعوم؟!!

ومما ذكر في خطبته:

أولًا: أن المهدي اسمه: محمد بن عبد الله.

ثانيًا: نسبه من قريش، من أهل بيت النبي ﷺ، من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها.

ثالثًا: أن الله تعالى يخُـرِجُهُ في ليلةٍ.

رابعًا: أنه أجلى الجبهة، أقنى الأنف.

خامسًا: أنه يظهر إلى من ملأ الأرض ظلماً وجوراً، فيملؤها هو قسطاً وعدلاً.

سادسا: أنه يُبايَع بين الركن والمقام.

ومما جاء في خطبته: «...فاعلموا أيها المسلمون.. أنه انطبقت هذه الصفات كلها.. على هذا المهدي الذي سوف تبايعون بعد لحظات

بين الركن والمقام، وهو موجود معنا الآن؟! وكذلك أخوكم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وهو موجود أيضاً معنا الآن؟!».

هذه الكلمات السابقة، مقتبسة من الخطبة الشهيرة التي أُلقيت على مسامع المصلين والمعتمرين، والخطبة أُلقيت على لسان فيصل العجمي، خطيب الجماعة.

بعدها بدأ أتباعه بإجبار الناس بالتقدّم نحو الكعبة بين الركن والمقام؛ لمبايعة المهدي المزعوم، فيما بدأ الهرج والمرج، وتم إطلاق النار لتهديد الناس، وإغلاق أبواب الحرم المكي؟!

كانت جماعة جهيمان يتوقعون أنّ من بداخل الحرم من مصلين ومعتمرين، سيُقبِلون على مبايعة المهدي المزعوم باقتناع، ولكن المفاجأة هي محاولة المصلين والمعتمرين الخروج من المسجد الحرام؛ أي تبدد الوهم الكبير الذي زرعه جهيمان؟!

وتمكن إمام الحرم الشيخ السبيّل -بعد أن ألقى المشلح-، من الخروج من الحرم والإبلاغ عما يحدث، فتمت بعد ذلك محاصرة الحرم المكي بعد أنْ تم قفل أبوابه من قِبَل جماعة جهيمان، واستولى ٢٠٠ مسلحًا - ومصادر أخرى تقول كان عددهم ٥٠٠ مسلحًا - على الحرم المكي الشريف.

لقد كان هؤلاء الضُّلاّل يتوقعون أن يأتي الناس إليهم من خارج الحرم مؤيدين ومبايعين، ولكن الحرم حُوصر من قبل الجيش السعودي الباسل، وقوى الأمن اليَقِظَة، فاعتقد أتباع جهيمان أنّ الجيش يحول بين دخول الناس لمبايعة المهدي؛ فانطلقت الشرارة الأولى من مآذن الحرم لتبدأ مواجهة عسكرية، فيما انطلق جهيمان

مصطحباً معه «محمد بن عبدالله القحطاني «وهو المهدي المزعوم، إلى أقبية الحرم؛ لإدارة العمليات؟!

وظلت جماعة (جهيمان العتيبي) الضالة الخارجة، مسيطرة على المسجد الحرام، مدة نصف شهر تقريباً، إلى أن تيسّر للحكومة السعودية حسم هذا الوضع الخطير، بعد خططٍ أحكمتها بتوفيق الله تعالى.

القضاء على الفتنة التي قامت بالمسجد الحرام:

بيان من وزارة الداخلية صرح به الأمير نايف بن عبد العزيز رحمه الله لوكالة الأنباء السعودية (واس) جاء فيه:

«اغتنمتْ زمرةٌ من الخارجين عن الدين الإسلامي صلاة فجر الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ، الموافق ١٩٧٩/١١/٢٠م، وتسللت إلى المسجد الحرام ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة، وقدَّموا أحدهم إلى جموع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة؛ لأداء صلاة الفجر مدَّعين لهم بأنه المهدي المنتظر، ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة، وتحت وطأة السلاح منهم، وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءً على فتوى من العلماء جميعاً؛ اتخذت الإجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام...».

وبالفعل استطاعت القوات السعودية أنْ تبسط سيطرتها التامة على الموقف داخل الحرم، وعالجت الموضوع بحكمة بالغة؛ حسب توجيهات الملك خالد رحمه الله؛ الذي شدد على ثلاثة أمور:

١- الحرص على حياة الرهائن الأبرياء الذين تم احتجازهم من قبل

الطغاة، وعدم إراقة الدماء في الحرم المكي الشريف.

٢- الحرص على إلقاء القبض على أكبر عدد من المارقين أحياء؛ للتعرّف على مخططاتهم، والقوى الكامنة وراءهم.

٣- عدم الدخول في معارك؛ حفاظاً على أرواح القوات السعودية.

واستطاعت القوات السعودية بحمد الله تعالى القبض على معظم أفراد المجموعة المارقة الضالة، وإحكام السيطرة على جميع أرجاء المسجد الحرام، بتوجيهات من الملك خالد، ومتابعة من ولي العهد صاحب السمو الأمير فهد رحمهما الله، ومعاونة أصحاب السمو الأمراء الأمير سلطان وزير الدفاع، والأمير نايف وزير الداخلية رحمهما الله، والأمير فواز أمير مكة، وقد سارع الملوك والرؤساء في العالمين العربي والإسلامي، إلى إدانة هذا الحادث الأثيم، وأبدوا تأييدهم التام لحكومة الملك خالد رحمه الله.

كما استنكرت «رابطة العالم الإسلامي» هذا التصرف المشين، ودعت الله تعالى أن يحفظ الأمة الإسلامية من كيد أعدائها.

كما صدرت الفتوى الشرعية من أصحاب الفضيلة العلماء بالمملكة، والتي تحدد طبيعة التعامل الشرعي مع الشرذمة الباغية، التي انتهكت حرمة البيت العتيق؛ وذلك بناء على دعوة من الملك خالد رحمه الله، ونصت الفتوى على دعوتهم إلى الاستسلام، ووضع السلاح؛ فإن فعلوا قُبِل منهم وسُجنوا حتى يُنظر في أمرهم شرعاً، وإنْ امتنعوا: وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم، ولو أدَّى ذلك إلى قتلهم.

وباشرت الدولة مسؤولياتها تجاه انتهاك حرمة المسجد الحرام، والعبث بأمنه، وطمأنينته منطلقة في ذلك من تأييد أصحاب الفضيلة العلماء، وأصحاب الرأي في المملكة. وقد تم تطهير المسجد الحرام في خلال أيام من هذه الفئة، ونقل التليفزيون السعودي صورة حية للحرم، وعدد من المواطنين يطوفون حول الكعبة، ونقلت الصورة عبر الأقمار الصناعية إلى عدد من شبكات التلفاز العالمية، ولم يتبق من الفتنة الباغية غير عددٍ قليل مختبئ في سراديب الحرم.

وفي يوم ١٤٠٠/١/١٥هـ، الموافق ١٢/٤/ ١٩٧٩م، صدر البيان الثاني لصاحب السمو الأمير نايف وزير الداخلية رحمه الله، بانتهاء الفتنة، وورد البيان كما يلي: «إنه قد تم بعون الله وتوفيقه، في الساعة الواحدة والنصف من صباح هذا اليوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر محرم، عام ١٤٠٠هـ، تطهير قبو المسجد الحرام من جميع أفراد الطغمة الفاسدة الخارجة عن الدين الإسلامي؛ ممن كانوا في قبو المسجد الحرام؛ حيث أُسر بعضهم، وقُتل البعض الآخر، وسوف يصدر بيانٌ إلحاقي بالتفاصيل الكاملة، في وقت لاحقٍ إن شاء الله».

• بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة:

وقد صدر بيان تفصيلي من هيئة كبار العلماء بالمملكة، بشأن الاعتداء على المسجد الحرام، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، ﷺ على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله

وصحبه وبعد:

فبمناسبة انعقاد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام ١٤٠٠هـ. للنظر في الأعمال المدرجة في جدول أعمال هذه الدورة، رأت الهيئة أن من واجبها إصدار بيان بشأن الاعتداء على المسجد الحرام، من قبل الفئة المعتدية الضالة، التي كفى الله المؤمنين شر عدوانها، فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه.

فإنّ هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة، تستنكر من هذه الفئة المعتدية الظالمة فعلها الآثم، وعدوانها الغادر، وتعتبرها بذلك قد ارتكبت عدة جرائم.

أهمها ما يلي:

١- انتهاك حرم الله، وجعله ميداناً للقتل والقتال، وتحويله من حرم آمن إلى ساحة حربٍ، تسوده الفوضى والفزع والاضطرابات، والقتل والقتال، متجاهلين ما في ذلك من الوعيد الشديد، والإجرام البالغ.

قال الله تعالى: ﴿ومنْ يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذقه منْ عذابٍ أليم﴾ (الحج: ٢٥).

وفي صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ مكة حرّمها اللهُ ولم يُحرّمها الناس، لا يحلُ لامرئٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر، أنْ يسفكَ بها دماً، ولا يعضد بها شجراً، فإنْ أحدٌ ترخّص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إنّ الله أذِنَ لرسوله، ولم يأذنْ لكم،

وإنما أُذِنَ لي ساعةً من نهارٍ، وقد عادتْ حُرمتُها اليوم، كحُرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهدُ الغائب».

٢- سفك دماء المسلمين، في بلد الله الحرام - مكة المكرمة - وفي حرمه الآمن حيث قتل فيه على أيديهم، وبسبب فتنتهم العشرات من المسلمين، معصومي الدم والمال.

٣- الإقدام على القتال في البلد الحرام، وفي الشهر الحرام قال تعالى (يَسألونكَ عن الشهر الحرام قتالٌ فيه قلْ قتالٌ فيه كبيرٌ ... الآية) البقرة.

٤- الخروج على إمام المسلمين، وولي أمرهم، وهم مع إمامهم، وتحت ولايته وسلطانه، في حال من الاستقرار والتكاتف، والتآلف والتناصح، واجتماع الكلمة، يحسدهم عليها كثير من شعوب العالم ودوله، مستهينين بجريمة الخروج على ولي أمر المسلمين، وخلع ما في أعناقهم له من بيعة نافذة، جاهلين أو متجاهلين ما في ذلك من النصوص الشرعية، من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذينَ آمنُوا أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. النساء: ٥٩

وفي الصحيحين: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:«بايعنا رسول الله ﷺ على السّمع والطاعة في مَنْشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويسرنا، وأثرةٍ علينا، وأنْ لا نُنازعَ الأمر أهله قال : إلا أنْ تروا كفراً بُواحاً، عندكم فيه من الله برهان».

وفي صحيح مسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «منْ خَلعَ يداً من طاعةٍ، لقي اللهَ يوم

القيامة ولا حُجة له، ومن ماتَ وليس في عُنقه بيعة، ماتَ ميتةً جاهلية «.

وفي صحيح مسلم:عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «منْ أتاكم وأمركم جميعٌ، يُريد أنْ يشقَّ عصاكم، أو يُفرقَ جماعتكم، فاضربوا عنقه، كائناً مَنْ كان «.

٥- التسبب في تعطيل حَرَم الله مدةَ اعتدائهم عليه، من الشعائر الدينية، من صلاةٍ وذكرٍ وطواف، وتلاوة لكتاب الله، وغير ذلك من أنواع العبادات، حتى أنه مضى عليه جُمعتان لم تُصليا فيه، ولم ترفع من مآذنه نداءات الصلاة جمعة وجماعة.

قال تعالى: ﴿ومنْ أظلمُ ممنْ مَنعَ مساجدَ الله أنْ يُذكر فيها اسمه وسَعَى في خرابها الآية﴾(البقرة:١١٤).

٦- التغرير بمجموعة من الأغرار، والنساء والسذج وغيرهم، بزجهم في حظيرة هذا الطغيان الآثم، وتعريضهم لكثير من المآسي، وصنوف المشقة، والتسبب في قتل بعضهم.

٧- الانقياد لداعي الهوى والضلال، حيث قام مَنْ تولّى كبرَ هذه الفتنة، بالإشارة إلى أحدهم بأنه هو المهدي المنتظر وأعلن المطالبة بمبايعته، مع انتفاء ما يدل على ذلك، ووجود ما يُكذّبه.

وبناء على ما تقدم: فإنّ هيئة كبار العلماء، تعتبر هذه الفئة، فئةً ضالة آثمة، لاعتدائها على حرم الله، وعلى مسجده الحرام، وسفكها الدم الحرام، وقيامها بما يُسبب فُرقة المسلمين، وشق عصاهم، وبذلك دخلت تحت قوله سبحانه: ﴿ومنْ يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذقه

منْ عذابٍ أليم﴾ (الحج: ٢٥) وقوله: ﴿ومنْ أظلمُ ممنْ مَنعَ مساجدَ الله أنْ يُذكر فيها اسمه وسَعَى في خرابها الآية﴾(البقرة:١١٤).

والهيئة إذْ ترى في هذه الفئة الظالمة هذا الرأي، ترى أنّ في منشوراتها من الشبه الآثمة، والتأويلات الباطلة، والاتجاهات الضالة، ما يعتبر بذور شرٍ وفتنة وضلال، وطريقاً إلى الفوضى والاضطرابات، والتلاعب بمصالح البلاد والعباد، بدعاوى قد يغتر بعض السذج بظاهرها، وفي بواطنها الشر المستطير.

وإذْ تبين الهيئة ذلك وتستنكره، فإنها تُحذّر المسلمين جميعا مما في تلك المنشورات من الشبه الآثمة، والتأويلات الباطلة، والاتجاهات السيئة، كما أنّ الهيئة بهذه المناسبة، وبمناسبة القضاء على فتنتهم من حكومة جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز حفظه الله ووفقه، وأعانه على كل خير، تشكر الله سبحانه وتعالى أنْ يسّر أسباب القضاء عليها، وتسأله تعالى أنْ يحمي هذه البلاد وبلاد المسلمين عامة، من كل سوء، وأن يجمع شملها على الحق، ويعين ولاتها ويعزهم بالإسلام ويعز الإسلام بهم، ويجعل لهم من البطانة الصالحة، من إذا هموا بالخير أعانوهم عليه، وإذا جهلوه أرشدوهم إليه، وإذا نسوا ذكروهم إياه، وأنْ يُحق الحق ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون من ظالم وحاقد وماكر وحاسد، وتقدر الهيئة الجهود العظيمة التي بذلتها الحكومة في القضاء على هذه الفتنة، بطريقة اتسمت بالقوة والحكمة والبصيرة، وتشكر كل من ساهم في القضاء عليها بيده أو لسانه أو قلمه، وفي مقدمة هؤلاء جلالة الملك وولي عهده وأعوانه المخلصين، والقوات العسكرية بمختلف مسمياتها ورتب أفرادها، ونسأل الله سبحانه وتعالى لقتلاهم المغفرة والرحمة

وجزيل الثواب، ولأحيائهم الأجر العظيم والثبات على الحق والهدى، والله حسبنا ونعم الوكيل.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(المرجع: مجلة البحوث الإسلامية ج٥ ص ٣٢١،٣٢٤).

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة الخامسة عشرة:

عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

الأعضاء:

عبد الله بن محمد بن حميد.
إبراهيم بن محمد آل الشيخ.
صالح بن لحيدان.
عبد العزيز بن صالح.
صالح بن غصون.
عبد الله خياط.
راشد بن خنين.
عبد الله بن قعود.
عبد الرزاق عفيفي.
عبد المجيد حسن.
محمد بن علي الحركان.
محمد بن جبير.
عبد الله بن منيع.
سليمان بن عبيد.
عبد الله بن غديان.

بيان العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه اللّه في حادثة جهيمان:

كذلك قد كتب العلامة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى، في هذه الحادثة الآثمة، بياناً هذا نصه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه... أما بعد:

فإن الحادثة النكراء، والجريمة الشنعاء، التي قام بها جماعة

من المسلمين بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء الموافق ١/١/ من عام ١٤٠٠ هجرية، باقتحامهم المسجد الحرام، وإطلاقهم النار بين الطائفين والقائمين، والركع السجود، في بيت الله الحرام، أقدس بقعة وآمنها، قد أقضت مضاجع العالم الإسلامي، وألهبت مشاعره، وقابلها بالاستنكار الشديد، وما ذاك إلا لأنها عدوان على البيت الحرام، الذي جعله الله مثابةً للناس وأمنا، وانتهاك لحرمته، وحرمات البلد الأمين، والشهر الحرام، وترويع للمسلمين، وإشعال لنار الفتنة، وخروج على ولي أمر البلاد بغير حق.

ولا شك أن هذا الإجرام يعتبر من الإلحاد في حرم الله، الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (الحج:٢٥) ويعتبر ترويعا للمسلمين، وإيذاء لهم وظلما وعدوانا.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٥٨).

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾، (الفرقان:١٩).

وقال عز وجل: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، (الشورى:٨).

يضاف إلى ذلك حملهم السلاح، وإطلاقهم النار على رجال الأمن، الذين أرادوا إطفاء فتنتهم وحصل به المسلمين من شرهم، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ حَمَل علينا السلاح، فليس منا».

ونهي عن حمل السلاح في الحرم، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنّ

هذا البلد حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُسفك فيه دم، ولا يُعْضد فيه شجره».

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام:«إنّ هذا البلد لم يُحل القتال فيه لأحدٍ قبلي، ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار، وقد عادت حُرمتُه اليوم كحرمته بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد تعدّى شرّ هذه الفتنة وضررها، إلى كثير من الحجاج وغيرهم.

يضاف إلى ذلك إغلاقهم أبواب المسجد الحرام، ومنعهم بذلك الداخلين والخارجين، وبذلك تدخل هذه الطائفة تحت قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، (البقرة:١١٤).

وبالجملة فقد حصل بهذه الحادثة الشنيعة ظلمٌ كثير، وفساد عظيمٌ وبلاء كبير، ولا نعلم أنه مرّ بالمسجد الحرام مثل هذه الحادثة، لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

أما تبريرهم لظلمهم وعدوانهم وفسادهم الكبير، بأنّهم أرادوا إعلان البيعة لمن زعموه المهدي، فهذا تبريرٌ فاسد، وخطأ ظاهر، وزعم لا دليل عليه، ولا يجوز أنْ يستحلوا به حُرمة المسجد الحرام، وحرمة المسلمين الموجودين فيه، ولا يبيح لهم حمل السلاح وإطلاق النار على رجال الأمن، ولا على غيرهم، لأن المهدي المنتظر من لأمور الغيبية، التي لا يجوز لأي مسلم أنْ يجزم بأن فلانًا ابن فلان هو المهدي المنتظر، لأن ذلك قولٌ علىً الله وعلى رسوله بغير علم،

ودعوى لأمرٍ قد استأثر الله به حتى تتوافر العلامات والأمارات التي أوضحها النبي ﷺ وبين أنها وصف المهدي، وأهمها وأوضحها أن تستقيم ولايته على الشريعة، وأن يملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جورًا مع توافر العلامات الأخرى، وهي: كونه من بيت النبي ﷺ، وكونه أجلى الجبهة أقنى الأنف، وكون اسمه واسم أبيه يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه، وبعد توافر هذه الأمور كلها، يمكن المسلم أنْ يقول أنّ من هذه صفته هو المهدي.

أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي، فهو مخالفٌ للأدلة الشرعية ولإجماع أهل العلم والإيمان، لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر؛ لأن الله سبحانه أكمل لنبينا محمد ﷺ ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز لأحدٍ أن يعتمد شيئا من الأحلام في مخالفة شرعه عليه الصلاة والسلام، ثم أن المهدي قد أخبر النبي أنه يحكم بالشرع المطهر، فكيف يجوز له ولأتباعه انتهاك حرمة المسجد الحرام؟ وحرمة المسلمين؟ وحمل السلاح عليهم بغير حق؟ وكيف يجوز له الخروج على دولة قائمة، قد اجتمعت على رجل واحد وأعطته البيعة الشرعية فيشق عصاها ويفرق جمعها، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: «من أتاكم وأمركم جميع، يريد أنْ يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه كائناً من كان» [١٥٢].

ولما بايع النبي ﷺ أصحابه بايعهم على أن لا ينازعوا الأمر أهله،

١٥٢. خرجه مسلم في صحيحه

وقال: «إلا أنْ تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان».

وهذه الدولة - بحمد الله - لم يصدر منها ما يوجب الخروج عليها، وإنما الذي يستبيح الخروج على الدولة بالمعاصي هم الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالذنوب، ويقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، وقد قال فيهم النبي ﷺ إنهم: «يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية «وقال: أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة «متفق عليه. والأحاديث في شأنهم كثيرة معلومة، وقد قال النبي ﷺ: «منْ رأى من أميره شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية «.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث الحارث الأشعري: «وأنا آمركم بخمسٍ، الله أمرني بهن: الجهاد، والسّمع، والطاعة، والهجرة، والجماعة، فإنّ من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة...

نشر في العدد الخامس من مجلة البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٠هـ.

ثانيًا – غزو الكويت عام ١٩٩٠ م وموقف العلماء من التصدي للغزو والدعوة إلى تحرير الكويت

تمهيد:

الغزو العراقي للكويت هو هجوم شنه الجيش العراقي على الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ بقيادة الرئيس العراقي صدام حسين، واستغرقت العملية العسكرية يومين، وانتهت باستيلاء القوات العراقية على كامل الأراضي الكويتية في ٤ أغسطس، ثم شُكلت حكومة صورية برئاسة العقيد علاء حسين خلال ٤ – ٨ أغسطس تحت مسمى «جمهورية الكويت «ثم أعلنت الحكومة العراقية يوم ٩ أغسطس ١٩٩٠، ضم الكويت للعراق، وإلغاء جميع السفارات الدولية في الكويت، إلى جانب إعلان الكويت المحافظة (١٩) للعراق، وتغيير أسماء الشوارع والمنشآت، ومنها تغيير اسم العاصمة الكويتية.

ثم تشكلت الحكومة الكويتية في الطائف بالمملكة العربية السعودية، حيث تواجد أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح وولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح، رحمهما الله، والعديد من الوزراء، وأفراد القوات المسلحة الكويتية.

واستمر الاحتلال العراقي للكويت لمدة ٧ شهور، ثم انتهى الاحتلال بتحرير الكويت في ٢٦ فبراير ١٩٩١م بعد حرب الخليج الثانية.

وكان الموقف العربي والعالمي من الاحتلال، هو الرفض والإدانة، فصدرت إدانات فورية عربية ودولية ضد غزو العراق للكويت، من العديد من الدول، كما صدرت قرارات عديدة من مجلس الأمن،

وجامعة الدول العربية، وبعض المنظمات الدولية الأخرى، مطالبة حكومة العراق بالانسحاب الفوري من الكويت، إلا أن النظام العراقي رفض تغليب صوت الأخوة الإسلامية، وحق الجار، بل أبى أن ينصاع للحكمة والعقل.

واجتمع مجلس الأمن، وأصدر قرارًا يندد بالاحتلال العراقي، وفي ٦ أغسطس ١٩٩٠م صدرت قرارات من مجلس الأمن الدولي فرضت عقوبات على العراق وحظرت التعامل معه، إلا في المواد الطبية والغذائية، وفي الشهر نفسه، أعلنت الولايات المتحدة عن إرسال جنودها إلى منطقة الخليج. ولم يمض وقت طويل حتى تشكل ضد العراق التحالف الذي أطلق عليه عاصفة الصحراء، وضم تسعًا من الدول العربية، من بينها الكويت، وثلاثين دولة غير عربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي فجر السبت ١٧ يناير ١٩٩١م، بدأت قوات التحالف قصفًا جويًا لأهداف صناعية وعسكرية في العراق، ولاحقًا في الكويت، طوال خمسة أسابيع متواصلة. وكانت هذه العملية ترمي في المرحلة الأولى إلى تدمير القوة الهجومية لدى العراق.

وفي ٢٤ فبراير ١٩٩١ بدأت المرحلة الثانية للحرب، حين شنت قوات التحالف هجومًا بريًا على جبهات عدة في وقت واحد متقدمة نحو الكويت وجنوبي العراق. ولكن مقاومة القوات العراقية في الكويت كانت هشة، وانقطعت عنها خطوط الإمدادات، فاستسلمت، وبعد يومين أمر صدام حسين قواته بالانسحاب، فأعلنت دول التحالف في ٢٨ فبراير ١٩٩١م وقف جميع عملياتها العسكرية ضد العراق.

موقف العلماء من التصدي للغزو والدعوة إلى تحرير الكويت:

بيان الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه.

أما بعد: أيها الإخوان المسلمون في كل مكان نظرا لما جرى من حوادث في اليوم الحادي عشر من هذا الشهر من شهر الله المحرم عام ١٤١١ هـ من العدوان الأثيم، والظلم العظيم، من رئيس دولة العراق على دولة الكويت، وذلك باجتياحه بلاد الكويت بجيوشه، مزودة بأنواع الأسلحة المدمرة، وما حصل بسبب ذلك من الفساد العظيم، وسفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الأعراض، وتشريد الآمنين، بسبب هذا كله كثر السؤال عن هذا الحادث، وعما ينبغي نحوه، ورأيت أنه من الواجب إخبار المسلمين فيما يتعلق بهذا الحادث، وما يجب على المسلم نحوه، فأقول:

لا شك أن هذا الحادث من رئيس دولة العراق، حادث أليم، وعدوان كبير، على دولة مجاورة آمنة، يجب على جميع الدول الإسلامية وغيرها، وعلى جميع المسلمين، إنكار ذلك وشجبه، وبيان أنه عدوان أثيم، وظلم كبير.

يجب على رئيس دولة العراق أن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت وأن يحذر مغبة ذلك في الدنيا والآخرة والظلم عاقبته وخيمة والله عز وجل يقول في كتابه المبين: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾، (الشورى: ٨).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾، (الفرقان: ١٩).

ويقول النبي ﷺ: «اتقوا الظُلم، فإنّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة».

ويقول الله عز وجل فيما رواه عنه نبيه ﷺ: «يا عبادي إني حُرّمت الظلم، على نفسي وجعلته بينكم مُحرمًا، فلا تظالموا».

لا شك أن هذا العدوان من أقبح الظلم، ولا شك أيضًا أنه مخالف للتعاليم الإسلامية، والمواثيق الدولية، حري صاحبه بالعقوبة العاجلة والآجلة.

والمشاكل بين الجيران وبين القبائل وبين الدول، لا تحل بالظلم والعدوان، ولكن تحل بالطرق السلمية، والصلح أو بالحكم الشرعي، أما حلها بالظلم والعدوان والسلاح، وقتل الأبرياء، ونهب الأموال، وغير هذا من أنواع الفساد، فهذا لا تقره شريعة إسلامية، ولا يقره ميثاق دولي، ولا عرف بين الناس، بل مخالف للأعراف، ومخالف للمواثيق الدولية، كما أنه مخالف لشرع الله المطهر.

والواجب على الدول الإسلامية وغيرها، والعربية وغيرها إنكاره، وقد وقع ذلك، وأجمع العالم على إنكاره، ولا شك أنه جدير بالإنكار، فالواجب على دولة العراق أن تسحب جيوشها من دولة الكويت، وأن

تبادر بذلك، وأن تلغي هذه المشكلة الخطيرة، وأن تحل المشكلة بينها وبين الكويت بالطرق السلمية، التي أوضحها الإسلام، ودرج عليها المسلمون، ودرج عليها كل من له أدنى بصيرة، وأدنى رغبة في الحق والعدل والإنصاف.

وهذه المسألة كغيرها من المسائل، التي تقع بين الناس، سواء كان ذلك بين دول وقبائل أو غير ذلك يجب أن تحل بالطرق الشرعية، ويحرم حلها بالظلم والعدوان، والصلح جائز بين المسلمين، كما قال جل وعلا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، (النساء:١٢٨).

وفي الحديث الشريف: يقول عليه الصلاة والسلام: «الصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلا صلحًا حرّم حلالاً، أو أحل حراما».

فإذا تيسر الصلح الذي لا يخالف شرع الله، بل يتحرى فيه العدل والإنصاف والقسط، فذلك جائز فإنْ لم يتيسر ذلك، وجب الرجوع إلى حكم الله، كما قال عز وجل في كتابه المبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، (النساء: ٥٩).

فقد أجمع العلماء على أنّ الرد إلى الله سبحانه، هو الرد إلى كتابه العظيم القرآن، وأن الرد إلى الرسول ﷺ، هو الرد إليه في حياته ﷺ، والرد إلى سنته الثابتة بعد وفاته ﷺ وعلى آله وصحبه وهذا هو خير للمسلمين وفيه العاقبة الحميدة وهو الواجب على كل من آمن بالله واليوم الآخر وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، (الشورى:١٠).

وهذا عام في جميع المسائل بين الدول والشعوب وغير ذلك وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، (النساء: ٦٥).

يعني النبي ﷺ ويقول سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، (المائدة:٥٠).

فالواجب على جميع الدول وجميع الجماعات وجميع القبائل وجميع المسلمين في كل مكان أن يرجعوا إلى حكم الله فيما يتنازعون فيه ويختلفون فيه وأن يحذروا العدوان والظلم وأن تحل المشاكل بينهم بالطرق السلمية والوسائط العاقلة الطيبة فإن لم يتيسر ذلك وجب الحل بالحكم الشرعي لا بالعدوان والظلم.

وهذه المسألة التي بين الكويت والعراق، يجب أن تحل بمحكمة شرعية، من العلماء المعروفين بالعلم والفضل والاستقامة، ليحلوها على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذا لم يتيسر الصلح.

وهكذا جميع المشاكل، التي تعم وتعرض بالدول الإسلامية أو العربية، في كل مكان تحل بهذه الطريقة، بالصلح إن تيسر، لا بالعدوان والظلم.

ولا شك أنّ كل ما يجري بين الناس من الفساد والشرور والظلم، كل ذلك بأسباب الذنوب والمعاصي، كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، (الشورى:٣٠).

وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، (النساء: ٧٩).

وقال جل وعلا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، الروم،:٤١).

فالواجب على جميع المسلمين التوبة إلى الله من جميع الذنوب، وذلك بالندم على الماضي منها، والإقلاع عنها والعزم الصادق على عدم العودة فيها، وهذه هي التوبة النصوح، وإذا كان الذنب يتعلق بحق المخلوق، فلا بد من التحلل من المخلوق، وسماحه إذا كان مرشدا، أو ردّ مظلمته إليه وإعطائه حقه، ولا تتم التوبة إلا بذلك، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (النور:٣١).

ففي التوبة الفلاح، والظفر بكل خير، والسلامة من كل شر في الدنيا والآخرة، وقال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، (التحريم :٨) .

والنبي ﷺ يقول: «التائب من الذنب، كمن لا ذنبَ له».

فعلى جميع المسلمين في كل مكان، أن يراقبوا الله، وأن يستقيموا على دينه، وأن يسارعوا إلى ما أوجب عليهم، وإلى ترك ما حرم الله عليهم، وأنْ يتناصحوا فيما بينهم، ويتعاونوا على البر والتقوى، ويتواصوا بالحق والصبر عليه، عملاً بقول الله عز وجل:﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، (العصر:٣).

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثلِ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وقوله ﷺ: «المؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه.

فالتناصح في الله، والتواصي بالحق، من أهم المهمات، وأعظم الواجبات، في حق الأفراد والجماعات والشعوب.

ويجب على رئيس دولة العراق أن يتوب إلى الله، وأن يبادر بالرجوع إليه والتوبة بما وقع منه من ظلم، والمسارعة إلى إخراج جيشه من الكويت حتى تهدأ الفتنة، وحتى تعود الأمور إلى نصابها، ويحصل التقارب في حل المشكلة بالطريقة التي ذكرتها آنفا، وهذا قول جميع أهل العلم، ليس في هذا نزاع، وهو أن جميع المشاكل بين الدول والجماعات والقبائل والأفراد، يجب أن تحل بالحل الشرعي، إذا لم يحسن حلها بالطرق السلمية، والصلح الشرعي الذي لا يخالف شرع الله.

وأما ما حصل من الحكومة السعودية، لأسباب هذه الحوادث، المترتبة على الظلم الصادر من رئيس دولة العراق لدولة الكويت، من استعانتها بجملة من الجيوش التي حصلت من جنسيات متعددة، من المسلمين وغيرهم، لصد العدوان وللدفاع عن البلاد، فذلك أمرٌ جائز، بل تحتمه وتوجبه الضرورة، وأنّ على المملكة أن تقوم بهذا الواجب.

لأن الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وعن حرمة البلاد وأهلها، أمر لازم بل متحتم، فهي معذورة في ذلك، ومشكورة على مبادرتها لهذا

الاحتياط، والحرص على حماية البلاد من الشر وأهله، والدفاع عنها من عدوان متوقع قد يقوم به رئيس دولة العراق؛ لأنه لا يؤمن بسبب ما حدث منه مع دولة الكويت، فخيانته متوقعة.

فلذلك دعت الضرورة إلى الأخذ بالاحتياط، والاستعانة بالجيوش المتعددة الأجناس، حمايةً للبلاد وأهلها، وحفظًا للأمن، وحرصًا على سلامة البلاد وأهلها من كل شر.

ونسأل الله أن يثيبها على ذلك، ويوفقها لكل خير، وأن ينفع بالأسباب، ويحسن العاقبة، وأن يكبت كل ذي شر، ويشغله في نفسه، وأن يجعل كيد أعداء الله في نحورهم، ويكفي المسلمين شرهم، إنه جل وعلا خير مسئول.

وأسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهديهم الصراط المستقيم، وأن يكبت كل عدو للإسلام والمسلمين، وأن يشغله في نفسه، وأن يعيذ المسلمين من شره، وأن يجعل فيما أجرته الحكومة السعودية الخير للمسلمين، والعاقبة الحميدة، وأن يبارك في جهودها، ويسدد خطاها، وأن يحسن العاقبة لها، ولجميع المسلمين إنه جل وعلا جواد كريم...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

كتبه/الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بأمريكا

تمهيد:

أحداث ١١ من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م هي مجموعة من الهجمات الإرهابية التي شهدتها الولايات المتحدة، في يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م.

فقد تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية، وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة، نجحت في ذلك ثلاث منها، والأهداف تمثلت في برجي مركز التجارة الدولية بمنهاتن بنيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون).

وقد سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية و٢٤ مفقودا، إضافة لآلاف الجرحى والمصابين بأمراض جراء استنشاق دخان الحرائق، والأبخرة السامة، وحسب الرواية الرسمية للحكومة الأمريكية، يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نفذ ١٩ شخصا على صلة بتنظيم «القاعدة «هجمات باستعمال طائرات مدنية مختطفة. وقد انقسم منفذو العملية إلى أربعة مجاميع ضمت كل منها شخصًا تلقى دروسًا في معاهد الملاحة الجوية الأمريكية، وتم تنفيذ الهجوم عن طريق اختطاف طائرات نقل مدني تجارية، ومن ثم توجيهها لتصطدم بأهداف محددة. وتمت أول هجمة حوالي الساعة ٨:٤٦ صباحا بتوقيت نيويورك، حيث اصطدمت إحدى الطائرات المخطوفة بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي، وبعدها بدقائق، في حوالي الساعة ٩:٠٣، اصطدمت طائرة أخرى بالبرج الجنوبي.

وبعد ما يزيد على نصف الساعة، اصطدمت طائرة ثالثة بمبنى البنتاغون.

والطائرة الرابعة كان من المفترض أن تصطدم بهدف رابع، لكنها تحطمت قبل الوصول للهدف.

وبعد ساعات من أحداث ١١ سبتمبر، وجهت الولايات المتحدة أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة، وزعيمها أسامة بن لادن، وقد ظهر ابن لادن بصوته وصورته على شاشات التلفاز، وهو يتحدث ويعترف بهذه التفجيرات الإجرامية، ويعلن مسؤولية تنظيم القاعدة عن الهجوم، ويسميها زورً وبهتانًا بالغزوات؟!

موقف كبار العلماء بالسعودية من حادثة ١١ سبتمبر بأمريكا:

فإن هيئة كبار العلماء بالسعودية، وهي المؤسسة الرسمية الشرعية المخوّلة بالإفتاء، قد أصدرت بيانات واضحة تحرم الإرهاب وتجرمه، حيال ما حدث في أمريكا وغيرها، من عمليات اختطاف الطائرات، أو الاعتداء على الممتلكات، والتفجير في البلاد الغربية، كالقرار المؤرخ في ١٤٠٩/١/١٢هـ، والبيان المؤرخ في ١٤١٦/٦/٢٢هـ، والبيان المؤرخ في ١٤١٧/٢/١٣هـ، والبيان المؤرخ في ١٤٢٤/٦/١٤هـ.

ونركز هنا علي البيان الأوضح الشامل بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٤٣١ الموافق ١٢ أبريل ٢٠١٠م، فهو ينسحب على كل الأعمال الإرهابية التي تتعرض لها دول العالم، وليس السعودية فقط.

وبقرار هيئة كبار العلماء بالسعودية هذا، يكون كل عمل إرهابي، يضرب أيًّا من العواصم العالمية، عملاً مرفوضا ومجرّماً، كما حثّ على محاربة الإرهاب بكافة أنواعه وصوره.

ونص القرار الصادر عن هيئة كبار العلماء بالسعودية أيضًا: على «تجريم تمويل الإرهاب»، وشدد القرار على خطورته، واعتبار الممول «شريكاً» في الجرم، كما اتضح لها من النصوص الشرعية.

ولم يتضمن قرار هيئة كبار العلماء، تحديد عقوبة محددة لممولي الإرهاب، حيث ترك القرار هذا الأمر للقضاء الشرعي، لتقرير العقوبة المستحقة شرعاً، على مرتكب فعل التمويل.

كما يتضح من قرار هيئة كبار العلماء، أنه نأى بالعمل الخيري عن مسؤولية دعم الإرهاب وتمويله، في الوقت الذي يتحمل الأفراد المتورطين في استغلال العمل الخيري مسؤولية الأمر، حيث استثنت الهيئة الأعمال الخيرية التي تستهدف الفقراء وإنشاء المستشفيات والمدارس، باعتبارها أعمالاً خيرية تحث عليها الشريعة الإسلامية.

وتكون هيئة كبار العلماء، باتخاذ هذا القرار، قد توصلت إلى تعريف يجرّم كافة الأعمال الإرهابية التي قام بها عناصر تنظيم القاعدة على الأراضي السعودية منذ ١٢ مايو (أيار) ٢٠٠٣ م، فيما تعتبر أحداث ١١ سبتمبر التي اختطف فيها ١٩ من عناصر التنظيم ٣ طائرات مدنية «مجرمة»، طبقًا للقرار الذي توصل إليه العلماء السعوديون.

وفيما يلي نص القرار:

قرار رقم (٢٣٩) وتاريخ ١٤٣١/٤/٢٧هـ:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن هيئة كبار العلماء، في جلستها العشرين الاستثنائية، المنعقدة في مدينة الرياض بتاريخ ١٤٣١/٤/٢٥هـ، تشير إلى ما سبق أن صدر عنها من قرارات وبيانات فيما يقوم به المفسدون في الأرض بما يزعزع الأمن، ويهتك الحرمات في البلاد الإسلامية وغيرها؛ كالقرار المؤرخ في ١٤٠٩/١/١٢هـ، والبيان المؤرخ في ١٤١٦/٦/٢٢هـ، والبيان المؤرخ في ١٤١٧/٢/١٣هـ، والبيان المؤرخ في ١٤٢٤/٦/١٤هـ.

وقد نظرت الهيئة في حكم: «تمويل الإرهاب «باعتبار أن الإرهاب جريمة تستهدف الإفساد؛ بزعزعة الأمن، والجناية على الأنفس والأموال، والممتلكات الخاصة والعامة، كنسف المساكن والمدارس، والمستشفيات والمصانع والجسور، ونسف الطائرات أو خطفها، والموارد العامة للدولة كأنابيب النفط والغاز، ونحو ذلك من أعمال الإفساد والتخريب المحرمة شرعًا، وأنّ تمويل الإرهاب إعانة عليه، وسبب في بقائه وانتشاره.

كما نظرت الهيئة في أدلة «تجريم تمويل الإرهاب» من الكتاب والسنة وقواعد الشريعة، ومنها قول الحق جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، (المائدة:٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾، (البقرة:٢٠٥). وقال تعالى:﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾. (الأعراف: ٨٥).

وفي صحيح مسلم: من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعنَ اللهُ من آوى محدثاً «الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: «وفيه: أن المُحدِث والمؤوي للمحدث، في الإثم سواء».

ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية: أنّ للوسائل حكم الغايات، ولما جاء في الشريعة من الأمر بحفظ الحقوق والعهود، في البلاد الإسلامية وغيرها.

لذلك كله فإنّ الهيئة تقرر: أن تمويل الإرهاب أو الشروع فيه، محرمٌ وجريمة معاقب عليها شرعًا، سواء بتوفير الأموال أم جمعها، أم المشاركة في ذلك، بأي وسيلة كانت، وسواء كانت الأصول مالية أم غير مالية، وسواء كانت مصادر الأموال مشروعة أم غير مشروعة، فمن قام بهذه الجريمة عالمًا، فقد ارتكب أمرًا محرمًا، ووقع في الجرم المستحق للعقوبة الشرعية، بحسب النظر القضائي.

وتؤكد الهيئة: أن تجريم تمويل الإرهاب، لا يتناول دعم سُبل الخير، التي تُعنى بالفقراء في معيشتهم من طعام أو شراب أو مسكن، وعلاجهم، وتعليمهم؛ لأن ذلك مما شرعه الله تعالى في أموال الأغنياء، حقًا للفقراء.

وإن هيئة كبار العلماء إذْ تُقرر هذا، فإنها تُوصي المسلمين جميعًا بالتمسك بالدين، وهدي نبينا الكريم ﷺ، والكف عن كل عملٍ من شأنه الإضرار بالناس، والتعدي عليهم.

ونسأل الله عز وجل لهذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية، وعموم بلاد المسلمين، الخير والصلاح والحفظ وجمع الكلمة، وأن يصلح حال البشرية أجمعين بما يحقق العدل وينشر الفضل.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ووقع على قرار الاجتماع:

مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، وجميع أعضاء هيئة كبار العلماء المشايخ:

صالح اللحيدان، صالح الحصين، د. صالح بن حميد، د. عبد الله التركي، عبد الله الغديان، عبد الله بن منيع، د. صالح الفوزان، د. عبد الوهاب أبو سليمان، د. عبد الله آل الشيخ، د. أحمد مباركي، د. عبد الله المطلق، د. يعقوب الباحسين، د. عبد الكريم الخضير، د. علي حكمي، عبد الله الخنين، د. محمد المختار، محمد آل الشيخ، د. قيس آل الشيخ مبارك، ود. محمد العيسى.

وقرار تجريم تمويل الإرهاب، الذي توصلت إليه الهيئة، ليس الأول في سياق تجريم العمل الإرهابي بشكل عام، بل للهيئة الشرعية بيانًا سابقًا، سبق ما حدث في أمريكا بسنوات.

فقد كانت هيئة كبار العلماء، قد أصدرت أول قراراتها التي أدانت

فيها الإرهـاب، بصدور القـرار رقم (١٤٨) وتاريخ ١٤٠٩/١/١٢هـ الموافق: ٢٥ / ٨ / ١٩٨٨م، الذي تصدت فيه الهيئة لبدايات تشكل الصور الإجرامية، التي تضرب عموم النـاس، وتـزعـزع الأمـن في المجتمعات.

وفيما يلي نص القرار:

قرار رقم: (١٤٨) الصادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٤٠٩/١/١٢هـ:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.وبعد:

فإنّ مجلس «هيئة كبار العلماء» في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف ابتداء من ١٤٠٩/١/١٢هـ إلى ١٤٠٩/١/١٨هـ بناءً على ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب، ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء، وتلف بسببها كثير من الأموال، والممتلكات والمنشآت العامة، في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها، قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه، من ذوي النفوس المريضة والحاقدة.

ومن ذلك: نسف المساكن، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة، ونسف الجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها، وحيث لُوحظ كثرة وقوع مثل هذه الجرائم في عدد من البلاد القريبة والبعيدة، وبما إن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان، عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية، فقد رأى مجلس هيئة كبار العلماء

ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً، سواء كان موجهاً ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية، أو كان موجهاً لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن.

وقد اطلع المجلس على ما ذكره أهل العلم، من أن الأحكام الشرعية تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس، والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة، وهي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال.

وقد تصور المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء على حرمات المسلمين في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تُسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد، ونشوء حالة الفوضى والاضطراب، وإخافة المسلمين وممتلكاتهم.

والله سبحانه وتعالى قد حفظ للناس أديانهم، وأبدانهم وأرواحهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص، ومما يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾. (المائدة: ٣٢).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾، (المائدة).

وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان، وردع من تسوله له نفسه الإجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم،

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها على السواء، لقوله سبحانه: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾. (البقرة).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾. سورة (الأعراف:٨٥).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضر بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك. اهـ

وقال القرطبي: نهى سبحانه وتعالى عن كل فسادٍ قل أو كثر، بعد صلاح قل أو كثر، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال اهـ.

وبناءً على ما تقدم، ولأن ما سبق إيضاحه يفوق أعمال المحاربين، الذين لهم أهداف خاصة، يطلبون حصولهم عليها من مال أو عرض، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن وتقويض بناء الأمة، واجتثات عقيدتها، وتحويلها عن المنهج الرباني.

إن المجلس يُقرر بالإجماع ما يلي:

أولًا: منْ ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض، التي تزعزع الأمن، بالاعتداء على النفس والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن، أو المساجد، أو المدارس، أو

المستشفيات، والمصانع، والجسور، ومخازن الأسلحة والمياه، والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك، فإنّ عقوبته القتل، لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض، يقتضي إهدار دم المفسد، ولأنّ خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية، وضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق، فيعتدي على شخصٍ فيقتله، أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه، بما ذكر في آية الحِرابةً.

ثانيًا: أنه لا بد قبل إيقاع العقوبة، المشار إليها في الفقرة السابقة، من استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة، من جهة المحاكم الشرعية، وهيئات التمييز، ومجلس القضاء الأعلى، براءة للذمة واحتياطاً للأنفس، وإشعاراً بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً، لثبوت الجرائم وتقرير عقابها.

ثالثًا: يرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه...

مجلس هيئة كبار العلماء

المبحث الثالث

خطط الجماعات الإرهابية في تجنيد الشباب: الآلية وكيفية المواجهة

(رؤية كويتية)

إعداد

د. فهد الشليمي

د. فهد الشليمي في سطور

- العقيد الركن متقاعد الدكتور فهد رفاعى الشليمى.
- خبير أمني واستراتيجي في الامم المتحدة.

المناصب الوظيفية

- خبير أمنى وضابط أمن ميدانى معتمد من إدارة الأمن والسلامة بالأمم المتحدة.
- مسؤول الأمن المحلي في الأمم المتحدة مكتب الكويت ٢٠٠٨.
- مستشار وضابط التنسيق والمتابعة في لجنة متابعة القرارات الأمنية بمجلس الوزراء سابقا ٢٠٠٦.
- محاضر غير متفرغ لمادة الإدارة العامة في الجامعة العربية المفتوحة سابقا ٢٠٠٦.
- رئيس لجنة المساعدات الانسانية في القيادة المركزية الامريكية. ٢٠٠٣.
- المتحدث الإعلامي للجنة المساعدات الإنسانية في القيادة المركزية ٢٠٠٣.
- ضابط الارتباط العسكري لدي قيادة القوات الأمريكية الوسطي في تامبا – فلوريدا ٢٠٠٢م.
- ضابط العمليات الخاصة في رئاسة الأركان العامة للجيش ٢٠٠٠.

- عضو أكاديمي في كلية مبارك العبدلله للقيادة والأركان العسكرية.
- ضابط الاستخبارات والأمن في إدارة التفتيش العسكري.
- قائد سرية المغاوير في كتيبة المغاوير.

المؤهلات العلمية

- الدكتوراة من الجامعة الأمريكية في لندن – (تأثير الإرهاب على دول الخليج).
- ماجستير علوم الإدارة العامة من الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٠٠م.
- ماجستير العلوم العسكرية من دولة الكويت ١٩٩٧ – ١٩٩٨م.
- شهادة كلية القيادة والأركان من الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م.
- بكالوريوس إدارة نظم المعلومات من الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٩٦م.
- دبلوم العلوم العسكرية من الكلية العسكرية في دولة الكويت ١٩٨١.

الدورات التدريبية

- شارك في العديد من الدورات التدريبية في كثير من دول العالم.

المؤتمرات والمشاركات

- كما شارك في العديد من المؤتمرات في المنظمات والجمعيات المختلفة.

الدراسات والمقالات والبحوث

له العديد من المقالات المنشورة والدراسات.

مقدمة

يعيش العالم منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ هاجساً قوياً مليئًا بالخوف والشك من الجماعات المتطرفة دينيًا وعقائديًا وحزبيًا. وقد عاني العالم العربي والإسلامي وحاليًا العالم بأسره يعاني من هذا التطرف الممتد منذ فترة الثمانينيات إلى يومنا الحاضر. وقد عانت بعض دول الخليج العربي، وبالتحديد المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين من بعض الحوادث الإرهابية المتفرقة والموجهة بالذات إلى ضيوف هذه البلدان، خصوصًا من الجنسيات الغربية. وها هي دول الربيع العربي المزعوم تتهاوى مجتمعاتها وكياناتها بسبب التطرف والإرهاب الناتج من ظهور جماعات التشدد الديني والمذهبي للعلن.

بعد اندلاع ثورات الربيع العربي المزعوم في سنة ٢٠١١م والذى اتضح أنه خريفٌ عربيٌ – غربيٌ – اسرائيليٌ حيث عصفت رياح الفرقة والتشرذم والانفجار الطائفي والمناطقي والعرقي في معظم الدول التي حدثت بها هذه الثورات؛ فليبيا وسوريا واليمن وبشكل أقل في مصر وبشكل مختلف ومذهبي في البحرين الخليجية عانت بعض من هذه الدول ومازالت تعانى من بعض أثاره المدمرة وهى التي كانت تنادى بشعارات العدالة والمساواة والحرية والحياة الرغدة والتي حلَّ محلها الحاجة إلى الأمن والغذاء والدواء وعانت من التدهور الاقتصادي الكبير والذى أثر تأثيرًا مباشرًا على جميع وجوه الحياة في هذه الدول. وتلعب الدول والمجتمعات دورًا كبيرًا ومؤثرًا في مكافحة التطرف والحد من الغلو في الأفكار والآراء

المتشددة او المتحررة وخصوصًا في الآونة الأخيرة التي شهدت زيادة غير مسبوقة في معدلات التطرف الطائفي والعرقي أو الديني فموجة التطرف وخلال نهاية القرن العشرين قد زادت معدلاتها إلى نسبًا كبيرة كما ظهرت زيادة واضحة في جمهور المؤيدين لها، ويتوقع مجلس الاستخبارات الوطني الأمريكي زيادة العمليات الإرهابية بنسبة ١٥٪ فى دراسة تم تقديمها فى عام ٢٠١٠ وأكاد أجزم أن العمليات الإرهابية خلال فترة ٤ سنوات قد زادت عن هذه النسبة المتوقعة.

فالقارة الأوربية وخصوصًا في فرنسا وألمانيا وبعض دول أوربا الشرقية السابقة تشهد تطرفًا وتشددًا مبنيًا على القومية والعرقية وروسيا وبريطانيا وألمانيا تشهد تطرفا من جماعات «ذوى الرؤوس الحليقة العنصرية» والجماعات المعادية للإسلام والتي تلقى باللوم على التدهور الاقتصادي والأمني الحادث في بلدانها على العرقيات والأقليات الأخرى، أما في شبه القارة الهندية فإننا نشاهد مجموعات التطرف الهندوسي والمزج ما بين التطرف الديني والسياسي ضد المجموعات المجتمعية الأخرى وخصوصا ضد الفئات الهندية المسلمة، وفي باكستان والتي تكتوي بنار التشدد والتطرف الإسلامي التي تمارسه حركة طالبان باكستان ضد القوات الحكومية وضد فئات الشيعة المسلمين عبر مهاجمة مراكز العبادة الشيعية، وفي جمهورية سيريلانكا التي عانت من الصراع بين نمور التأميل الثورية والقوات الحكومية وإن خفت حدَّتها في السنوات الأخيرة، وفي جمهورية ميانمار ذات الحكم العسكري تمارس الأكثرية البوذية أسوأ أشكال العنصرية والقتل والتشريد ضد المسلمين الروهنجا

والتي تم تشريدهم من ديارهم وقراهم ووضعهم في مناطق احتجاز مؤقتة وتم تشريد البعض منهم إلى جمهورية بنغلاديش الفقيرة الموارد.

وفي أفريقيا السوداء سوف نشاهد أشكالاً متعددة من التطرف القبلي والعرقي والديني والطائفي فالصراع بين الجماعات الإرهابية الإسلامية ضد الجماعات المسيحية كان ومازال واضحًا عبر الممارسات اللا إنسانية التي تقوم بها جماعة بوكو حرام المتطرفة ضد المجتمعات المسيحية وقد أعلنت هذه الجماعة ولاءها لمنظمة داعش الإرهابية مؤخرًا، ويقابل هذه الجرائم التي تقوم بها بوكو حرام في نيجيريا جرائم أخرى بنفس دينيٍّ مسيحيٍّ ضد الأقليات المسلمة في جمهورية أفريقيا الوسطى والتي عانت من القتل والتشريد خلال الأشهر الماضية، وفي جمهورية رواندا شاهدنا الصراع الوحشي القبلي بين قبائل التوتسي والهوتو في منتصف التسعينات، وفي الساحل الأفريقي مازالت الصومال منقسمة ونشاط جماعات القاعدة مازال مستمرًا عبر حركة الشباب الصومالية التي تدين بالولاء لفكر القاعدة المتطرف، واذا سلطنا الضوء على واقع الحال العربي بشكل عام وعلى بلدان الربيع العربي بشكل خاص والتي فتك بها الربيع العربي وجعلها أرضًا قاحلة متدهورة ومفلسة اقتصاديًا ومتفككة اجتماعيًا نجد أنها على وشك أن تصبح كيانات ضعيفة هشة منقسمة مناطقيًا وطائفيًا وعرقيًا وتفتقر إلى خطة الوصول لمسار مستقبلي وذات ولاءات متعددة ومتقلبة ليس لديها الرؤية السياسية ولا المشاريع التنموية وليست لها قابلية الاستمرار والاستقرار والتعايش والتوافق.

الوضع السوري:

يستمر نظام الأسد في استخدام القوة العسكرية ضد شريحة كبيرة من الشعب السوري واستهداف المدنيين مما جعل الانقسام كبيرًا بين النظام والشعب وساهم في انتشار التطرف الطائفي بين مكونات الشعب السوري نتيجة للتحشد الطائفي والانقسام في الإقليم السوري فشاهدنا بعض الجماعات الموالية لفكر القاعدة مثل «جبهة النصرة» وقيام وبروز منظمة داعش الإرهابية وانتشارها في العديد من المحافظات السورية وقد امتد نشاطها ونفوذها وقبولها الى المناطق السنية العراقية في مناطق غرب وشمال بغداد وذلك نتيجة للسياسات الطائفية التي مارسها رئيس وزراء العراق السابق نورى المالكي والذي تم تعيينه كأحد نواب رئيس الجمهورية، فالعنف والاصطفاف الطائفي من بعض الميليشيات الشيعية والمدعومة بشكل مباشر من إيران جعل التطرف الأصولي يزداد وينتشر في بعض المناطق السورية والعراقية وخلق بيئة خصبة لوجود وانتشار الجماعات الأصولية المتطرفة التي تمارس وحشية التطرف ضد الأهالي والأقليات من جميع الطوائف والمذاهب ولا تستثني أحدًا حتى من المواطنين السنة الذين تم إعدامهم بدم بارد ونحرهم أمام الكاميرات وأمام أنظار العالم التطرف لا يفرق بين الفئات والطوائف والجماعات وقد كان رد فعل بعض الميليشيات الشيعية متطرفًا أيضًا من حيث القسوة والعنف والتهجير والاغتصاب ضد بعض فئات السنة مما خلق حافزًا ودافعًا لقدوم العديد من الجماعات الأجنبية من دول وأقاليم متعددة من مختلف أنحاء العالم فشاهدنا مقاتلين إرهابيين من الشيشان وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وأستراليا وتونس ومن

منطقة الخليج العربي القريبة جغرافيًّا من سوريا والعراق فشاهدنا مواطنين من الكويت والسعودية وقطر والبحرين المتشبعين بالفكر الإرهابي الذى يقوم على تكفير المجتمعات كلها والذي تم تضليلهم من بعض من يدَّعون التدين والعلم الشرعي والذين جعلوا شباب المنطقة وقودًا للحروب الطائفية ونشر الفوضى بين مجتمعاتهم والمجتمعات المجاورة لهم. وفي نفس الوقت نجد النزعة والنفس العنصري الديني يزداد في فلسطين المحتلة عبر قرارات حكومة الاحتلال الإسرائيلي والتي تنادي بدولة يهودية خالصة وخالية من أتباع الديانات الأخرى وبالأحرى خلق دولة عنصرية يهودية.

الدور الإيراني:

يلعب الإيرانيون وخصوصًا مجموعات الحرس الثوري والاستخبارات الإيرانية دورًا مؤثرًا في العديد من مناطق الجوار العربي لإيران فمليشيات حزب الله الطائفية وبعض العناصر الإيرانية تقاتل في سوريا وتلعب دورًا سياسيًا معطِّلًا للتفاهمات الرئاسية اللبنانية كما أن إيران تقوم بدعم المليشيات الشيعية المسلحة المتواجدة بالعراق كعصائب أهل الحق، ولواء أبو الفضل العباس، ولواء المهدى، ولواء زينب، وحزب الله العراق، وهي مجموعات مسلحة تم تدريبها والإشراف عليها وتمويلها من قبل الحرس الثوري الإيراني، وها نحن نشاهدها بتواجدها المباشر والواضح أمام الكاميرات ونشاهد قائد فيلق القدس الإيراني اللواء قاسم سليماني يشرف على العديد من قوات الحشد الشعبي العراقي التي تقاتل منظمة داعش الإرهابية بل إن له القيادة المباشرة للعديد من قوات هذا الحشد الشعبي والذي

ينادي بشعارات طائفية لا تمت إلى الوطنية العراقية ووحدة العراق وقد تكون هذه الميليشيات أكثر تسليحًا من بعض وحدات الجيش العراقي وقد ذكرت بعض التقارير الصحافية والأجنبية بتجاوزات ضد السكان المدنيين في بعض المناطق التي يتم قتال داعش فيها والتي تم تبريرها أنها حوادث فردية وليست مسلكًا مُمَنهجًا أو خطة موضوعة، وفى اليمن حاليًا نشاهد دورًا واضحا لإيران في دعم الانقلاب الحوثي ضد الرئيس عبدربه منصور هادى، وقد صرح العديد من المسؤولين الإيرانيين بأن التأثير العسكري الإيراني يمتد من الخليج إلى شواطئ البحر المتوسط.

الإرهاب ووسائل التواصل الاجتماعي:

تستخدم الجماعات المتطرفة والإرهابية وبشكل غير مسبوق الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في تجنيد العناصر العربية والإسلامية والأجنبية التي أسلمت حديثًا وبتقنية إعلامية عالية الجودة وفي نقل أفكارها وأعمالها في حرب شديدة المراس بينها وبين الإعلام الرسمي للحكومات العربية والأجنبية وقد استخدمت داعش والقاعدة وسائل التواصل الاجتماعي في نقل رسائلها وأفكارها التحريضية ضد الدول والأنظمة المعادية لها بقصد جذب الشباب اليافع المتحمس للانضمام لها عبر نشر واقع حال بعض الفئات المسلمة «السنية المستضعفة «تبريرًا لقيامهم بمجازر وأعمال إرهابية ضد مجتمعاتهم وشعوبهم، فقد تم رصد ١٧،٠٠٠ موقع إلكتروني يحرض على التطرف والإرهاب في شبكات التواصل الاجتماعي وانتجت الجماعات الإرهابية كمنظمة داعش بما يقارب

٢٠٠ فيديو شهريًا طمعًا في تجنيد الفئات الشبابية في الشرق الأوسط، وقد لاقت هذه الفيديوهات قبولًا لدى العديد من الشباب المسلم في أوربا العلمانية.

الكويت والتطرف:

تأثر المجتمع الخليجي والكويتي والذي تتمتع مجتمعاته وأفراده بهامش كبير من الحرية السياسية وحرية التعبير تأثرًا محدودًا بأحداث الربيع كحال معظم دول مجلس التعاون الخليجي وتأثرت المجتمعات بالآثار السلبية في هذا الربيع العربي بما حصل ويحدث في سوريا خصوصًا؛ فاهتزت مشاعر معظم الكويتيين من جراء المآسي والمجازر التي يشاهدها على شاشات الإعلام ضد المدنيين العزل في المناطق السورية والتي كان يتم توجيهها ضد مكون طائفي واحد» السنة «أو ضد المعارضين عمومًا كما أن تطور الصراع والنزاع في سوريا والعراق وتحوله من صراع وطني إلى صراع طائفي أشعل شرارات الفتنة الطائفية في شبكات التواصل الاجتماعي وخصوصًا في شبكة «التويتر» المحادثة السريعة المختصرة مما أوجد مناخًا سلبيًا في النقاشات والتي تعدت الى تبادل الاتهامات الطائفية بين شرائح المجتمع الكويتي وخصوصًا شريحة الشباب والتي تأثر البعض بها مما جعله يتطوع في المجالات الإنسانية الإغاثية لمساعدة اللاجئين السوريين بل وذهب البعض إلى التطرف والانضمام لبعض الجماعات الإرهابية المتطرفة مثل «النصرة وداعش «والبعض الآخر تطوع في بعض الميليشيات الطائفية الشيعية معتقدًا أنه يقوم بالفعل الصائب وقد ينطبق عليه قول العزيز الحكيم سبحانه: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ

سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، (الكهف:١٠٣).

إن معرفة ودراسة مواصفات منفذي هذه الهجمات الإرهابية والدافع لذلك ومن يقوم على تحريضهم وتجنيدهم والاستفادة من تجيير أعمالهم بما يخدم العديد من المنظمات الإرهابية وكيفية آلية تجنيدهم وآلية استخدامهم، تعطي فرصة للمراجعة والاهتمام بالشباب اليافعين خوفًا عليهم من الانحراف والتطرف، وذلك بالتعرف على ما يتم تحضيره وتدبيره لهم في الخفاء بقصد جعلهم وقودًا لحروبهم المتطرفة والقائمة علي كراهية الطرف الآخر. فحركات تجنيد المتطرفين تقوم علي اختيار الشباب والذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٥عاماً دون مستوى تعليمي متوسط من عائلات محدودة الدخل، وفي الغالب يتم استهداف المتَّجهين للدين حديثًا.

ومن أسباب الاتجاه نحو التدين المتطرف؛ قلة الدخل لبعض العائلات مما يجعل أفرادها يتجهون إلى التدين وتطبيق مبدأ الصبر وتطويع النفس في خدمة الدين، أملاً في الآخرة بدلاً من الدنيا، وفي الطرف الآخر نجد أن هناك فئة أعمارها تتراوح بين ٣٠ و٣٥ عاماً وذات مستويات عالية أو متوسطة تقوم بتجنيد بعض مجاميع هذه الشباب الحديث السن والحديث التربية الدينية، مما يجعلهم طينة سهلة التشكيل من قبل قادة التطرف الذين تكون لديهم الخبرة في الخطابة وفن الحوار والإقناع وفن المجادلة وطرح الظواهر التي تحدث في المجتمع كأنها من المصائب والبلاء الذي عم البلاد والعباد مما يستوجب وقفة ومعارضة، فرسالتهم الإقناعية واضحة وتوافق قلوب بعض الشباب المتطرف، فهم يعتقدون أنهم يعيشون في

مجتمع منحل ومتفسِّخ بعيد عن الدين وموالٍ للغرب الكافرين حسب ادعاءاتهم، وإن هذا الغرب هو المسؤول عن مشاكل المسلمين من المغرب العربي إلى المشرق العربي. فرئيس تنظيم القاعدة أسامة بن لادن كان من الشباب المتحمس للدين في بداية التسعينيات والساعي للجهاد، حيث يعتقد أنه شارك في بعض العمليات القتالية في أفغانستان، إلا أنه قد تم احتواؤه من بعض زعماء بعض الحركات التكفيرية والذين هربوا من مصر وعاشوا في أماكن التوتر في البلدان الإسلامية ومنها أفغانستان ومعاناة البلاد من آثار ونتائج الاحتلال السوفييتي والحرب الأهلية بين الأفغان أنفسهم.

التطرف الأصولي والمذهبي:

التطرف الأصولي يعيش ويتكاثر في البلدان الفاشلة سياسياً والتي تعاني من الانقسام والتفكك الطائفي أو العرقي أو التي تخوض حرباً أهلية كما حدث في أفغانستان في الثمانينيات والبوسنة والهرسك في التسعينيات والشيشان في بداية القرن الـ٢١، وما يحدث في سوريا والعراق وقد أصبح قادة هذه التنظيمات الإرهابية من الرموز الإسلامية التي يحتذي بها الشباب المتطرف وأصبح من المؤكد أن كسب معركة القلوب والعقول في صالح هذه الجماعات، وذلك من خلال تردي الأوضاع الاقتصادية والأداء السياسي للعديد من هذه البلدان التي يعيش فيها هؤلاء الشباب، فالمستقبل المجهول وعدم الشعور بالأمان الوظيفي وقلة الأمل والحيلة في الحياة وأسلوب الترغيب والتشجيع للعمليات الجهادية وتردي أوضاع المسلمين كما تصف شبكات القنوات الفضائية

ووسائل التواصل كانت دافعاً قوياً لبعض الشباب المتطرف دينيًا نحو الاتجاه إلى الطريق الإرهابي واستخدام القوة المسلحة ضد المدنيين العزل واتهامهم بالكفر والردة، ما يجعله مبرراً لقتلهم كما أن انتشار التقنية الرقمية واستخدام شبكات الحاسوب العنكبوتية ووجود العديد من الصفحات الإلكترونية الجهادية تجتذب كثيراً من الشباب حديثي السن والتدين والذي يعاني من الفقر وسوء التحصيل العلمي، وعدم المساواة وغياب العدالة الاجتماعية يجعله يعيش ناقماً على ما حوله.

وإن أردنا تسليط الضوء على الواقع الكويتي المحلي فإن وجود المدخول الاقتصادي المناسب والهامش الكبير من الحرية السياسية الذي تتم ممارسته في الكويت قد حدَّ من تنامي الظاهرة، وأسقط الحد القائم علي تكفير المجتمعات والأنظمة الفاسدة وتكفير المجتمع في الكويت إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض الخلايا الصغيرة النائمة ووجود بعض المتعاطفين والمؤيدين لأنشطة تنظيم القاعدة وداعش الإرهابي ووجود بعض التنظيمات الشيعية الطائفية الأخرى كحزب الله والجماعات المتطرفة الأخرى وإذا أردنا معرفة أسباب انحراف بعض هؤلاء الشباب إلى هذا الفكر المتطرف في الكويت فإنه يمكن تلخيصها في العوامل التالية: البطالة، والجهل، وقلة المدخول، ووسائل التواصل الاجتماعي المتطرفة، والتأثُر بالارتدادات السياسية في الدول المجاورة القائمة على التطرف المذهبي، كما أن النقاط التالية قد تعتبر عوامل محفزة للتطرف:

١- الفراغ وقلة استغلال الوقت بما ينفع.

٢- تدني مستوى الدخل لبعض الأسر مما يجعل أفرادها ناقمين

على المجتمع والدولة وهو يشاهد مظاهر البذخ والإسراف في الإنفاق غير المبرر.

٣- عدم وجود حلول جذرية لمعالجة بعض المشاكل الاجتماعية والأمنية الداخلية مثل: مشكلة البدون - البطالة - الديون والمشكلات المالية لبعض العائلات.

٤- الانفتاح الزائد عن الحد والتحرر لبعض الأفراد والمجموعات في الكويت.

٥- عدم وجود التوعية الإعلامية المتخصصة لمعالجة ظاهرة التطرف.

٦- ضعف أداء وزارة الأوقاف في مراقبة بعض المساجد والأئمة.

٧- عدم تطبيق خطة استراتيجية مشتركة بين وزارة التربية ووزارة الأوقاف، خصوصًا في المرحلة الثانوية لتنوير الطلاب بمبادئ التطرف.

٨- تقييد وزارة الداخلية في معالجة التطرف ورصد العناصر المتطرفة مبكرًا.

٩- تداخل الاختصاصات بين الوزارات في الدولة لمعالجة التطرف وضعف التنسيق بينها علي المستوى الإداري المتوسط والوزاري.

١٠- سوء التفسير القرآني أو التشدد في التفسير؛ حيث يتم استغلالها في بعض العناصر المتطرفة كذريعة للخروج علي النظام العام.

١١- تشجيع بعض الجمعيات الدينية لبعض العناصر المتطرفة وتوفير فرص السفر لها تحت غطاء العمل التطوعي الديني الخارجي.

١٢- سوء إدارة الأندية الصيفية وإدارتها بعقلية مرحلة الستينيات أو الإدارة بالنمط التقليدي.

١٣- اضمحلال وتلاشي فورة العمل التطوعي الوطني وسيادة العمل التطوعي الخيري، وعدم متابعته ومراقبته من قبل مؤسسات الدول المعنية.

١٤- ضعف الرقابة الأسرية والتوجيه للأبناء، خصوصًا في مرحلة التديُّن المبكر بالرغم من حداثة سنهم وأعمارهم وحاجتهم إلى المتابعة.

-١٥ التطور الكبير في أجهزة الاتصالات المباشرة وغير المباشرة وسهولة الحصول عليها في الإقليم الخليجي ومن صغار السن.

آلية تجنيد الشباب حديثي السن:

ما تزال مجتمعاتنا الخليجية عموماً والكويت خصوصاً تميل إلى التدين وتشجيع أعمال البر والخير وتنظر بعين الرضا والقَبول وحث الأبناء على التدين وأعمال الخير ويساعدهم في هذا التوجه ما تشاهده هذه الأسر والعائلات من بعض الظواهر السلبية الشاذة التي يعاني منها المجتمع الكويتي، مثل: زيادة تعاطي المخدرات بين الشباب، حوادث الوفيات علي الطرق، والاستهتار، والاتجاه نحو

تقليد الجنس الآخر، والتي تتنافى مع العرف والدين والتي بدأنا نشاهدها في بعض الأماكن العامة، ما يثير شعورًا بالاستياء بين معظم العائلات إلى تشجيع الأبناء نحو الالتزام والتدين بظواهره الإيجابية وحث أبنائهم على الاتجاه إلى المسجد بنواحيه الإيجابية والسلوكية وهنا يبرز دور الرقابة الأسرية على متابعة ما يتعلَّم الشاب أو ما يستمع له من أشرطة أو من محاضرات من خلال مشاركتهم والاستماع لهم، وهنا تبدأ نقطة البداية في تحول بعض الشباب من متدين إلى متطرف، حيث تقوم بعض العناصر المتطرفة بالتودد إلى بعض الشباب من خلال المخالطة والتشجيع على العمل معهم، وإعطائهم الأهمية المعنوية من خلال الاستماع لهم وتدريبهم على فن الخطابة والتحدث أمام بعض المصلين مما يشعرهم بالأهمية والقيادة، والجدير ذكره أن معظم هؤلاء الشباب الضحايا هم من الأسر محدودة الدخل والتي تعيش في المناطق المحدودة الدخل أو الضعيفة المدخول مما يجعل التدين طريقاً وحيداً لهؤلاء الشباب بدلاً من سلوك الطريق المنحرف وغير القانوني أو تعاطي المؤثرات العقلية أو السرقة؛ حيث تقوم بعض العناصر المتطرفة بعملية الانتقاء لهؤلاء الشباب حديثي السن وحديثي التدين وجذبهم في مجموعات صغيرة لا تتعدى ٥ أفراد يتواجدون ويلتقون بعضهم مع بعض إما في زيارات لبعض المساجد أو حضور الندوات الدينية في بعض المساجد أو في بعض المخيمات ثم تتم مرحلة تأهيل هؤلاء الشباب للانضمام في معسكرات برية أو تجمعات كبيرة وتحتوي على محاضرات مكثفة تتم فيها عملية الشحن المعنوي والنفسي والتحدث بالخطاب الديني المتطرف والذي ينتقد الأوضاع العالمية

والمؤامرات التي تحاك ضد بلاد المسلمين كما يتم استضافة بعض رموز هذه المجموعات المتشددة والتي لها القدرة على الخطابة الجماهيرية وبخطاب حماسي متشدد ويمجد الجهاد ضد المفسدين ويدعو له وأهمية دور الشباب في إحداث التغيير دفاعاً عن الإسلام ومن وجهة نظرهم المتشددة. وحثهم علي إطاعة مشرفيهم وقادتهم وأمرائهم والانصياع لهم كجزء من تعاليم الدين الإسلامي وهنا تبدأ العلاقة بالتنظيم وتشكيل الخلايا العنقودية للتنظيم أو الحركة ثم ينتقل الشاب حديث التدين إلى مرحلة الإعداد والتحضير العملي، حيث يتم تشجيع هذه المجموعات من الشباب والمشحونين بالطاقة والعقيدة حديثاً إلى السفر إلى مناطق التوتر تحت غطاء العمل الخيري ومساعدة إخوانهم المسلمين كأحد أنواع الجهاد وهي في واقع الأمر إحدى مراحل زيادة الجرعات التدريبية العملية، حيث تبدأ عملية العزل وغسل الدماغ من خلال تكثيف المحاضرات المتطرفة الفاسدة التي لا تتماشى مع أفكارهم وأيديولوجيتهم المتطرفة ووجوب إسقاط بعض الأنظمة الخاضعة للغرب الكافر بحسب وجهة نظرهم كما يتم تدريب هؤلاء الشباب الأحداث على العمليات العسكرية، أو عمليات زرع وصناعة المفرقعات بشكل عملي والتدريب على العمليات الإرهابية العسكرية من المستوي الأول أو الثاني.

أساليب الأعمال الإرهابية المتوقعة خلال السنوات القادمة:

١- نشر فيروسات الحاسب الآلي في الدوائر الحكومية وتعطيل

الأداء الحكومي.

٢- ضرب ومهاجمة بعض منشآت الاقتصاد الوطني.

٣- استخدام بعض العوامل الكيماوية ضد بعض المرافق والتجمعات.

٤- مهاجمة بعض الصفحات الإلكترونية بواسطة قراصنة المعلومات.

٥- استخدام التفجير الإلكتروني عن بعد.

٦- استخدام الدعاية الإعلامية الإلكترونية للخطاب المتطرف.

٧- ضرب بعض المصالح الأجنبية بالأسلحة ذات المدى المتوسط.

٩- تنفيذ عمليات إرهابية نوعية في السواحل بالصوت والصورة.

١٠- مهاجمة المقرات الأمنية وتسجيلها بالصوت والصورة.

١١- مهاجمة سيارات نقل الأموال والبنوك.

أسلوب الوقاية والمكافحة:

من دون شك فإن أسلوب الوقاية من الأمراض هو الأسلوب الأنسب والأفضل وقد ابتلي العديد من دول الشرق الأوسط بالإرهاب والتطرف الذي تعدى حدودها الجغرافية إلى العديد من دول العالم وما أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا، وأحداث السابع من شهر يوليو في بريطانيا والهجمات الإرهابية في أسبانيا، والهجمات الأخيرة في فرنسا واحتجاز الرهائن، والولاء للتنظيم الإرهابي داعش إلا شاهد عيان على الإرهاب القادم من الشرق الأوسط ولذلك فإن مكافحة الإرهاب بالوقاية منه تبدأ من الأُسرة وتنتهي في مبنى الأمم المتحدة الدولي، حيث أوصى الفريق المعني بالتهديدات والتحدِّيات في تقريره رقم (A/٥٩/٥٦٥) في عام ٢٠٠٤م بأن تكون هناك إستراتيجية دولية لمكافحة الإرهاب، كما أن الوثيقة الختامية لمؤتمر القمة العالمي لعام ٢٠٠٥ (قرار الجمعية العامة ٦٠) تدعم الترحيب به من جميع الدول الأعضاء، كما أن قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالإرهاب ولا سيما القرار رقم ١٢٦٧ عام ١٩٩٩ والقرارين التاليين له ١٣٧٣ عام ٢٠٠١ و١٥٤٠ عام ٢٠٠٤ تنص على وجوب تعاون جميع الدول لتطبيق هذه القرارات، ومن أقوى الوسائل التي يمكن للمجتمع الدولي والمجتمع الإسلامي والعربي اتباعها إظهارنا لرفض ونبذ الإرهاب وسماع أصواتهم، وأن يتم التقليل من جاذبية الإرهاب، والتركيز على الوجه البشع لهذه الهجمات الإرهابية وتجريم من يقومون بها أو من يحرضون عليها، كما أن الأيديولوجيات الإرهابية بجميع أنواعها تعتمد في تنفيذ أعمالها الإرهابية على تجريم الضحايا وتجريدهم من إنسانيتهم

وحقوقهم في الأمن الإنساني وترفض الاعتراف بقيمة الآخرين وكرامتهم وأهمية حياتهم وتصورهم على أنهم أدنى مرتبة من الإنسان أو أدنى منهم وهي من الأدوات الأساسية للتعبئة وتجنيد المتطرفين وإذا أردنا في الكويت أن نطبق هذه الاستراتيجيات ومن باب الالتزام بالقرارات الدولية وحماية مواطنينا وأرواحهم وممتلكاتهم فإنني أعتقد أن مبدأ الوقاية والتحصين يجب أن تكون له الأولوية القصوى وأن تتبنى الدولة مبدأ الوقاية، ومبدأ المكافحة في الوقت نفسه على مستوى الأسرة الكويتية أو الخليجي؛ فالرقابة والنصيحة وإرشاد الأسرة لأبنائها هي الخطوة الأساسية في بناء جدار المناعة والوقاية من جميع الانحرافات بما فيها التطرف.

أما على مستوى وزارات ومؤسسات الدولة، فالوقاية تتخذ في جميع وزارات الدولة من خلال بناء إستراتيجية وتنسيق مباشر بين الجميع.

أسلوب الوقاية في وزارة التربية:

إن تأهيل كوادر المدرسين والمدرسات لمعالجة قضايا التطرف أو الانحرافات السلوكية يبدأ من خلال ورش العمل والدورات التأهيلية والتوعوية وغرس مبادئ التسامح الديني للأديان الأخرى، كما أن مراجعة بعض المناهج الدراسية والتي تتبنى فكرة التكفير لبعض المجتمعات أو التفسير المغالي فيه يعتبر مطلباً في هذه المرحلة المبكرة، وأن غرس قيمة العمل التطوعي الوطني من منظور إسلامي معتدل وتطويره لخدمة المجتمعات سيسهم في استخدام الطاقات الشبابية نحو العمل المفيد والمحسوس، فالزراعة التشجيرية والنظافة وإماطة

الأذى عن الطريق من السلوكيات المتحضرة التي يجب التشجيع عليها والاهتمام بالشأن البيئي من منظور إسلامي سيشجع الشباب علي فكرة العمل التطوعي الإسلامي.

إن استخدام الطاقات الشبابية في مساعدة المحتاجين، أو خلق المشروعات الصغيرة لدعم المحتاجين، ويجب ألا نغفل الدور المهم للأخصائي الاجتماعي في المدارس في التعرف على مشكلات التطرف المدرسي ومعالجتها. كما أن متابعة بعض المدرسين المتشددين الذين يسيئون الرسالة التربوية ويقومون بإرسال رسائل التحريض التربوية للطلبة وتشجيعهم على التطرف والثورة على بلدانهم أمر يجب أن يتم محاسبة المتسببين فيه.

أسلوب الوقاية في وزارة الأوقاف:

إن تأهيل أئمة المساجد، وتدريبهم على التعامل مع بوادر التطرف لدى بعض المصلين في المساجد ودور العبادة، سيكون الخطوة الأولى لإطفاء نار التطرف، كما أن على المسؤولين في وزارة الأوقاف الاهتمام بالخطاب الديني الموحد لنبذ التطرف والإرهاب ضد الوطن والمواطنين والمقيمين، بالإضافة إلى الحث على العمل التطوعي الديني الذي يخدم الوطن والمواطنين والاتجاه نحو تقديم المساعدات نحو مواطني ومقيمي هذه البلاد وتحديد هويات الأشخاص العاملين في لجان جمع الأموال، والتنسيق مع وزارات الدولة الأخرى والاهتمام والتركيز على عامل التوعية الدينية الحديثة لمكافحة التطرف والغلو، وتلعب خطبة الجمعة دورًا رئيسيًا في مخاطبة الجمهور بكافة أطيلفهم العمرية وكذلك شتى

انتماءاتهم، حيث ذكر السيد عبدالله المعتوق وزير الأوقاف السابق في مقابلة له مع جريدة الشرق الأوسط في ٣١ يناير ٢٠٠٦ أنه توجد في الكويت ٦٨٠ خطبة جمعة في الأسبوع وفي السنة أكثر من ٣٢٦٤٠ خطبة جمعة، وهذه الأرقام قد تكون زادت بنسبة ٣٠٪ إلا أن هذا الجهد المكثف والحشود البشرية في هذه الخطب يجب أن تتم من خلال توجيه رسائل واضحة لا لبس فيها في الوقوف ضد التطرف والإرهاب وتوعية جموع المسلمين بخطورة التطرف العقائدي في جميع مستوياته، كما أن على وزارة الأوقاف استثمار القنوات الإعلامية الفضائية أو المحلية في نشر الرسائل الفكرية الإعلامية المعتدلة والتنديد بالتطرف والمتطرفين ومن يؤيدهم والتركيز على مخاطبة الأسر الكويتية والمقيمين بخطورة وأهداف التطرف وعلى وزارة الأوقاف أن تقوم بتطوير الخطاب الديني بما يتلاءم مع الحداثة ومراقبة الظروف الاجتماعية والسياسية وإعداد الخطب والندوات والوقاية من التصرفات الشاذة والدخيلة علي المجتمع وقد ذكر د. علي الطراح في ندوة حول التطرف والإرهاب في المجتمع الكويتي وعلي هامش أنشطة معرض الكتاب الدولي في ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٢ أهمية مراجعة الخطاب الديني، حيث أنه مطالب كغيره في مواجهة جديدة وفعالة في التعامل مع الواقع الذي يشهده مغالاة وتشددًا في بعض الأحيان وشدد على أهمية ترسيخ قيم الحوار والتفاهم واحترام الآخرين، ومن الجهود المقترحة والمُمْكنة التي تستطيع وزارة الأوقاف القيام بها هي الأمور التالية:

- عقد ورش العمل غير الرسمية بين أئمة المساجد والخطباء لمعالجة نقاط الضعف في الخطاب الديني الموجَّه للشباب ضد

التطرف والارهاب

- تأهيل الأئمة والخطباء على التفاعل مع وسائل الاتصال الحديثة لبث الرسائل التوعوية والمسؤولة «فالدكتور محمد العريفي لديه ١١ مليون متابع والشيخ مشاري العفاسي من الكويت لديه ٤ مليون متابع» والحث على الرسالة الموحدة.
- تأهيل جيل من الشباب الأئمة والخطباء حديثي السن للتواصل والتفاعل مع الشباب حديثي السن والأعمار المراهقة.
- إبراز الوجه السيئ لنتائج الأعمال الإرهابية وتأثيرها على الأسر والمجتمعات والدولة.
- المشاركة في المؤتمرات الدولية التي توضح الصورة المشرقة الإسلامية البعيدة عن التطرف والإرهاب وخصوصًا للعالم الغربي وبلغات مختلفة.

أسلوب الوقاية في الإعلام:

مما لا شك فيه أن الإعلام في القرن الحادي والعشرين أصبح فضاء سياسياً واسعاً لا يمكن السيطرة عليه، والحد منه إلا في أضيق الحدود، فالفضاء الإعلامي بكل أنواعه المسموعة والمقروءة والمشاهدة والإعلام الألكتروني أصبح متاحاً للجميع، وأصبح التأثير الإعلامي علي الأفراد فعالاً ومؤثراً ويعتبر من العلامات الإنسانية البارزة في التواصل والتعرف على ثقافات الشعوب والكويت جزء من هذا الفضاء، فهامش الحرية الكبير للقنوات الإعلامية ووسائل الإعلام يستحق منا كل إشادة وتقدير، إلا أنني لم أشاهد رسالة

إعلامية موحدة وخاصة لمواجهة تطرف الشباب، وأرجو أن يتم ابتكار رسالة إعلامية تكون خليطًا من الخطاب الديني والاجتماعي والرياضي والعمل على تقييم بعض الحملات الإعلامية التي تقوم بها بعض المؤسسات والأجهزة في الدولة ومعرفة جدواها الاجتماعي والاستفادة منها في مخاطبة شرائح الشباب والأعمار ما بين ١٨-٢٥ بحيث تشمل تشجيع العمل التطوعي ومقابلة وتسليط الضوء علي ضحايا التطرف الإرهابي بكافة أنواعه والتأثيرات السلبية على هؤلاء الضحايا، وأن تتم نشر هذه الرسائل وبشكل خاص في القنوت الفضائية الخاصة والقنوات الشبابية لزيادة مساحة الانتشار الرسمي غير المشاهد.

أسلوب الوقاية فى وزارة الداخلية:

تلعب وزارة الداخلية بكافة أجهزتها الدور الرئيس في ردع الإرهاب ومكافحة التطرف والقاعدة الأمنية التي يجب أن نتعامل معها أن الوقاية من التطرف والإرهاب وتحييده خيرًا من مكافحته، ولذلك قد تلعب بعض إدارات وزارة الداخلية المتعددة دورًا مهمًا في تنوير المجتمعات من أخطار التطرف الديني والمذهبي ومن أهم الإدارات المرشحة للتعاون في تحجيم وتحييد التطرف العناصر التالية:

دور المختارين في المناطق السكنية:

يتحمل مختاري المناطق دورًا رئيسًا في تحقيق السياسة الشعبية الأمنية في ردع الجريمة عمومًا وفي تحييد التطرف بوجه خاص فمختار لمنطقة يستطيع القيم بأدوار التواصل الشعبي في الأحياء

والضواحي السكنية والتنسيق مع أئمة المساجد والجمعيات الدينية المتواجدة في منطقته كما أن مختار المنطقة وبمعرفته الشخصية للعائلات والأهالي يساهم في إيصال رسائل التنوير لمقاومة التطرف والإرهاب عبر زيارته للتجمعات الشعبية والدواوين الكويتية في منطقته وشرح خطورة التطرف والإرهاب والتحذير منه لرواد الديوانيات سواء كانت شبابية أم من كبار السن ومن المفضل أن يكون برفقته بعض أئمة المساجد أو من رجال الدين المقبولين، والذين يستطيعون تقديم النصح والمشورة للأهالي وعلى المختارين في مناطقهم السكنية تنظيم ورش العمل الشبابية لتنويرهم ضد التطرف بوجود بعض المشرفين الاجتماعيين من مدارس المنطقة وبعض رجال الدين الثقات لكي يمكن التناقش والتحاور مع المجموعات الشبابية في المنطقة والإجابة على استفساراتهم.

دور الشرطة المجتمعية:

لم تكن الشرطة المجتمعية بالفعالية المأمولة منها من حيث الأداء والتواصل والتفاعل المجتمعي مع المجتمعات التي تعيش في الكويت وخصوصًا في الاتصال والتواصل المباشر مع العائلات أو في مراكز الخدمة المجتمعية في وزارة الشؤون في المناطق المتعددة، وعلى الشرطة المجتمعية التواصل مع مختاري المناطق وأئمة المساجد والجمعيات التعاونية في طباعة المطويات والإعلانات التي تقوم بتنوير الشباب وخصوصًا الأحداث منهم على أن يتم توزيعها في المساجد والجمعيات التعاونية وفي مدارس وزارة التربية.

مخفر المنطقة:

يعتبر المخفر صمَامًا للأمان في مناطق المسؤولية، وعلى ضابط المخفر أو قائد المنطقة والضباط المسؤولين التواصل المجتمعي مع دواوين المنطقة، وتنوير الحضور بخطورة التطرف والإرهاب والاستماع إلى ملاحظات المواطنين والتنسيق مع إدارات الدولة المختلفة.

التنسيق الإقليمي والعالمي للأجهزة الأمنية:

إن مكافحة التطرف الذي أصبح واجبًا عالميًا من خلال القرارات الأممية والقرارات العربية تحت مظلة الدامعة العربية من خلال الاتفاقية الأمنية العربية ومن خلال الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب وعلى مستوى منظومة مجلس التعاون الخليجي فنحن نشاهد التعاون والتنسيق المستمر بين الإدارات الأمنية المختلفة في دول مجلس التعاون الخليجي والتي تم تتويجها بالاتفاقية الأمنية الخليجية والاتفاقية الخليجية لمكافحة الإرهاب والتي إن تم تفعيلها سوف تعود بالنفع والحماية لشعوب المنطقة الخليجية فى ظل هذه الظروف الحرجة التي يمر بها الشرق الأوسط وتتطلب التنسيق على جميع المستويات العالمية والإقليمية والعربية والخليجية، ومن أهم عوامل التنسيق في المستويات الأربعة المذكورة سابقًا علينا القيام بالتنسيق في المستويات التالية:

المستوى العالمي:

إن التنسيق مع مكاتب الأمم المتحدة الأمنية كمكتب الإنتربول الدولي أو الشرطة الدولية في متابعة المستجدات الأمنية وفتح مجالات التنسيق على أوسع أبوابها لكشف رعاة الإرهاب من الجماعات والأفراد هو أحد هذه النشاطات التي يجب أن يتم تطويرها.

وإن التنسيق مع المكاتب الأجنبية الأمنية مع الدول العالمية والتي لديها القدرة على الكشف والإنذار المبكر ضد عمليات الارهاب المحتملة سوف يعتبر مصدرًا جديدًا من مصادر الكشف الاستخباري ضد المجاميع الإرهابية المتحركة.

إن الارتكاز القانوني على الاتفاقيات الدولية والأممية لمكافحة الإرهاب سوف يوفر لدولة الكويت وأجهزتها الأمنية الغطاء القانوني المطلوب والذي سوف يحقق العدالة المنشودة من صانعي أو داعمي أو منفذي العمليات الإرهابية.

إن قيام وزارة الداخلية الكويتية بفتح مكاتب ارتباط أمني سوف يقوم بتسريع وفلترة المعلومات الأمنية المتداولة والحصول عليها بالوقت المناسب، وذلك بالتنسيق مع الدول المستضيفة لهذه المكاتب، فتأخير المعلومة الأمنية أو عدم وصولها بالتوقيت المناسب له مساوئ وعواقب أمنية وخيمة تعود بالضرر على جميع الدول المحاربة للتطرف والإرهاب.

التنسيق على المستوى العربي:

إن وجود الاتفاقية الأمنية العربية ووجود الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب وتحت مظلة الجامعة العربية هو من الأمور الإيجابية أمنيا وأن يتم تشكيل خلية أمنية عربية أو مكتب تنسيق أمنى داخل مؤسسات الجامعة العربية للتعامل مع الأحداث الأمنية الإرهابية والتفاعل معها بسرعة غير عادية لتحقيق الأمن بين الدول العربية ولقطع الطريق على النشاطات الإرهابية المتحركة بين الدول العربية.

إن التنسيق الخليجي القائم بين دول مجلس التعاون يعمل بشكل مرضي ولكن لسرعة وفعالية المجرمين والإرهابيين بين الدول الخليجية فإن الدول الخليجية قد تحتاج إلى تطوير وزيادة فعالية التعاون الأمني مع تطبيق الاتفاقية الأمنية الخليجية لقطع الطريق على الثغرات الأمنية بين دول مجلس التعاون الخليجي.

الخلاصة

الإرهاب أصبح مشكلة وجريمة دولية وعالمية وذلك حسب قرارات مجلس الأمن الدولي بقراريه المتعلقين بداعش والإرهاب وهما القرار ٢١٧٠ والقرار ٢١٧٨ والواجب الدولي والديني يحتم على الجميع مكافحتها ومقاومتها، وأصبح الإرهاب والتطرف وجهان متلازمان في الشرق الأوسط بالتحديد، وأصبح الشباب حديثوا السن هم وقود الإرهاب ووقود هذه الحرب التي يتم توجيهها ضد الإرادة الإنسانية وضرب حرية التعبير والمعتقدات؛ فالجماعات الإرهابية المتطرفة أصبحت أكثر تنظيماً وأكثر استخداماً لنظم المعلومات الحديثة، وأصبح هاجسها هو الحصول على أسلحة الدمار الشامل لأغراض إرهابية، وقد يشهد قرننا الحالي والذي نعيش فيه واحدة من أكبر العمليات الإرهابية في تاريخ البشرية وذلك باستخدام أسلحة الدمار الشامل، وسيستمر مسلسل الإرهاب كما كان مستمراً منذ ظهور الخوارج ضد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما في شأننا المحلي فإن أسلوب الوقاية والمكافحة أصبح ضرورة ملحة لمنع التطرف وزيادة انتشاره، وتنوير الشباب الكويتي بنبذ هذه الظاهرة، فالاهتمام بالنشء في المدرسة والمسجد، ووضع الخطط الجادة والتعاون الحكومي، والتنسيق بين الوزارات، وتأهيل الأئمة والمدرسين، والاهتمام بالرسالة الإسلامية أصبح مطلباً حيوياً لمنع التطرف، أو الحد من انتشاره.

المبحث الرابع

العوامل الاقتصادية والإرهاب

إعداد
د.وليد عبد الوهاب الحداد

د. وليد عبدالوهاب الحداد في سطور

- دكتوراة الإدارة العامة.
- ماجستير الإدارة العامة.
- بكالوريوس إدارة الاعمال.
- خبرة ثلاثين عام في الإدارة الحكومية والقطاع الخاص
- دراسات وابحاث عديدة في مجال الإدارة والاقتصاد.
- خبير في الاستراتيجية وبناء الاستراتيجيات وتنفيذها.
- مدرب في مجال الموارد البشرية والقيادة وتطوير الخدمات وتخطيط القوي العاملة.
- مستشار اداري في العديد من الجهات الحكومية في الكويت.
- الصفحة الالكترونية: www.waleedalhaddad.com
- البريد الالكتروني: qualitykw60@hotmail.com

تعتبر العوامل الاقتصادية في عصرنا هذا ومنذ أكثر من ثلاثة قرون ماضية هي العامل الرئيس في قوة الدول وانتصارها في المعارك وفي هيمنتها على العالم، فمنذ الحرب العالمية الثانية وتفوق الولايات المتحدة الأمريكية وحسمها للحرب بسبب العامل الاقتصادي، وأيضا بعد ذلك حسمها للحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي من بوابة الاقتصاد وهي تهيمن على العالم اقتصاديًا وسياسيًا، وتأتي بقية الدول من ناحية الأهمية الاقتصادية، فألمانيا على سبيل المثال تهيمن على أوروبا بسبب قوتها الاقتصادية وهكذا الصين واليابان في آسيا، وللأسف الشديد يعيش العالم العربي والاقتصادي في تخلف اقتصادي غير مسبوق أثَّر على دوره المعتاد منذ قرون في الهيمنة السياسية والقوة العالمية التي عُرف بها، وفي هذا المقال سوف نتناول كيف عزز الإسلام أهمية العوامل الاقتصادية في المجتمع المسلم، ثم نتعرض للوضع الاقتصادي حاليًا في العالم العربي والإسلامي، وكيف استطاعت المنظمات الإرهابية الدخول من هذه البوابة الاقتصادية في الهيمنة على شباب المسلمين، وما هي الحلول المقترحة لوقف الإرهاب في الدخول من البوابة الاقتصادية.

أولًا: أهمية اهتمام الإسلام بالعوامل الاقتصادية:

١- **ربط الرزق والرفاهية الاقتصادية** بعبادة الله وحده لا شريك له يقول المولى عز وجل:﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف ٩٦).

وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾ (النحل).

والاستخلاف الاقتصادي لعباد الرحمن ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور).

وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ (نوح).

٢-تدمير أمة بسبب الغش التجاري يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) ﴾. هود :٨٤

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) ﴾هود :٨٥

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾(هود).

وكان أهل مدين أهل تجارة وزراعة إلا أنهم كانوا يتعاملون مع الناس بالغش والمكر والخداع، فهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويزيدون عما يستحقون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون وينقصون ولا يعطونهم ما يستحقون.

فنهاهم شعيب عليه السلام من مغبة هذه الأفعال الشنيعة والمعاملات السيئة فلم يأبهوا وسلكوا طريق الضلال والبغي، فاهلكهم الله عز وجل وجعلهم عبرة تاريخية لمن يعتبر.

٣-التخطيط الاقتصادي الإستراتيجي: كما في قصة-يوسف عليه السلام عندما أنقذ أهل مصر وأهله بوضع خطة إستراتيجية لحفظ الطعام في الرخاء وتوزيعه في المجاعة والقحط يقول المولى عز وجل: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)﴾.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)﴾، (يوسف).

٤- إبراز أهمية العمل: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ﴾ (الجمعة:١٠)

٥٣٩/١- عن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَئِنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَنْطَلِقَ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[١٥٣]

٢- وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ

١٥٣. رواه البخاري.

يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»[١٥٤].

٣- وعنه عن النبي ﷺ قال: «كانَ دَاوُدُ- عليه السلام- لاَ يَأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[١٥٥].

٤- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ زَكَرِيّا- عليه السلام- نَجَّارًا»[١٥٦]

٥- وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «م مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ- عليه السلام- كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» [١٥٧].

٥- تحريم الربا ومقاصده: يقول المولى عز وجل﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. (البقره:٢٧٥).

مقاصد الشارع من تحريم الربا كثيرة ونذكر بعضها هنا:

- حماية المستهلك وأفراد المجتمع من الغش واستغلال الحاجة.
- منع تكدس الأموال لدى فئة قليلة من المجتمع.
- وقف البطالة لأفراد المجتمع، لأن الاقتصاد الربوي يمنع من إنتاجية الاقتصاد وتطوير الأعمال فيسبب البطالة.
- انقطاع المعروف وانتشار العداوة والبغضاء.

١٥٤. متفق عليه.
١٥٥. رواه البخاري.
١٥٦. رواه مسلم.
١٥٧. رواه البخاري.

- إحداث الأزمات المالية للاقتصاد المحلي والعالمي كما حدث في الأزمة المالية العالمية.
- تقليل مشاعر الشفقة والتصدق ومساعدة الآخرين.

وفي واقع الحال إن الاهتمام الإسلامي بالاقتصاد كبير جدًا، وبحاجة إلى مجلدات لشرحه وأكتفي بهذا الكم حتى لا أخرج البحث عن أهدافه.

ثانيًا: إهمال الجوانب الاقتصادية من قبل مفكري وعلماء المسلمين والدول الإسلامية بصفة عامة:

بالرغم من نجاح البنوك الإسلامية الباهر وتسيُّدها على عرش البنوك بالأخص بعد الأزمة المالية العالمية حيث لم تتأثر هذه البنوك بالأزمة مثل البنوك الربوية على مستوى العالم، وهذا بالطبع جعل وجهة الكثيرين من الاقتصاديين بالاهتمام بالفكر الاقتصادي الإسلامي ومدى حاجة الاقتصاد العالمي له، إلا أن العوامل الاقتصادية في الإسلام أكبر بكثير من البنوك، فهي اقتصاد متكامل الجوانب ورائع جدًا، ويخفى على كثير من مؤرخي التاريخ أن الاقتصاد الإسلامي ونظام الحسبة هو من العوامل الرئيسة التي أعطت القوة للخلافة الإسلامية على مدى قرون ولكن إهمال التاريخيين لتأريخ هذا الجانب أبعد كثير من المسلمين عنه وعن أهميته، وللأسف لم يهمل هذا الجانب المهم في أدبيات المفكرين والباحثين، وانما أيضًا من الدول الإسلامية التي تتصف بالغنى والموارد الطبيعية الوفيرة ولكن سكانها يعانون من الفقر وقلة الموارد المالية وضعف التعليم

والعناية الصحية وقلة توفر الوظائف كما سأذكر بعد ذلك.

ثالثًا: الوضع الاقتصادي الحالي في العالم العربي:

الوضع الاقتصادي في العالم العربي لا يسر جدًّا، إذ مبلغ حجم اقتصاديات العالم العربي ٧٠٠ مليار دولار أي بحجم ٢٪ من الاقتصاد العالمي، وتمثل الاستثمارات في العالم العربي من حجم الاستثمارات العالمية ١،٪، وأما الإنفاق على البحث والتطوير فيبلغ ٠,٤٪ من حجم الإنفاق العالمي ونسبتنا من التجارة العالمية فقط ١٠٪ من حجم التجارة العالمية أغلبها من النفط ومشتقاته.(جريدة الشرق الأوسط ٣٠-١٠-٢٠٠٢).

وتشير الإحصائيات أن هناك ١٠٠ مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر، وأن هناك ٤٠ مليون عربي يعانون من نقص في التغذية، ففي الصومال ٣،٥ مليون صومالي يهددهم الموت جوعًا ويمثلون ٤٥٪ من حجم السكان، حيث ارتفعت أسعار المواد الغذائية إلى ٤٠٠٪ بسبب الحرب الأهلية، وفي مصر ٤٦٪ لا يحصلون على الطعام الكافي ويعانون من سوء التغذية، وفي غزة ٩٠٪ نسبة الفقر، وفي العراق ٦٠٪ نسبة الفقر، وفي السودان نسبة الفقر ما بين ٤٥-٩٥٪ من السكان، وبلغت الفجوة الغذائية في العالم العربي عام ٢٠٠٨ بحدود ٢٠ مليار دولار، كما أن الأراضي المستغلة للزراعة تبلغ ٣٠٪ من الأراضي الصالحة للزراعة. (الجزيرة ١٦-١١-٢٠٠٩).

وينص تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عام ٢٠٠٩.

على أن المغرب في المرتبة ١٤٠ من دول العالم في الإنفاق على

التعليم على المستوى الفردي، وقبله اليمن بالمستوى ١٤٠، ومصر في المستوى ١٢٣، والأردن ٨٣، وهكذا الدول العربية تحتل المستوى الأدنى لدول العامل في الإنفاق على التعليم، أما الأميين في العالم العربي عام ٢٠١٤ فعددهم ٩٦ مليون أمي عربي، وتقدر الأمم المتحدة أن يستمر عدد الأميين في العالم العربي في الارتفاع في المستقبل حيث تقدر أن يبلغ عدد الأميين في العالم العربي عام ٢٠٥٠ بين ٧٠-١٠٠ مليون أمي، أي ما نسبته ٢٧٪ من عدد السكان في العالم العربي، وبلغ عدد الأطفال غير الملتحقين بالتعليم ٦ مليون طفل (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

الدخل الفردي في العالم العربي ٢٠١٣

الترتيب العالمي	الدولة	الدخل السنوي للفرد $	الدخل اليومي للفرد $
١٧٠	جزر القمر	١٥٥٩	٤,٢٧
١٤٥	جيبوتي	٢٩٩٨	١٠
	اليمن	١٥١٨	٤,٦
	موريتانيا	١١٢٦	٣
٩٢	مصر	١١٠٨٥	٣٠
٨٠	الجزائر	١٣٣٠٤	٣٦
٧٣	العراق	١٥١٨٨	٤١,٦
٦٥	لبنان	١٧١٧٠	٤٧
٥١	ليبيا	٢١٣٩٧	٥٨
١٣	البحرين	٤٣٨٢٤	١٢٠
١٢	عمان	٤٤٠٥٢	١٢٠
٨	السعوديه	٥٣٧٨٠	١٤٧
٣	الكويت	٨٥٦٦٠	٢٣٤
١	قطر	١٣١٧٥٨	٣٦٠

«البنك الدولي ٢٠١١-٢٠١٣ ويكيبيديا الموسوعة الحرة»

الرقم	الدولة	الترتيب العالمي
١	الصومال	١٧٤
٢	السودان	١٧٣
٣	العراق	١٦٩
٤	ليبيا	١٦٠
٥	اليمن	١٥٨
٦	سوريا	١٤٤
٧	لبنان	١٢٢
٨	مصر	١١٨
٩	الجزائر	١٠٥
١٠	المغرب	٨٨
١١	السعودية	٦٦
١٢	الكويت	٦٦
١٣	عمان	٦١
١٤	الأردن	٥٨
١٥	البحرين	٥٣

(تقرير منظمة الشفافية العالمية ٢٠١٢)

من الجداول السابقة نرى أن العالم العربي يقع في أسفل سلم الشفافية العالمية، ومراكزه في الفساد العالمي متقدمة جدًا بالأخص للدول العربية ذات الكثافة السكانية، ومعروف أن الفساد يؤدي إلى تعثر الخدمات العامة للدولة، وتعثر التنمية والتعليم والعناية الصحية وتوفر الوظائف، ولهذا نرى أن العالم العربي يرزح تحت أنين الفقر والتأخر التنموي والفساد وانتشار الظلم الاقتصادي والاحتكار وضعف الخدمات العامة، بينما احتلت الدول النفطية العربية مستوى متقدم عالميًا إلا أن أغلب الدول العربية في قاع الترتيب العالمي للدخل الفردي بمستوى أقل من ١٠$ يوميا، وأيضًا نتج عنه التعليم السيئ حيث هناك ما يقارب ١٠٠ مليون أمي عربي.

رابعًا: نتائج ضعف الاهتمام بالعوامل الاقتصادية في العالم العربي:

نتج عن ضعف الاهتمام في العوامل الاقتصادية في العالم العربي كما ذكرنا في البند الثالث التالي:

- انتشار الفقر في العالم العربي، بما يمثل اعلي المعدلات العالمية في الفقر ومعدل الدخل الفردي.
- ضعف التعليم وهناك ١٠٠ مليون أمي عربي.
- سوء توزيع الثروة على مستوى الافراد في الدول العربية وفيما بين الدول العربية كما في الجدول أعلاه حول معدلات الدخل الفردي

- اقتصاديات هزيلة غير منتجة ومستوى متدني في التجارة العالمية.
- نتج عنه ضعف الرفاه الاقتصادي وضعف توفر أساسيات الحياة.
- إهمال حماية المستهلك، وانتشار الاحتكار، وضعف جودة السلع سواء المستوردة أو المنتجة محليًا وأصبحت الأسواق العربية مكبّ للمنتجات المخالفة لأنظمة وقياسات الجودة العالمية بسبب الفوضى الاقتصادية وضعف الرقابة.
- العناية الصحية في العالم العربي في أدناها اذ يشير تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٢م، أن الإنفاق الصحي للفرد في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ ٤١٢٦$، بينما بلغ في اليمن ١٩$ والسودان ٢٦$، ومصر ٥٩$ والمغرب ٦٣$ والكويت ١١٧٨$، وقطر وهي الأعلى في العالم العربي ١٦٩٦$.
- باختصار ضعف الاهتمام العالم العربي بالاقتصاد نتج عنه ظواهر سلبية عديدة كما ذكرنا أعلاه مما يسبب بيئة مناسبة لنشأة التطرف والإرهاب.

خامسًا: الإرهاب والعوامل الاقتصادية:

١. لا أستطيع القول أن الإرهاب سببه ونشوء الجماعات الإرهابية سببه العوامل الاقتصادية ولكنه أحد الأسباب الرئيسة والمهمة، بناءً على العوامل التالية:

سخط الشعوب العربية من الأوضاع السيئة للمعيشة والتعليم

والصحة والسكن وغيرها أدى إلى حدوث الثورات العربية في الربيع العربي، مثل ما حدث لبوعزيزي رحمة الله عليه الشاب الجامعي الذي لم يجد وظيفة، فأصبح بائعًا للخضار، وحين أتلفت البلدية بسطته أحرق نفسه وبدأت حينها ثورة الشعب التونسي وهكذا في مصر وليبيا وغيرها من الدول العربية التي ترى شعوبها ثرواتها الكبيرة تُبَدَّد بالفساد وهي تعاني الجوع وقلة السكن وقلة العناية الصحية مما تسبب بـ بيئة خصبة للسخط الشعبي ونشوء الأفكار الإرهابية.

٢. استغلال الجماعات الإرهابية لهذه الأوضاع الاقتصادية السيئة في توفير الخدمات الصحية والتعليمية وتوفير الدخل لكسب الأفراد، ومن ثم توظيفهم في خدمة أهداف الجماعات الإرهابية، ففي مقابلة تلفزيونية سئلت إحدى المواطنات اللبنانيات في جنوب لبنان عن حزب الله الإرهابي فقالت: «احنا نحب حزب الله لأنه يوفر لنا التعليم والعلاج الصحي والوظائف لأزواجنا». فهي بالطبع لم تؤمن بأهدافه ولا عقائده وإنما آمنت به بسبب الدعم الاقتصادي الذي يقدمه لها. وأيضا استطاعت جماعة داعش الإرهابية من خلال الرواتب والدعم الاقتصادي الذي تقدمه لأفرادها من هجرة آلاف العرب لها، ونقلت وكالات الأنباء في مقابلات مع أكبر تجمع عربي لهذه الجماعة من التونسيين والذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف أن من أهم أسباب هجرتهم وانتمائهم لهذه الجماعة أنهم كانوا يعانون من بطالة كبيرة في بلدهم واستطاعت هذه الجماعة أن توفر لهم الدخل الممتاز للانضمام لها والهجرة من تونس إلى سوريا والعراق.

كما نقلت أيضًا وكالات الأنباء انضمام كثير من الأوربيين المسلمين إلى الجماعات الإرهابية في العالم العربي مما أثار استغراب الكثير كيف يذهبون من بيئة اقتصادية وصحية وتعليمية متطورة إلى جحيم الحروب، وعندما سئلوا وعملت الدراسات وجُد أن اغلبهم أبناء المهاجرين العرب والمسلمين إلى الدول الأوربية والغربية والذين يعانون من أوضاع معيشية سيئة بالإضافة إلى تعرضهم للتمييز العنصري فوجدوا في ساحات الحروب والجماعات الإرهابية الطريق إلى التعبير عن غضبهم من دولهم ومحاربتهم في الشرق الأوسط من خلال الجماعات الإرهابية، فالعامل الاقتصادي هو السبب الرئيس في هجرتهم الأولى وهجرة أبنائهم في الثانية.

٣. ارتفاع معدلات البطالة في العالم العربي تجعل الشباب صيدًا سهلًا للجماعات الإرهابية حيث يمكث الجامعي من خمس إلى عشر سنوات لانتظار الوظيفة وهذا وقت فراغ كبير يجعل هؤلاء الشباب عرضة للإغواء الإرهابي.

٤. عدم قدرة الشباب على الزواج وارتفاع تكاليفه وعدم القدرة على توفير السكن جعل الجماعات الإرهابية تستغل هذه الظروف بتوفير الزواج للشباب بأسعار خيالية، وأيضًا نشوء ما يسمى بجهاد النكاح ومؤخرًا في العراق تم بيع الازيديات على انهم جواري؟

٥. سوء استغلال الغرب لثروات المسلمين وفي الدول العربية وبالأخص الثروات الطبيعية بأرخص الأثمان من خلال الفساد

الاقتصادي، جعل الشعوب العربية تسخط على الغرب والدول الأوربية وأمريكا وبالأخص لما يشاهدوا دعمهم السخي لإسرائيل ودول شرق آسيا وبناء اقتصاداتهم من أموال المسلمين والعرب وضعف الدعم الاقتصادي للدول العربية يؤجج العاطفة الإرهابية لدى الشباب، ويكون سبب خصب لجذب هؤلاء الشباب إلى العمل الميداني الإرهابي في شتى دول العالم.

٦. ارتفاع معدلات الفساد الاقتصادي والمالي في العالم العربي ومشاهدة المجتمعات والشباب المتعلم لفئة قليلة من المجتمع تستولي على ثروات دولهم، ويستمتعون بالخدمات الراقية والسكن الفاره من دون ملايين من الشعوب التي تعاني من سوء التغذية وسوء الخدمات الصحية والتعليم، أعطى للجماعات الإرهابية طريقًا خصبًا لتوجيه هؤلاء الشباب إلى الطريق الإرهابي.

٧. سوء أوضاع المهاجرين المسلمين والعرب في الدول الأوربية كما ذكرنا أحد العوامل في استغلال الإرهابيين لهذا السخط من هؤلاء المهاجرين وتوظيفه في خدمة أهدافهم الإرهابية.

سادسًا: الحلول المقترحة:

١. بدء الاهتمام من المفكرين والباحثين المسلمين بالاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة، وإنشاء مؤسسة بحثية عالمية لدراسات وبحوث الاقتصاد الإسلامي.

٢. من المهم جدًا عمل مشروع مارشال اقتصادي خاص بالدول العربية للتنمية والرعاية الصحية والغذاء وتوفير الأعمال،

وتطوير بيئة الأعمال العربية، وتعزيز دور مؤسسة المشاريع الصغيرة التي أقرها مؤتمر القمة العربية الاقتصادي في الكويت وتوفير الوظائف للعمالة العربية في دولها من غير هجرة إلى الدول الأخرى.

٣. إنشاء منظمة غذائية كبرى للاهتمام بزراعة الأراضي العربية الكبيرة والتي لم تستغل وهي كما ذكرنا تمثل ٧٠٪ من حجم الأراضي الصالحة للزراعة، وأيضًا يكون دور هذه المنظمة توزيع الغذاء في العالم العربي بالأخص أن هناك ملايين العرب جوعى ولا يصلهم الغذاء الكافي.

٤. هناك ١٠٠ مليون أمي عربي وهؤلاء بحاجة إلى الرعاية التعليمية، وهنا ننصح أيضًا بإنشاء منظمة التعليم العربية الدولية وتهتم هذه المنظمة بتوفير التعليم المجاني للعرب والأسر والأطفال خصوصًا أن هناك ٦ مليون طفل عربي لم يحصلوا على فرصة التعليم.

٥. إنشاء شركة التأمين العربية ضد البطالة، وهذه دورها إعطاء العاملين العرب الذين لم يحصلوا على رواتب مؤقتة تكفل لهم العيش الكريم إلى حين حصولهم على الوظائف.

٦. دعم منظمة العمل العربية بكافة الوسائل لتوفير الوظائف للعمالة العربية، وأن يتوفر مركز معلومات عن العاملين العرب تمهيدًا لحصولهم على الوظائف.

٧. يُقترح أن تفتح الدول العربية الغنية وبالأخص الدول الخليجية مكاتب تنموية في الدول الفقيرة العربية على أن تشرف عليها

بنفسها من خلال اتفاقيات سياسية في مؤتمرات القمة العربية لضمان وصول هذه المساعدات إلى الشعوب العربية وليس إلى حسابات السياسيين والمتنفذين العرب.

٨. إنشاء مركز دراسات الإرهاب الاقتصادي لعمل دراسات اقتصادية علمية حول دور الإرهاب في الاقتصاد.

٩. فتح مكتب اقتصادي محايد عربي للاتصال في المنضمين إلى الجماعات الإرهابية لإعطائهم وظائف ورواتب وعيش كريم، وأيضًا منع من يريد الانضمام إلى المنظمات الإرهابية بتوفير الوظائف لهم والتعليم والرعاية الصحية.

بهذه الاقتراحات سوف نقضي على البيئة المتهيئة للإرهاب، وجذب الشباب العربي بتوفير التعليم والرعاية الصحية والوظائف لهم، وأسأل الله أن يحفظ أمتنا وشباب المسلمين.

د. وليد عبد الوهاب الحداد

خبير اداري واقتصادي

Email;qualitykw60@hotmail.com

Home page:www.waleedalhaddad.com

المبحث الخامس

العلاقات الإيرانية – العربية في ظل تداعيات ثورات الربيع العربي

الباحث:
إبراهيم عبد الله المزين
المختص بالشئون الإستراتيجية والأمن القومي

إبراهيم عبد الله المزين في سطور

الاسم: إبراهيم عبدالله سالم عبدالله المزين

مواليد ١٠ مايو ١٩٨٠ / الكويت

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ٣ أطفال.

الجنسية: كويتي

الهاتف (الكويت): ٦٧٦٦٦٦٦٧ / ٩٧٨٧١٢٨١

البريد الالكتروني: ealmuzayan@hotmail.com

- حاصل على الليسانس في العلوم السياسية مساند فلسفة بتقدير عام جيد جداً وتقدير تخصص امتياز في عام ٢٠٠٢.
- حاصل على دبلوم عالي في العلوم القانونية والشرطية من أكاديمية سعد العبدالله للعلوم الأمنية عام ٢٠٠٣ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وعني بتكريم من أمير الدولة.
- حاصل على المركز الأول علمياً على أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية (كلية الشرطة) عام ٢٠٠٣ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وتخرج برتبة ملازم وحظي بتكريم أمير الدولة. وحالياً يحمل رتبة مقدم.
- حاصل على بعثة من قبل الحكومة الكويتية لاستكمال دراسة الماجستير في مجال العلوم السياسية بجامعه الإسكندرية بجمهورية مصر العربية عام ٢٠٠٦.
- حاصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية التجارة

بجامعة الإسكندرية في ٢٠٠٩/٩/٢٩ في تخصص العلاقات الدولية، وكان عنوان رسالته: (أثر المتغيرات الإقليمية والدولية على الأمن القومي الكويتي في الفترة من (١٩٩٠-٢٠٠٨)، ويقوم حاليا بالتحضير لمرحلة الدكتوراه بذات التخصص.

- حاليا في المراحل الأخيرة في مرحلة الدكتوراه بالعلوم السياسية في تخصص العلاقات الدولية، وستكون الرسالة (الأمن القومي الإيراني في ظل تداعيات ثورات الربيع العربي) في معهد الدراسات والبحوث الآسيوية بالقاهرة.
- التحق بالعديد من الدورات العلمية والتدريبية.
- شارك في العديد من المؤتمرات و الندوات والصالونات السياسية.

له العديد من الأبحاث المنشورة ومنها:

- بحث حول: (الصراع العربي الإسرائيلي في الفترة من ١٩٤٨-١٩٩٩).

بحث حول: (السياسة الأمريكية تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة من ١٩٩٠-٢٠٠٠).

- بحث حول: (أثر المتغيرات الاقليمية والدولية على الوضع الداخلي اللبناني - دراسة حالة في الفترة من ١٩٧٥- ٢٠٠١).
- بحث حول: (المجتمع الدولي - دراسة في الإشكالية المفاهيمية).
- بحث حول: (نظرية الفوضى الدولية لدى الاتجاهين الواقعي والمثالي في تفسير الواقع الدولي).

- بحث حول: (العولمة – دراسة في المفهوم والأبعاد).
- بحث حول: (السيادة في عالم ما بعد الحرب الباردة).
- بحث حول: (السياسة الخارجية الألمانية في ظل متغيرات عالم ما بعد الحرب الباردة).
- بحث حول: (العلاقات الأمريكية – الإيرانية في عالم ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١).
- بحث حول: (النظام السياسي الفرنسي).
- بحث حول: (مبدأ الفصل بين السلطات – دراسة في المفهوم والتطبيق بين النظام الفرنسي والبريطاني والأمريكي).
- بحث حول: (التعددية السياسية – دراسة في المفهوم والتطبيق).
- بحث حول: (حقوق المرأة السياسية في الكويت ١٩٦١-٢٠٠٧).
- بحث حول: (الفساد السياسي – دراسة حول المفهوم والأبعاد).
- بحث حول: (الدوائر الانتخابية في الكويت – دراسة حول أبعاد ونتئج المقترحات النيابية حيال تعديل الدوائر الانتخابية لإنتخابات مجلس الأمة الكويتي).
- بحث حول: (التيارات السياسية ودورها في عملية صنع القرار السياسي في الدولة – دراسة حالة دولة الكويت في الفترة من ١٩٩١- ٢٠٠٧).

- بحث حول: (الأمن القومي للدولة – دراسة حول المفهوم والعوامل المؤثرة).

- بحث حول: (حسابات القوة الشاملة للدولة – نقد وتقويم لنظرية كلاين لحساب القوة الشاملة للدولة).
- بحث حول: (الإستراتيجية الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط في عالم ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر).
- رسالة ماجستير حول: (أثر المتغيرات الإقليمية والدولية على الأمن القومي الكويتي – دراسة حالة في الفترة من ١٩٩٠-٢٠٠٨).
- رسالة دكتوراه (الأمن القومي الإيراني في ظل تداعيات ثورات الربيع العربي) (تحت الكتابة – بالمراحل الأخيرة)

توطئة

لم تكن إيران بمعزل عن أي حدث دولي أو إقليمي بالمنطقة، كما أنها لم تكن معنية في أي وقت مضىبقراءة تفاصيل المشهد المعقد في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام ومنطقة الخليج العربي على وجه الخصوص بقدر ما تبدو في الوقت الحالي. فوجئت الجمهورية الإسلامية بحجم التأثير الكبير الذي فرضته الثورات والاحتجاجات التي اجتاحت العديد من الدول العربية منذ نهاية عام ٢٠١٠، سواء على صعيد التحولات الداخلية الجذرية التي شهدتها هذه الدول، أو على صعيد توازنات القوى الإستراتيجية في الشرق الأوسط والتي تبدو مقبلة على مرحلة إعادة هيكلة جديدة لم تتحدد ملامحها النهائية بعد (لاتزال تتشكل)، لكنها في كل الأحوال سوف تمس مصالح إيران وطموحاتها في الإقليم، أي التأثير هنا مباشرًا على الأمن القومي الإيراني.

أولًا: المنهج العملي للسياسة الإيرانية في التعامل:

لاشك أن دراسة أنماط التفاعل الإيراني مع هذه التطورات الإقليمية وانعكاساتها على علاقاتها مع دول الخليج العربية تكتسب أهمية وزخمًا خاصًا لاعتبارات عديدة: أولها، أن إيران كانت من أوائل القوى الإقليمية التي دخلت على خط هذه الثورات والاحتجاجات، حيث أيدت بقوة الإطاحة بنظام الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، وتجاوزت ذلك في الحالة المصرية، بانتقالها من الإشادة بثورة ٢٥ يناير إلى محاولة تصويرها على أنها «محاكاة واستلهام للتجربة

الإيرانية» التي أصبحت «مثالاً يحتذى»، حسب قول المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي [١٥٨]، ما استدعى ردود أفعال قوية ورفضًا واسعًا من جانب القوى المصرية المختلفة التي شاركت في الثورة. ويبدو أن ذلك هو ما دفع خامنئي ذاته إلى التراجع عن تصريحاته السابقة بتأكيده مرة أخرى على أن «الصحوة الإسلامية في المنطقة لا تعني أن جميع هذه الشعوب تريد تأسيس حكومة إسلامية أو تقبل نموذج الحكومة الإسلامية في إيران» [١٥٩].

وثانيها، أن هذه التطورات سببت ارتباكًا واضحًا في سياسة إيران في المنطقة، لاسيما عندما امتدت إلى حلفائها في الإقليم وعلى رأسهم سوريا، للدرجة التي لا يمكن معها الحديث عن «سياسة» إيرانية واحدة بل «سياسات» متعددة وربما متناقضة في بعض الأحيان. فبعد أن بدت إيران مرحبة بالنتائج التي فرضتها «الموجات الثورية الأولى» التي نجحت في الإطاحة بالنظامين التونسي والمصري، ودعمت الاحتجاجات التي شهدتها البحرين، باعتبارها تدخلًا في إطار «نصرة المستضعفين» [١٦٠]، تبنت موقفًا مغايرًا تجاه الأحداث التي شهدتها سوريا منذ مارس ٢٠١١، حيث وصفتها بأنها «شأن داخلي» واعتبرتها «مؤامرة خارجية لتقويض دعائم النظام السوري»، وأيدت إجراءات الأخير في التعامل معها، كما تبنت موقفًا معارضًا لدعوة العديد من القوى والتيارات السياسية العراقية إلى

١٥٨. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ٢٠١١ ص ٨.

١٥٩. المرجع السابق، ص١٢.

١٦٠. محمد عز العرب، الأزمة السياسية في البحرين... حدود الربيع العربي، بحث منشور في مركز الخليج للأبحاث، دبي ٢٠١٣، ص ٢١.

تنظيم مظاهرات للاحتجاج على سوء الأوضاع المعيشية وانتشار الفساد، حيث أصدر وكيل المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية علي خامنئي في العراق محمد مهدي أصفي فتوى بتحريم التظاهر [١٦١].

هذا التناقض والتفاوت الجوهري بالمواقف يطرح دلالة مهمة مفادها أن إيران تنظر إلى تطورات الإقليم بمنطق الدولة التي تعي مصالحها – وفق حسابات الأمن القومي للدولة – وليس وفق مبادئ ثورتها التي تلتزم بسقف أيديولوجي. كما أن ذلك لا يعني أن إيران أقصت أيديولوجيتها في تعاملها مع تطورات محيطها الخارجي، بل إنها تستدعيها في كثير من الأحيان، لكن عندما تتوافق هذه الأيدلوجيا مع مصالحها، أما في غير ذلك فإنها تغلب الأخيرة في كل الحالات.

بالرغم من أن العنوان الرئيس لتوجهات إيران إزاء بعض التطورات في الإقليم كان «الدفاع عن المستضعفين في الأرض» باعتباره إحدى مهام الحكومة الإسلامية الإيرانية وفقًا للدستور الذي تم وضعه في عام ١٩٧٩ وتم تعديله في عام ١٩٨٩، وهو ما يجد مناخًا مواتيًا في العقيدة الشيعية التي تمجد فكرة «الاستشهاد» وما يسمى بـ«المظلومية التاريخية للشيعة»[١٦٢]، فإن إيران أثبتت، في كثير من الأحيان، قدرتها على قراءة المعطيات الموجودة على الأرض ومدى إمكانية التعامل معها بفعالية بشكل يصب في مصالحها أولًا، ويدرأ المخاطر عنها ثانيًا.

١٦١. حسنين توفيق إبراهيم، الثورات والانتفاضات وتحولات الواقع السياسي العربي، كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ٢٠١٣ ص ١٣.

١٦٢. دستور الجمهورية الإسلامية في إيران لعام ١٩٨٩ النافذ، المشرق للثقافة والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٣.

الواضح أن إيران لازالت حذرة في تبني أسلوب «المواجهة المباشرة» طالما أن نتائجها ليست مضمونة، وتفضل العمل بسياسة «الحرب بالوكالة»، وهو ما يبدو جليًّا في علاقاتها مع قوى مثل «حزب الله» اللبناني وحركة «حماس» الفلسطينية، وهي سياسة تعكس قدرة ملحوظة على الانخراط في عملية حسابية عقلانية وعلى تقييم دقيق لعلاقات القوة وحدودها [١٦٣].

وتبدو مؤشرات ذلك كثيرة، فرغم تأييد إيران للاحتجاجات التي شهدتها البحرين وإدانتها القوية لمواقف دول مجلس التعاون إزاءها خصوصًا ما يتعلق بإرسال قوات «درع الجزيرة» إلى البحرين وتهديدها بأنها «إذا تدخلت فستتغير خريطة المنطقة» كما جاء على لسان الرئيس محمود أحمدي نجاد، إلا أنها لم تتخذ في النهاية إجراءات ملموسة في هذا الإطار. كما أنها لم تتوان عن الاعتراف بشرعية المجلس الوطني الانتقالي الليبي في ٨ سبتمبر ٢٠١١ وصوتت لصالح سيطرته على مقعد ليبيا في الأمم المتحدة بعد ما دخلت القوات التابعة للثوار طرابلس. ورغم أن دُولًا كثيرة تبنت الموقف نفسه، فإنه حظي باهتمام وزخم خاص في حالة إيران، لكونها كانت إحدى الدول التي رفضت التدخل الدولي في ليبيا ممثلًا في العمليات التي قام بها حلف الناتو ضد قوات العقيد الليبي السابق معمر القذافي.[١٦٤]

١٦٣. انظر في هذا المضمون: محمد حامد الأحمري ومحجوب الزويري وآخرون، العرب وإيران... مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، الدوحة ٢٠١٢، ص ٧ – ١٣.

١٦٤. حسنين توفيق إبراهيم، الثورات والانتفاضات وتحولات الواقع السياسي العربي، م. س. ذ، ص ٢٩.

وثالثها، أن هذه التطورات الإقليمية أنتجت انعكاسات مهمة على الداخل الإيراني، حيث أحيت من جديد نشاط المعارضة الإيرانية التي استغلت تأييد إيران للثورتين التونسية والمصرية، للدعوة لتنظيم تظاهرات جديدة في ١٤ فبراير ٢٠١١، كما دعمت مطالب العديد من الأقليات الإيرانية بالحصول على حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثانيًا: مدى تأثر إيران داخليًا بموجة الثورات:

رغم أن إيران واجهت أزمة سياسية حادة عام ٢٠٠٩ كانت أكبر وأوسع نطاقًا من أية أزمة أخرى شهدها النظام في السابق بسبب الاعتراض على نتائج انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية التي أجريت في يونيو من العام نفسه وأسفرت عن فوز الرئيس محمود أحمدي نجاد بفترة رئاسية ثانية، إلا أنها لم تصل إلى مستوى الثورات الشعبية التي اجتاحت العديد من الدول العربية، ويعود ذلك إلى أن ثمة فروقات عديدة بين الحالة الإيرانية ونظيراتها العربية، نشير فيما يلي إلى أهمها:

أن هذه الأزمة كانت من داخل النظام وليس من خارجه وهذا فارق شاسع يعني في المقام الأول أن الأزمة استهدفت تطوير النظام السياسي وليس تغييره، وأن معظم القوى السياسية التي قادت حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية مازالت مؤمنة بهذا النظام ولم تخرج من عباءته.

١. الأهم من ذلك أن قادة حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات

الرئاسية هم من رموز النظام وقد تولوا مناصب رفيعة وحساسة في بعض الفترات. فمير حسين موسوي كان آخر رئيس وزراء لإيران وقد قاد الدولة في أصعب الفترات التي مرت بها الثورة خلال عقد الثمانينيات الذي دخلت خلاله في الحرب مع العراق التي امتدت ثماني سنوات (١٩٨٠- ١٩٨٨)، وتعرضت خلالها إيران لعقوبات دولية وعزلة إقليمية.[١٦٥]

أما مهدي كروبي فهو رئيس مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) لدورتين غير متتاليتين وكان أحد المقربين من قائد الثورة ومؤسس الجمهورية «الخميني» الذي اختاره ليكون ممثله في مؤسسة «الإمام الرضا» وهي إحدى «المؤسسات الخيرية" أو "البونياد" التي تقدم خدمات على الصعيد الاجتماعي، وتجاوز دورها حدود إيران إلى بعض دول الجوار مثل العراق وسوريا ولبنان.[١٦٦]

فيما كان محمد خاتمي رئيسًا للجمهورية لفترتين متتاليتين (١٩٩٧- ٢٠٠٥)، وتولى قبل ذلك منصب وزير الثقافة في حكومة هاشمي رفسنجاني، وكان ممثلًا للإمام الخميني في برلين. أما هاشمي رفسنجاني فهو رئيس الجمهورية لدورتين متتاليتين (١٩٨٩- ١٩٩٧)، وكان أحد أهم المقربين من الإمام الخميني، وما زال حتى الآن يتولى منصب رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام، وهي مؤسسة تحظى بأهمية خاصة في النظام السياسي

١٦٥. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص٣٣.
١٦٦. هيثم حازم ومحمد شقير وآخرون، إيران بين ثورتين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط١، دبي مايو٢٠١٣، ص ١٩٣-١٩٥.

الإيراني لأنها المسئولة عن حسم الخلافات بين مجلس الشورى الإسلامي ومجلس صيانة الدستور إلى جانب وضع السياسة العليا للدولة بالتشاور مع المرشد الأعلى للجمهورية.[١٦٧]

لذا وعندما تصاعدت حدة الخلافات بين المرشد علي خامنئي والرئيس أحمدي نجاد بداية من أبريل ٢٠١١، لاسيما بعد الاتهامات العديدة التي وجهها مسئولون بالدولة ورجال دين مقربون من خامنئي إلى التيار الذي يقوده الرئيس والذي يوصف حاليا بـ«تيار الانحراف» بسبب ترويجه لفكرة «العودة القريبة للإمام» ولوجود «مدرسة إيرانية للإسلام» وتبنيه توجهات ليبرالية مثل رفضه فرض قيود شديدة على ملابس النساء، والفصل بين الجنسين في المؤسسات التعليمية، بدأ بعض المحسوبين على التيار الإصلاحي في الاصطفاف إلى جانب المرشد، مثل الرئيس السابق محمد خاتمي الذي وصف تيار أحمدي نجاد بـ«المنحرف عن الإسلام الذي يفرض منهجه على الجمهورية الإسلامية وسيقف يومًا بوجه قائد الثورة علي خامنئي وسيقتله»، وأضاف أن «هذا التيار سيفعل ما فعله الخوارج عندما واجهوا الإمام علي وقتلوه في النهاية»، هذه التصريحات والتلميحات تعبر عن رؤية جناح داخل التيار الإصلاحي ما زال يؤمن بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبمحورها الأساسي الممثل في «ولاية الفقيه»، لكنه يرى أن التطوير هو تغيير واجب الحدوث داخل النظام، ومن هنا يمكن القول إن خاتمي يريد بتصريحاته تأكيد إيمانه بنظام الجمهورية الإسلامية و«ولاية الفقيه»، وتوجيه رسالة بأن تأييده

١٦٧. هيثم حازم ومحمد شقير وآخرون، إيران بين ثورتين، م.س.ذ، ص١٩٩-٢٠٣.

لحركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية التي أجريت في عام ٢٠٠٩ وأسفرت عن فوز أحمدي نجاد بفترة رئاسية ثانية، كان من باب سعيه إلى إجراء تطوير داخل النظام وليس الانقلاب عليه، مثلما دعت بعض الأجنحة الليبرالية داخل التيار الإصلاحي، على غرار «جبهة المشاركة الإسلامية»، التي باتت مواقفها أقرب إلى مواقف قوى المعارضة التي ترفض النظام من الأساس وتسعى إلى تغييره مثل حركة «مجاهدي خلق»[١٦٨].

٢. أن ثمة اختلافات هيكلية في الحالتين الإيرانية والعربية، فقد كان لافتًا أن الثورات والاحتجاجات التي تصاعدت في الدول العربية، لاسيما في تونس ومصر، كانت بدون قائد أو زعيم، حيث تجاوزت إلى حد كبير حدود الاستقطاب السياسي الموجود على الساحة بين قوميين وماركسيين وليبراليين وإسلاميين، وكان ذلك مكمن القوة الذى أدى في النهاية إلى سقوط النظامين الحاكمين.

لكن في حالة إيران الأمر مختلف، إذ أن وجود أكثر من قائد أو زعيم للاحتجاجات التي شهدتها إيران عام٢٠٠٩ كان عاملًا سلبيًا أكثر منه إيجابي، حدَّ نوعًا ما من أهميتها والزخم التي حظيت بها الحركة في بداية الأزمة، خصوصًا أن فرض قيود شديدة على تحركاتهما، مثل تحديد إقامتهما، وجه ضربات قوية لها ووفر فرصة للنظام لاحتواء الأزمة التي أنتجتها إلى حد ما.

١٦٨. انظر في هذا المضمون: محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص ٩٤-١١٩.

٣. أن النظام نجح إلى حدٍّ ما في تفتيت أركان المعارضة وإضعافها، من خلال إقناع بعض مؤيديها للعودة إلى عباءة النظام من جديد، مثلما حدث مع رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام هاشمي رفسنجاني، وبدا ذلك جليًّا في الحضور المتكرر لرفسنجاني في المناسبات السياسية والدينية السنوية في إيران، بعد أن عزف عنها طيلة أكثر من عام منذ دخوله في صدام مع المرشد والرئيس عقب إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية، على خلفية دعمه لمطالب حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات.[١٦٩]

٤. أن المؤسسة العسكرية تبقي متغيرًا مهما في هذا السياق، ليس فقط لكونها موالية للنظام السياسي الإيراني، بل لأنها تقوم بأداء وظائف ومهام تختلف عن الأدوار الكلاسيكية التي تضطلع بها نظيراتها في الدول الأخرى، خصوصًا أنها تتكون من قسمين: أولهما يعبر عن الوجه المؤسسي والجمهوري للدولة وتمثله القوات المسلحة النظامية، وثانيهما يمثل الوجه الراديكالي والثوري للنظام ويشمل الحرس الثوري «الباسدران» وقوات التعبئة الشعبية «الباسيج»[١٧٠].

وعلى ضوء شبكة المصالح الواسعة التي يديرها «الباسيج»، فضلًا عن الامتيازات التي يحظى بها، فإنه يعتبر أن مهمته الأساسية هي الحفاظ على النظام، ويرى أن أي تهديد موجه

١٦٩. سلطان محمد النعيمي، الفكر السياسي الإيراني، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبوظبي٢٠١٠، ط١، ص٥٦.

١٧٠. علي المؤمن، النظام السياسي الإسلامي الحديث وإشكالية الاقتباس من الأنظمة الوضعية، دار الهادي، ط١، بيروت٢٠٠٤ ص٣٦.

لهذا النظام هو تهديد له أيضًا، لأن مصالحه الاقتصادية والسياسية سوف تتعرض للخطر في هذه اللحظة، وفي حالة سقوط النظام، أو تعرضه لخطر الانهيار، سوف تسقط معه المصالح الاقتصادية للحرس و»الإطار الديني» الذي يضفيه على ولائه للنظام ويستخدمه لتوسيع نفوذه.[١٧١]

من هنا تبنى الحرس الثوري نهجًا متشددًا تجاه الأزمة السياسية التي أثارتها نتائج الانتخابات الرئاسية التي أجريت في يونيو٢٠٠٩، فقد دعا إلى محاكمة ومعاقبة قادة حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية، وبالتحديد مير حسين موسوي، ومهدي كروبي، ومحمد خاتمي. كما حذر «الباسيج» جماعات المعارضة الإصلاحية من تنظيم احتجاجات خلال المناسبات الدينية والوطنية المختلفة، مثل ذكرى اندلاع الثورة الخمينية في البلاد عام ١٩٧٩، الذي يحل في ١١ فبراير، وذكرى «يوم القدس»، الذي يوافق الجمعة الأخيرة من رمضان سنويًا. وساهم الحرس في فرض قيود شديدة على تحركات قادة الإصلاحيين.[١٧٢]

٥. أن طبيعة النظام السياسي الإيراني تفرض صعوبات متعددة في هذا السياق. إذ إنه يجمع بين المرجعية السياسية والدينية، ويعتمد المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا للدولة، والذي يرتبط فيه الفرد بمرجع للتقليد؛ لأن تدينه يبقى غير مكتمل في حالة عدم

١٧١. أصغر شيرازي، السياسة والدولة في الجمهورية الإسلامية... دستور إيران، ترجمة: حميد سلمان اكعبي، دار المدى، بغداد ٢٠٠٢، ط١، ص١٢-٢٨.

١٧٢. محمد صادق اسماعيل، من الشاه إلى نجاد... ايران إلى أين؟، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة ٢٠١٠، ص٢١.

تقليده لأحد مراجع الدين الذي يرشده ويفتيه في دينه ودنياه. هذا التقليد لا يرتبط بحدود الدولة الإيرانية، إذ أن أي شيعي في العالم يمكن أن يتخذ أحد المراجع الدينيين في إيران مقلدًا له. كما أنه لا يشترط في مراجع الدين الموجودين في الحوزات العلمية الدينية المنتشرة في إيران أن يكونوا إيرانيين الجنسية، حيث إن بعضهم ينتمي لجنسيات أو أصول عرقية أخرى.

وقد ظهر مفهوم «التقليد» بعد وقوع الغيبة (اختفاء الإمام الشيعي الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) ومنذ هذه اللحظة بات لكل شيعي مقلد وأصبحت حياة الشيعي مرتبطة بالحوزة بشكل مباشر إذا كان أحد طلابها أو بشكل غير مباشر عن طريق المقلدين والمجتهدين، وهو ما أنتج علاقة قوية بين الشيعة والمؤسسة الدينية، انعكست في قيامهم بشكل اختياري بدفع «الزكاة» وهو الخمس إلى المقلدين انطلاقاً من أنهم نواب للإمام الغائب. وبالطبع، فإن إيمان كثير من رجال الدين الشيعة الموجودين في إيران بنظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية يعني أن قسمًا كبيرًا من المقلدين يتبعونهم في المسار نفسه، ورغم وجود رجال دين شيعة ينتقدون التوسع في سلطات الولي الفقيه ويطالبون بفرض رقابة عليها، إلا أن ذلك لا يعني أنهم يرفضون نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية أو يطالبون بتغييره والثورة عليه[١٧٣].

١٧٣. انظر في هذا المضمون: هيثم مزاحم ومحمد شقير وآخرون، إيران بين ثورتين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط١، دبي مايو٢٠١٣، ص٧٩-١٠٤.

ثالثاً: الانقسام الإيراني حيال الثورات العربية وتداعياتها:

بالرغم من حالة التوافق التي بدت عليها مراكز صنع القرار ومؤسسات نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية حيال توصيفها للأزمة السياسية في سوريا على أنها «مؤامرة لتقويض دعائم النظام السوري»، وعلى أن إيران مستهدفة من ذلك، إلا أنها انقسمت حول الموقف من الثورات والاحتجاجات التي تجتاح العديد من الدول العربية الأخرى إلى فريقين: الأول تزعَّمه المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية علي خامنئي، والذي رأى أن ما يحدث في الدول العربية هو عبارة عن «صحوة إسلامية» للقضاء على الطغاة والاستبداديين وإقامة حكومات دينية على غرار النموذج الإيراني، وقد عبر خامنئي نفسه عن هذا الرأي بقوله في ١٦ أغسطس ٢٠١١ إن «انتشار الصحوة الإسلامية في المنطقة والتي ميزت العصر الحاضر، جاءت متأثرة بالحرة العظيمة للشعب الإيراني»، في إشارة إلى الثورة الخمينية في إيران التي نجحت في الإطاحة بنظام الشاه في عام ١٩٧٩ ,[١٧٤]

كما أطلق خامنئي، في ٢٩ أبريل ٢٠١١، صفحة خاصة على الإنترنت باسم «الصحوة الإسلامية»، تهتم بالثورات العربية وسماها «الصحوة الإسلامية»، باللغات العربية والفارسية والإنجليزية تتضمن خطابات خامنئي وباقي المسئولين الإيرانيين وكل ما له صلة بالثورات العربية باستثناء المظاهرات في سوريا . وقال الموقع الخاص بالمرشد

١٧٤. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، كراسات استراتيجية العدد٢٢٦، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة٢٠١٢، ص٨.

على الإنترنت إن خامنئي يبدي اهتماماً كبيراً بما سماها «الصحوة الإسلامية في المنطقة العربية»، وإن الصفحة الجديدة هدفها دعم حركة الصحوة الإسلامية المنتشرة في المنطقة، باستثناء سوريا حيث تتهم طهران «قوى الاستكبار العالمي وعملائها في المنطقة بالعمل على تقويض جبهة المقاومة الإسلامية التي تشكل سوريا الخط الدفاعي الأول لها»[١٧٥].

فضلاً عن ذلك، نظمت إيران، تحت رعاية المرشد الأعلى، مؤتمرا لـ«الصحوة الإسلامية» في ١٧ و١٨ سبتمبر ٢٠١١، حضره حوالي ٦٠٠ مشارك من ٨٠ دولة خاصة الدول التي تشهد ثورات واحتجاجات بالإضافة إلى ٤٠٠ مشارك إيراني، دعا خلاله خامنئي الدول العربية إلى «عدم الثقة بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب وحلف الأطلنطي، وحل مشاكلهم عن طريق تطبيق مبادئ الإسلام»، مضيفا أن «المعسكر الشرقي قد انهار، والغربي يحاول البقاء، والصحوة الإسلامية هي التي ستنتصر».

أما الفريق الثاني، فيفضل التروي وعدم اتخاذ موقف انفعالي تجاه الثورات والاحتجاجات التي تشهدها العديد من الدول العربية لحين استشراف التداعيات التي يمكن أن تتمخض عنها على مصالح إيران وطموحاتها الإقليمية. بل إنه يتجاوز ذلك ويدعو إلى «عدم وضع كل البيض الإيراني في السلة السورية»، ويتحدث عن أن سقوط النظام السوري ليس نهاية العالم وأن إيران يمكن أن تتأقلم سياساتها حتي مع حدوث هذا الاحتمال بناء على البدائل المطروحة

١٧٥. المرجع السابق، ص١٥.

للحلول محله، خصوصًا العراق، حيث يمكن أن تقوم إيران، وفقًا لهذا الفريق، بتكثيف وجودها ونفوذها في العراق، لجعله «قناة التواصل» الجديدة مع حلفائها في لبنان وفلسطين في حالة سقوط النظام السوري.[١٧٦]

هذا التمايز في الموقف الإيراني يبدو جليًّا في حرص الرئيس أحمدي نجاد على تجنب استخدام المفردات نفسها التي تبنَّاها المرشد لوصف الموجات الثورية العربية، بل إنه كان أول مسئول إيراني يدعو الرئيس السوري إلى وقف العنف وإجراء حوار مع المعارضة. لكن ذلك الاختلاف لا يعود فقط إلى القراءة الحذرة التي يتبناها هذا الفريق إزاء تداعيات هذه الموجات على مصالح إيران، وإنما- وربما يكون ذلك هو الأهم- يتصل بحالة التحول التي تبدو في خطابه السياسي من «العالموية» إلى «القومية» خصوصًا في الفترة الثانية لرئاسة أحمدي نجاد، حين أبرز الهوية الوطنية الإسلامية لإيران مقابل الإسلاموية العالمية، بشكل يشير إلى تبلور تيار جديد لـ«المحافظين القوميين» يتبنى رؤى وأطروحات تختلف في كثير من الأحيان مع رؤى «المحافظين الدينيين» الذين يمثلهم المرشد الأعلى علي خامنئي ومؤيديه في مؤسسات الدولة وحوزة قم.[١٧٧]

الملفت هنا أن هذه التوجهات التي يتبناها الفريق الذي يقوده أحمدي نجاد تمثل عنوانًا عامًا لصراع داخلي جديد بدأت تتبلور

١٧٦. حسنين توفيق إبراهيم، الثورات والانتفاضات وتحولات الواقع السياسي العربي، كراسات استراتيجية العدد ٢٢٥، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ٢٠١٢، ص ١١ – ١٨.

١٧٧. سلطان محمد النعيمي، الفكر السياسي الإيراني، م.س.ذ، ص٦٧.

ملامحه داخل إيران وهو ما يؤشر إلى أن تطورات الخارج أصبحت رقمًا مهمًا ومدخلًا رئيسًا في تفاعلات الداخل. لكن المفارقة تكمن في أن هذا الصراع الجديد لا يتأسس على الاستقطاب الكلاسيكي التقليدي بين المحافظين والإصلاحيين، وإنما على خلافات ليست ثانوية بدأت تنشب داخل التيار الحافظ الذي يسيطر على مؤسسات صنع القرار في هذه الفترة بعد أن خرج الإصلاحيون من السلطة تمامًا واتهمهم النظام بتأجيج الأزمة الداخلية التي نشبت على خلفية نتائج انتخابات الدورة العاشرة لرئاسة الجمهورية.

كما أن هذا الصراع لا يتأسس على تباينات حول أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للنظام رغم أهميتها، إنما على أسس وأفكار تمس جوهر النظام السياسي الإيراني في الصميم، لاسيما «ولاية الفقيه» التي تمثل «عموده الفقري». فقد بدا لافتًا أن هذه التوجهات التي يتبناها تيار أحمدي نجاد إزاء الاحتجاجات والثورات العربية تتزامن مع تطورين: أولهما، الترويج لفكرة «العودة القريبة للإمام» التي يتبناها التيار المؤيد للرئيس أحمدي نجاد. ورغم أن قضية «عودة الإمام» متعارف عليها فى المذهب الشيعي، إلا أنها بوصول الرئيس أحمدى نجاد إلى رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠٥ اتخذت بعدًا عمليًا وسياسيًا لاسيما في ظل حرص الرئيس ومؤيديه على تأكيد أن المهمة الأساسية لحكومته تتمثل في تهيئة المجال أمام عودة الإمام وأن هذه العودة أصبحت قريبة، وعلى إيران تسوية مشاكلها الداخلية في أسرع وقت «لأن الوقت يداهمنا»، بل إنه اتهم في أحد خطاباته الولايات المتحدة الأمريكية بأنها «العقبة

الأساسية أمام عودة الإمام»[١٧٨].

ومن دون شك فإن انتشار مثل هذه المزاعم يثير قلقًا خاصًا لدى رجال الدين في إيران؛ لأنها تكشف عن رغبة هذا التيار في تقليص صلاحيات ومكانة المرشد الأعلى للجمهورية (الولي الفقيه) الذي يلعب دور «همزة الوصل» بين الإمام الغائب وجمهور الشيعة، حيث إن المعنى المباشر لاقتراب عودة الإمام الغائب هو انتفاء الحاجة إلى الولي الفقيه ممثلًا في المرشد الأعلى للجمهورية[١٧٩].

ثانيهما، بروز مؤشرات عديدة تفيد سعي هذا التيار إلى ترويج أنه لم يعد هناك مبرر للقطيعة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وأن مصالح إيران وأمنها القومي يقتضيان فتح قنوات للتواصل مع «الشيطان الأكبر» وفي رؤية هذا التيار فإن تحسين العلاقات مع واشنطن لا يعني بالضرورة انتهاء الخلافات القائمة بين الطرفين. فوجود خلافات يبقى علامة مميزة في العلاقات بين دول العالم المختلفة، وكثيرة هي الأزمات التي اندلعت بين العديد من هذه الدول، وبعضها وصل إلى مرحلة حرجة، ومع ذلك لم تؤد إلى قطع العلاقات الدبلوماسية، فرغم أن الولايات المتحدة كانت تعتبر الاتحاد السوفييتي عدوها الأول خلال الحرب الباردة، فإن ذلك لم يمنع أن تكون أكبر سفارة لها على مستوي العالم في موسكو.

والمفارقة هنا تكمن في أن هذه التوجهات تضيق إلى حد ما

١٧٨. حسنين توفيق إبراهيم، الثورات والانتفاضات وتحولات الواقع السياسي العربي، م.س.ذ، ص ٢٩.

١٧٩. روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، مؤسسة الكوثر الثقافية، ط١، البصرة٢٠١٢، ص٥١.

من مساحة الخلافات القائمة بين هذا التيار وبين الإصلاحيين الذي نادوا في السابق بتوسيع هامش الحريات وتقليص صلاحيات الولي الفقيه وإخضاعها للرقابة، والانفتاح على الخارج بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما دفع العديد من الاتجاهات إلى تسمية التيار الذي يقوده الرئيس أحمدي نجاد بـ«الإصلاحيين الجدد».

مكانة رجال الدين في ظل التقرب من الولايات المتحدة الأمريكية:

مكمن الخطورة هنا في رؤية خامنئي ورجال الدين يتمثل في أن توجه «الإصلاحيون الجدد» يمكن أن يهدد مصالح رجال الدين داخل النظام لاعتبارات ثلاثة:

أولها: أن النظام الإيراني كان يستدعي خصومته مع الولايات المتحدة الأمريكية لتقوية قواعده والتهرب من الأزمات التي يواجهها في الداخل والخارج وبالتالي فإن انتهاء هذه الخصومة يمكن أن يُفقد هذا النظام بعض نقاط قوته.

ثانيها: أن تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة يعني تدعيم التوجهات القومية والليبرالية التي يتبناها هذا التيار بما يمكن أن يخصم من مصالح رجال الدين والمكتسبات التي حققوها من خلال قدرتهم على التحكم في مراكز صنع القرار في الدولة.

ثالثها: أن الانفتاح على الخارج يقلص من قدرة النظام على التعامل مع التحديات التي يواجهها. ويبدو أن النظام الإيراني يضع في اعتباره

أن النظامين التونسي والمصري اللذين سقطا بفعل موجات المد الثوري التي اجتاحت الدول العربية في الوقت الحالي كانا من أهم حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في الإقليم ومع ذلك لم تتحرك لمساعدتهما على الصمود في مواجهة الثورات الشعبية[١٨٠].

رابعًا: الثورات العربية والمصالح الإيرانية:

يمكن القول إن هذه التطورات والمتمثلة بثورات الربيع العربي سوف تفرض تداعيات متباينة على مصالح إيران وطموحاتها في أن تصبح رقماً مهماً في معظم الملفات الإقليمية إن لم يكن مجملها، وهو ما يفسر حالة الارتباك الواضحة التي اتسم بها تعامل إيران معها، حيث تحول اطمئنانها إزاء التداعيات الأولية لـ»موجات التغيير والتحول الثوري» التي بدأت في يناير ٢٠١١، خصوصًا مع نجاحها حتى الآن في الإطاحة بأنظمة زين العابدين بن علي في تونس، ومبارك في مصر، وعلي عبد الله صالح في اليمن، إلى قلق بعد أن امتدت هذه التطورات إلى حلفائها في الإقليم وفرضت عليها بدائل ضيقة وأدخلتها في صراعات مع العديد من القوى الإقليمية.
– وبشكل عام، يمكن التمييز بين اتجاهين مختلفين حول تداعيات الثورات العربية على المصالح الإيرانية:

١٨٠. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص ٣٥.

ا –الثورات العربية تخلق فرصًا جديدة لإيران:

أبدت إيران ارتياحًا ملحوظًا لسقوط النظامين التونسي والمصري بفعل الموجات الثورية التي اجتاحت العديد من الدول العربية، لاسيما أنهما يعدان من حلفاء الغرب في الشرق الأوسط، بما يعني أن سقوطهما يقدم مؤشرًا على فشل الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية، وتدعمها العديد من القوى الإقليمية بالمنطقة، لفرض عزلة إقليمية عليها وكبح طموحاتها النووية والإقليمية، وعلى انتصار ما يسمى بـ«محور الممانعة» الذي تقوده إيران ويضم كلاً من سوريا و«حزب الله» اللبناني وحركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» الفلسطينيتين، في مواجهته مع «محور الاعتدال» الذي يشمل دول مجلس التعاون الخليجي إلى جانب مصر والأردن وبعض الدول العربية الأخرى.[١٨١]

هذا الارتياح الملحوظ دفع العديد من الاتجاهات داخل إيران إلى الحديث عن بعض المكاسب الآنية من قيام الثورات والاحتجاجات في العديد من الدول العربية والتي يمكن تناولها في الآتي:

أ – تأسيس شرق أوسط إسلامي بقيادة إيران:

حاولت إيران استغلال سقوط بعض الأنظمة العربية لاكتساب أرضية جديدة في الإقليم والترويج لما يسمي بـ«النموذج السياسي الإيراني»، حيث اندفعت إيران إلى الحديث عن ظهور شرق أوسط

١٨١. محمد السعيد عبدالمؤمن، الجمهورية الثالثة في إيران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة ٢٠١٢، ص ٤٨.

جديد في المنطقة على أنقاض الأنظمة التي سقطت، واستدعت في هذه اللحظة مشروعها لإقامة شرق أوسط إسلامي في مواجهة المشروعات التي طرحتها الولايات المتحدة الأمريكية عقب احتلال العراق عام ٢٠٠٣، مثل مشروع «الشرق الأوسط الكبير» و«الشرق الأوسط الجديد»[١٨٢] ويعتمد هذا المشروع الإيراني على محورين: الأول أيديولوجي يتمثل في إيمان النظام الإيراني بحتمية قيام الحكومة العالمية للإسلام في ظل التنافس المذهبي مع المملكة العربية السعودية باعتبارها حاضنة المقدسات الإسلامية والمركز الرئيس للإسلام السني، وبضرورة اضطلاع إيران بدور قوي في التمهيد لذلك طبقًا لما جاء في الدستور الإيراني. والثاني استراتيجي يتصل بمحاولات إيران تكوين حزام أمني يكون بمثابة حائط صد لكل المحاولات التي يبذلها خصومها لاختراقها من الداخل أو إحكام محاصرتها عبر دول الجوار[١٨٣].

ب- دعم العلاقات مع الدول التي سقطت أنظمتها:

مسارعة إيران إلى التبشير بولادة شرق أوسط جديد مرجعه ارتياحها الملحوظ تجاه سقوط نظام مبارك تحديدًا، والذي تصادف للمفارقة، مع ذكرى نجاح الثورة الإسلامية في ١١ فبراير ١٩٧٩. إذ اعتبرت طهران أن سقوط نظام مبارك لم يؤد فقط إلى توجيه

١٨٢. بيزن ذبيحي، التحديات الأمنية والتهديدات في انتخابات المجلس التاسع، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، عدد٥٥، القاهرة فبراير ٢٠١٢، ص ١٢.

١٨٣. عبدالعظيم البدران، كيف تحكم إيران: دراسة في صنع السياسات العامة بعد عام ١٩٨٩، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت ٢٠١٤، ص١٤١.

ضربة قوية للجهود الأمريكية من أجل فرض عزلة عليها، وإنما يمثل البوابة السحرية لتطوير العلاقات مع مصر التي تحظى باهتمام خاص من جانبها لاعتبارات استراتيجية وتاريخية وحضارية، على أساس أن نظام مبارك سببًا أساسيًا، من وجهة نظر طهران، لعرقلة تطوير العلاقات، بسبب انحيازه للسياسات الأمريكية والإسرائيلية ومعارضته لطموحات إيران النووية والإقليمية.

وبالفعل شهدت العلاقات المصرية – الإيرانية تحسنًا ملحوظًا عقب سقوط نظام مبارك (بعهد الرئيس المعزول محمد مرسي) لاسيما بعد ظهور مؤشرات تفيد اتجاه القاهرة إلى إجراء عملية مراجعة لسياستها الخارجية[١٨٤]، وهو ما عكسه تصريح وزير الخارجية المصري الأسبق (الأمين العام الحالي للجامعة العربية) نبيل العربي الذي قال فيه: «إن إيران كدولة ليست عدوا لمصر، وإن القاهرة تفتح معها صفحة جديدة، وإن إيران دولة صديقة، وإننا إذا كنا نفعل ذلك في مصر فنحن ننتظر ردهم في طهران، وإن مصر لا تمانع في أن تتلقى أي اتصال من حزب الله بشرط ألا يؤدي ذلك إلى أي تدخل في شئون لبنان»[١٨٥].

– إلى جانب ذلك، حسمت إيران موقفها من الثورة الليبية، والذي اتسم بالغموض في البداية بسبب شكوكها إزاء النوايا الغربية تجاه ليبيا بعد التدخل العسكري من جانب حلف شمال الأطلسي

١٨٤. عزت عبدالواحد، العلاقات المصرية – الإيرانية بعد زيارة نجاد، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٢، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة إبريل ٢٠١٣، ص١١٢.

١٨٥. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص ٣٩.

والذي ساعد في إسقاط نظام معمر القذافي، حيث اعترفت في ٨ سبتمبر ٢٠١١ بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي، وصوتت لمنح المجلس مقعد ليبيا في الأمم المتحدة، وأرسلت سفيرها في ليبيا إلى طرابلس لاستئناف مهامه. كما أعلنت على لسان وزير خارجيتها علي أكبر صالحي أنها قدمت مساعدات سرا للثوار الليبيين قبل سقوط طرابلس، حيث قال صالحي في هذا الصدد: «قبل سقوط القذافي، كانت لنا اتصالات مع عدد كبير من مجموعات الثوار وأرسلنا من دون ضجيج ثلاث إلى أربع شحنات طبية وإنسانية إلى بنغازي».[١٨٦]

فضلًا عن ذلك سعت إيران إلى تقليص حالة الفتور التي تتسم بها علاقاتها مع حركة النهضة الإسلامية التونسية بزعامة راشد الغنوشي، الذي كشف خلال مقابلة مع «قناة الجزيرة» في ١١ يناير ٢٠٠٧ أن السلطات الإيرانية اعترضت على استقباله ضمن وفد من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، معللة ذلك بأن من شأنه أن يسيء إلى علاقة طهران مع تونس. ومن هنا رحبت إيران بفوز الحزب في انتخابات المجلس التأسيسي التي أجريت في ٢٣ أكتوبر ٢٠١١، وأكدت أنها نجحت في إقامة علاقات جيدة مع الحكومة الجديدة وكل القوى والتيارات السياسية التونسية [١٨٧]، وإن كان ذلك

١٨٦. خالد حنفي علي، التحولات الانتقالية في السياسة الخارجية الليبية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٣، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة يوليو ٢٠١٣، ص٨٤.

١٨٧. معتز سلامة، السياسات الخارجية لدول الثورات والمستقبل الغامض، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٣، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة يوليو ٢٠١٣، ص ٦٠.

لا ينفي أن ثمة حالة من الارتياب ما زالت تسم العلاقة بين إيران وحركة النهضة، وهو ما بدا جليًّا في مسارعة راشد الغنوشي إلى تأكيد أنه لا يعتزم الدعوة إلى تأسيس نظام إسلامي في تونس على غرار نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حيث قال فور عودته من الخارج في ٣٠ يناير ٢٠١١: «لست مثل الخميني. لدينا حزب إسلامي وديمقراطي يشبه كثيرًا حزب العدالة والتنمية في تركيا»[١٨٨].

ج- تحقيق مزيد من التقدم في البرنامج النووي:

اعتبرت إيران أن الخلافات التي بدت واضحة في مواقف كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا من ناحية، وروسيا والصين من ناحية أخرى حول التعاطي مع الاحتجاجات والثورات التي تجتاح العديد من الدول العربية، خصوصاً ليبيا وسوريا، تصرف الانتباه، ولو مؤقتًا، عن برنامجها النووي بشكل يمنحها مزيدًا من الوقت يساعدها على تحقيق هدفين: أولهما، التعامل بجدية مع المشكلات التكنولوجية التي يعاني منها البرنامج النووي في الوقت الحالي خصوصًا بعد نجاح فيروس «ستوكس نت»[١٨٩] في تدمير ما يقرب

١٨٨. عبد السلام بوعائشة، البحث عن التوازن في السياسة الخارجية التونسية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٣، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة يوليو ٢٠١٣، ص ٨٠.

١٨٩. ستوكس نت أو ستكسنت (Stuxnet) هو دودة حاسوبية تصيب نظام الويندوز ويُعتقد أنه من صنع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، تم اكتشافه أول يونيو ٢٠١٠ من قبل "فيروس بلوك أدا" (VirusBlockAda) وهي شركة أمن مقرها في روسيا البيضاء، وصمّم لضرب هدف صناعي محدّد وهي المنشآت الإيرانيّة، وفي هذا الإطار، قدّم الخبيران الألمانيّان "رالف لانغنر" و"فرانك ريغر" نظريّتين متناقضتين حول الهدف المقصود. بالنسبة للانغنر، يمثّل مفاعل بوشهر النووي المخطط لتشغيله

من ألف جهاز طرد مركزي، بشكل أدى إلى حدوث تأخير ملحوظ في البرنامج النووي. وثانيهما، إنتاج أكبر كمية ممكنة من اليورانيوم المخصب، مع ضمان عدم التعرض لعقوبات دولية مشددة نتيجة انشغال الغرب بالثورات العربية، بشكل يساعد على تدعيم موقف إيران التفاوضي في حالة إجراء مباحثات جديدة مع مجموعة «٥+١»[١٩٠].

٢-الثورات العربية تفرض تحديات محتملة:

التداعيات الإيجابية المذكورة آنفاً تبدو مؤقتة، لحين تبلور ملامح نهائية للشرق الأوسط بعد انتهاء موجات التغيير الديمقراطي الحالية، بل إن مؤشرات عديدة توحي بأن إيران ربما تكون إحدى القوى الإقليمية التي يمكن أن تتأثر سلباً بفعل التداعيات المحتملة للثورات والاحتجاجات العربية والتي يمكن أن تظهر على المدى الطويل. والمفارقة هنا أن هذه التأثيرات لا تقتصر فقط على مصالح إيران وموقعها في الإقليم، بل تمتد أيضا إلى الجبهة الداخلية التي تواجه حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار لأسباب سياسية واقتصادية عديدة، بشكل يوحي بأن إيران باتت حالة كاشفة للترابط القوي بين ما يموج في الداخل من تفاعلات كثيفة وما يدور في الخارج من تطورات متسارعة، وهو ما يمكن تناوله على النحو التالي:

قريباً هدف هذا الفايروس، ويرى أنّ الهدف الأساسي هو ذو طبيعة تجسّسية، ويكمن في نقل المعلومات لحاسوب مركزي في ماليزيا. بينما يعتبر ريغر أن مفاعل نطنز لتخصيب اليورانيوم يشكّل هدفاً أكثر جاذبيّة. فلا تختصّ هذه الدودة بالتجسّس، وإنّما هي تحمل في طيّاتها مهمات تخريبيّة، كما تبيّن لجميع الاختصاصيين.

١٩٠. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص ٤٥.

أ-على المستوى الداخلي:

وضعت الثورات والاحتجاجات التي اجتاحت العديد من الدول العربية النظام الإيراني في مأزق، لاسيما أن موقفه المؤيد للثورتين التونسية والمصرية منح الفرصة لحركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية لاتخاذ خطوات عديدة بهدف إحراج نظام أحمدي نجاد وفرض مزيد من الضغوط عليه. إذ استغلت المعارضة حلول الذكرى الثانية والثلاثين لقيام الثورة في فبراير ٢٠١١ لإعادة تجديد مطالبها مرة أخرى لكن تحت عنوان «تأييد ثورتي تونس ومصر». ورغم الإجراءات الأمنية المشددة التي اتخذتها السلطات، إلا أن ذلك لم يفلح في منع المتظاهرين من التجمع في ميدان «آزادي" (الحرية)، وهو ما أدى إلى حدوث اشتباكات أسفرت عن وقوع عدد من القتلى والجرحى في صفوف المعارضة وقيام السلطات الإيرانية بوضع زعيمي الحركة مير حسين موسوي ومهدى كروبي قيد الإقامة الجبرية[١٩١].

لكن الملفت للانتباه أن دعوة الحركة للتظاهر من أجل تأييد الثورتين التونسية والمصرية لم تكتسب زخمًا كبيرًا على الساحة الداخلية، ويعود ذلك إلى أن الحركة تتبنى في الأساس منذ بداية الأزمة عام ٢٠٠٩ أجندة داخلية ذات مطالب قومية بامتياز بدليل أن شعار «لا غزة ولا لبنان روحي فداء إيران» كان أحد الشعارات التي ميزت تظاهراتها ضد النظام بعد إجراء الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩، بما يعني أنها تحاول استغلال الظرف الإقليمي لتحقيق

١٩١. هيثم مزاهم ومحمد شقير وآخرون، إيران بين ثورين، م.س.ذ، ص١٩٣.

هدف داخلي يتمثل في إعادة تجديد نشاطها وتعبئة أنصارها بعد التضييق الشديد الذي تعرضت له في الآونة الأخيرة. وقد كان هذا التناقض الذي انتاب أجندة الحركة أيضًا أحد الأسباب التي ساعدت النظام على احتواء مطالبها وأنشطتها فيما بعد.

لكن رغم نجاح النظام، إلى حد ما، في تضييق هامش المناورة المتاح أمام حركة الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية، فإنه فشل حتى الآن في تجاوز الأزمة السياسية التي يواجهها منذ عام ٢٠٠٩، والتي كانت أكبر وأكثر اتساعًا من أية أزمة أخرى مر بها من قبل، خصوصًا أنها انتقلت من التشكيك في شرعية فوز الرئيس أحمدي نجاد بفترة رئاسية ثانية إلى الطعن في كفاءة وأهلية المرشد الأعلى للجمهورية بسبب تحيزه للرئيس، فضلًا عن أنها اكتسبت زخمًا وأهمية خاصة على الساحة الدولية، في ظل تطلع الخارج إلى إمكانية تغيير النظام من الداخل، وبالتالي إعفاؤه من الأثمان التي يمكن أن يدفعها في حالة إقدامه على محاولة تغييره بوسائل أخرى.

ب-على المستوى الإقليمي:

ربما تنتج الثورات والاحتجاجات العربية تداعيات سلبية عديدة على مصالح إيران وطموحاتها الإقليمية، وهو ما يمكن رصده فيما يلي:

١-تحديات أمام مشروع الشرق الأوسط الإسلامي:

فرضت التطورات التي تشهدها العديد من الدول العربية «بدائل

ضيقة» أمام إيران دفعتها إلى تبني سياسات متناقضة إزاءها، ففي الوقت الذي دعمت فيه الثورات والاحتجاجات التي شهدتها دول مثل تونس ومصر والتمرد الطائفي في البحرين واعتبرتها «مستوحاة من الثورة الإسلامية الإيرانية»، وصفت الأحداث التي شهدتها سوريا بأنها «شأن داخلي» وأيدت إجراءات النظام السوري في التعامل معها، كما رفضت تنظيم المظاهرات في العراق، بعد أن أصدر وكيل المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية علي خامنئي في العراق محمد مهدي أصفي فتوي بتحريم التظاهر.[١٩٢]

هذا التناقض يضفي صعوبات متعددة أمام مشروع الشرق الأوسط الإسلامي الذي تتبناه إيران، والذي يفترض في مضمونه الأعم، أن تستقيم العلاقات بين أطرافه على أسس ومبادئ واضحة تقوم على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشئون الداخلية وتوازن المصالح، وهو ما لا يتوافر في تفاعلات إيران مع محيطها القريب. فضلًا عن أنه إلى جانب افتقاد المشروع لتعريف واضح لأهدافه وحدوده، فإن ثمة مخاوف تنتاب العديد من القوى الإقليمية من أن يكون مجرد أداة تستخدمها إيران لدعم تمددها في الإقليم، كما أن الخلافات القائمة بين أطرافه تفرغه من مضمونه، بدءًا من أزمة الملف النووي الإيراني وما تنتجه من تداعيات سلبية محتملة، مرورًا بتهديدات إيران المتكررة باستهداف مصالح دول الجوار أو إغلاق مضيق هرمز في حالة تعرضها لحظر نفطي أو

١٩٢. محمد الأنور، حكومة العبادي وحصاد سياسات المالكي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٨، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة أكتوبر ٢٠١٤، ص ١٤٤.

ضربة عسكرية أمريكية أو إسرائيلية، وانتهاءً بتدخلاتها في الشئون الداخلية لبعض هذه الدول وعلى رأسها مملكة البحرين.[١٩٣]

٢-علاقات فاترة مع قوى الثورة:

إن الثورات والاحتجاجات التي اجتاحت العديد من الدول العربية تخصم إلى حد ما من وجاهة وزخم «الصورة النمطية» التي رسمتها إيران لنفسها باعتبارها «الأمة الثائرة في الشرق الأوسط» التي تقدم، في رؤية الإيرانيين، نموذجًا «ملهما» للثورة على «الأنظمة السياسية الفاسدة» في الدول المحيطة بها. ففي هذا السياق، اتسمت الثورتان التونسية والمصرية تحديدًا بعدد من الملامح التي لا تبدو مريحة بالنسبة لطهران، منها أنها كانت «ثورات وطنية» تجاوزت إلى حد بعيد حدود الاستقطاب السياسي الموجود على الساحة بين ليبراليين ويساريين وقوميين وإسلاميين، وكان ذلك سر قوتها لأنه جنبها الالتزام بسقف أيديولوجي كان من الممكن أن يقيد حركتها ويحكم تفاعلاتها. بمعنى آخر، فإنها لم تكن «ثورات دينية»، كما حاولت إيران تصويرها، خصوصًا أن تيار الإسلام السياسي ورغم أنه كان رقمًا مهمًا فيها، إلا أنه لم يكن الرقم الوحيد.[١٩٤]

لذا وعندما ادعت إيران على لسان المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي أن «الثورات العربية تستلهم روح ونموذج الثورة الإسلامية في إيران وبالتالي فهي استمرار لها»، اندفعت العديد من

١٩٣. محمد عز العرب، الأزمة السياسية في البحرين... حدود الربيع العربي، كراسات استراتيجية، العدد ٢٢٣، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ٢٠١٢، ص٧.

١٩٤. محمد عباس ناجي، الربيع العربي... إيران في شرق أوسط جديد، م.س.ذ، ص ٤٤.

التيارات الإسلامية التي شاركت في الثورات إلى رفض ذلك، حيث قال راشد الغنوشي زعيم حركة «النهضة الإسلامية» التونسية: (إنه ليس الخميني وتونس ليست إيران)، فيما قالت حركة «الإخوان المسلمين» المصرية إن (الثورة المصرية ثورة شعبية مصرية خالصة ولا يستطيع أحد أن ينسب الفضل لنفسه في القيام بها)[١٩٥]. بل إن التيارات والقوى السياسية الأخرى التي شاركت في الاحتجاجات التي شهدتها العديد من الدول العربية الأخرى انتقدت المواقف التي انتهجتها إيران، فبينما دعت بعض التيارات الشيعية في البحرين إيران إلى عدم التدخل في الأزمة الداخلية؛ لأن ذلك يعطي المبرر للنظام الحاكم لاتهام المعارضة بالعمالة للخارج ويكرس من الطابع الطائفي الذي اتسمت به من البداية، وجهت بعض قوى المعارضة السورية ومن بينها حركة «الإخوان المسلمين» اتهامات لإيران بدعم نظام الرئيس السوري بشار الأسد بقمع التظاهرات[١٩٦].

٣-مخاطر سقوط النظام السوري:

إن أهم ما يثير قلق إيران في هذه اللحظة هو سقوط حليفها الرئيس الأول في الشرق الأوسط وهو نظام الرئيس السوري بشار الأسد. إذ أن ذلك ينتج تداعيات سلبية عديدة على مصالحها وطموحاتها الإقليمية، أهمها فقدان الغطاء العربي الذي استخدمته لدعم تمددها في الإقليم، فضلًا عن انقطاع «جسر التواصل» مع الحلفاء الآخرين مثل «حزب الله» اللبناني وحركتي «حماس»

١٩٥. المرجع السابق، ص٤٧.

١٩٦. محمد عز العرب، الأزمة السياسية في البحرين... حدود الربيع العربي، م.س.ذ، ص١٢.

و«الجهاد الإسلامي» الفلسطينيتين.

المشكلة هنا، في رؤية إيران، لا تكمن في احتمال سقوط النظام السوري الحليف فحسب، بل في التعامل مع البدائل المطروحة في حالة حدوث ذلك، والتي يبدو أن إيران غير مستعدة لها حتى الآن. إذ لا توجد مؤشرات توحي بوجود علاقات تربط بين إيران والقوى والتيارات السياسية السورية الأخرى التي يمكن أن تحل محل النظام القائم، بل إن بعضها ينتهج سياسة غير ودية تجاه إيران، فضلًا عن أن الدعم الملحوظ الذي تبديه إيران تجاه السياسة القمعية التي ينتهجها النظام السوري في مواجهة الاحتجاجات يفرض حالة من التوتر في العلاقات بين إيران وهذه القوى السياسية ويمنح في الوقت ذاته الفرصة لقوى إقليمية ودولية أخرى مثل تركيا وقطر وفرنسا، للعب دور مهم في التواصل مع القوى السورية الأخرى، استعدادًا للسيناريوهات المختلفة التي يمكن أن تتمخض عنها الأزمة الحالية.[١٩٧]

وقد انعكس التوتر بين إيران و«المجلس الوطني السوري»، وهو أحد أهم وأكبر فصائل المعارضة السورية، في التصريحات التي جاءت على لسان رئيس المجلس برهان غليون في ٢ ديسمبر ٢٠١١، والتي تعهد فيها بقطع علاقات دمشق العسكرية مع إيران و«حزب الله» اللبناني عند تولي المعارضة حكم سوريا، واصفًا العلاقات السورية – الإيرانية بأنها «غير طبيعية»، وأضاف: «لن تكون هناك علاقة

١٩٧. رابحة سيف الإسلام، العنف في سوريا...حرب متعددة الجبهات، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٨، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة أكتوبر ٢٠١٤، ص ٩٦.

خاصة مع إيران»، موضحًا أن «قطع العلاقة الاستثنائية يعني قطع التحالف الاستراتيجي العسكري». وقد دفع ذلك مستشار المرشد الأعلى للعلاقات الخارجية علي أكبر ولايتي إلى توجيه انتقادات حادة إلى غليون واصفًا إياه بـ«الأداة الرخيصة والسيئة والبائسة للصهيونية والاستعمار»، موضحًا أن «من سمعه أخيرًا وهو يتكلم عن مستقبل سوريا في حال سلمته القوى الأجنبية الحكم يستطيع الحكم على نوع المستقبل المتخاذل والمخجل والرخيص الذي يريده لبلاده، إذ هو يريد القطع مع الجوار وربط مصير المنطقة بالقوى الأجنبية التي تموله وترعاه»[١٩٨]، وثمة مؤشرات عديدة تشير إلى أن الأزمة السورية تحولت إلى محور خلافات داخل مؤسسات الحكم في إيران، لاسيما في ظل التوجه الذي تتبناه العديد من القوى والمؤسسات المشاركة في عملية صنع القرار داخل إيران والذي يقوم على أن «انهيار النظام السوري ليس نهاية العالم» وأن «إيران قادرة على تعويض خسائرها المحتملة في حالة حدوث ذلك» سواء من خلال تكريس نفوذها في العراق عقب الانسحاب الأمريكي في نهاية ديسمبر ٢٠١١ أو عن طريق بذل جهود لفتح قنوات تواصل جديدة مع قوى إقليمية مثل مصر. لكن التيار الأكثر قوة داخل إيران وعلى رأسه المرشد الأعلى للجمهورية حسم القرار بالوقوف بكل قوة من أجل حماية النظام السوري من خطر السقوط.[١٩٩]

ومن هنا رفضت إيران المظاهرات التي اجتاحت العديد من

١٩٨. رابحة سيف الإسلام، العنف في سوريا...حرب متعددة الجبهات، م.س.ذ، ص، ص١٠٣.

١٩٩. خالد الحروب، محددات الدعم الخليجي للتغيير في سوريا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٢، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة ابريل ٢٠١٣، ص ٨٩.

المدن السورية مثل درعا وبانياس وحلب، واعتبرتها «مؤامرة خارجية افتعلها الأعداء لتهديد النظام السوري وضرب الأمن والاستقرار في سوريا»، وأكدت أن تعامل النظام معها هو «شأن داخلي»، وربطت بينها وبين الأحداث التي شهدتها في عام ٢٠٠٩، على خلفية الاعتراض على نتائج الانتخابات الرئاسية. هذا الربط كان مقصودًا للإشارة إلى أن التظاهرات التي وقعت في البلدين كانت مؤامرة من تدبير قوى خارجية لتقويض دعائم النظامين الحليفين. لكنه لا يتسامح مع المعطيات الموجودة على الأرض التي تشير إلى أن هذه التظاهرات، مثل غيرها التي وقعت في الدول الأخرى بالمنطقة [٢٠٠]، هي نتاج مخاض طويل لحالة من الاستياء الشعبي المتصاعد على خلفية انتشار ظواهر الفساد والرشوة وارتفاع مستويات الفقر ومعدلات التضخم والبطالة واحتكار السلطة وانتهاك القوانين وغياب الحريات العامة وانتشار الجريمة والإرهاب.

إيران لم تكتف بذلك، حيث قدمت لسوريا خبرتها في التعامل مع الأزمة السياسية التي واجهتها في عام ٢٠٠٩، كما وفرت لدمشق أدوات تكنولوجية متطورة لملاحقة المحتجين على المواقع الإليكترونية التي كان لها دور كبير في تهيئة المناخ الثوري في الدول العربية مثل الـ«فيس بوك» و«تويتر»، كما منحت الضوء الأخضر لوسائل إعلامها لتقديم دعم قوي للإجراءات التي اتخذها النظام السوري تجاه المتظاهرين.[٢٠١]

٢٠٠. المرجع السابق، ص٩٥.

٢٠١. أحمد سالم محمد أبوصلاح، موقف كل من تركيا وإيران من حركات التغيير والثورات الشعبية في الوطن العربي ٢٠١٠-٢٠١١، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية (غير منشورة)، جامعة الدول العربية – معهد البحوث والدراسات

فضلًا عن ذلك، قررت إيران تزويد سوريا بكل حاجتها من البتروكيمياويات، والتي كانت تستوردها من المملكة العربية السعودية، وإدخال جميع المعاملات التجارية السورية في الدائرة المغلقة التي أسستها إيران، وظهرت معلومات أخرى، نفتها إيران، تفيد أن الأخيرة ضغطت على حلفائها في الحكومة العراقية من أجل دعم السلطات السورية بمبلغ ١٠ مليارات دولار. لكن إيران تدرك في الوقت نفسه صعوبة اعتماد نظام بشار الأسد على الأداة الأمنية في التعامل مع المتظاهرين لتسوية الأزمة، ومن ثم وجهت إشارات إلى تفضيلها بدء حوار بين النظام وقوى المعارضة، على أساس أن هذا الحوار يمكن أن يحفظ بقاء النظام ويحصر مطالب المعارضة والمتظاهرين في إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية، بما يضمن بالتالي مصالحها في سوريا[٢٠٢]، كما أيدت إيران المبادرة العراقية لتسوية الأزمة السورية، خصوصاً أنها تتوافق إلى حد كبير مع السياسة التي تنتهجها طهران والتي تقوم على إجراء حوار ومنح دور لقوى المعارضة داخل نظام الحكم شرط بقاء نظام بشار الأسد، حيث تقوم المبادرة على خمس خطوات متسلسلة زمنيًا هي: صدور قرار من جامعة الدول العربية بتجميد العقوبات التي فرضتها على سوريا، وسحب سوريا للوجوه الأمنية من الواجهة، وفتح باب الحوار الداخلي، ثم إجراء حوار سوري عربي برعاية عراقية، على أن تختتم هذه المراحل بحوار سوري داخلي شامل برعاية عربية[٢٠٣].

العربية – قسم الدراسات السياسية، القاهرة ٢٠١٢، ص١٣٤ – ١٤١.

٢٠٢. المرجع السابق، ص١٤٣.

٢٠٣. رابحة سيف الإسلام، العنف في سوريا...حرب متعددة الجبهات، م.س.ذ، ص، ص١٠٣.

كما رحبت إيـران، على لسان مساعد وزيـر الخارجية حسين أمير عبد الله، بالمبادرة العربية وتوقيع دمشق عليها في ١٩ ديسمبر ٢٠١١، مشيرا إلى أن ما يقبله الرئيس الأسد «تصرف مقبول في نظر طهران»، و«إنه من الممكن دراسة إدخال بعض التعديلات على الخطة، غير أن كثيرًا من وجهات النظر الإيرانية أخذت بعين الاعتبار في الاتفاق»، وهو تصريح يكشف أن إيران معنية بمجمل تفاصيل الأزمة السورية، وربما يعطي انطباعًا بأن إيران باتت ترى أنها المستهدف الأول من الأزمة، أو بعبارة أخرى باتت تعتبر الأزمة «إيرانية» قبل أن تكون «سورية».

وفي كل الأحوال، فإن جهود إيران للحفاظ على بقاء النظام السوري والدخول على خط الأزمة الداخلية تواجه صعوبتين: أولاهما، أن إقدام النظام السوري على إجراء إصلاحات حقيقية لاستيعاب ضغوط الداخل والخارج خيار لا يضمن بقاءه هو الآخر، فضلاً عن أن ولوجه في هذا الطريق يمكن أن يتتبعه حدوث تغيير ملحوظ في سياسته الخارجية باتجاه الابتعاد تدريجيًا عن طهران، خصوصًا أن القوى الخارجية التي تترقب الوضع في سوريا وتقرأ تفاصيله بحذر ربما لن تدعم هذا التحرك من جانب النظام لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بدون الإقدام على خطوة من هذا النوع.

هذه المخاوف التي تنتاب إيران تكتسب وجاهتها مع الوضع في الاعتبار حقيقة مهمة مفادها أن سوريا، على عكس ما يشاع، حريصة على عدم وضع كل الأوراق في سلة إيران، وهو ما يبدو جلياً في موقفها تجاه أزمة البحرين. فرغم الدعم الإيراني الواضح للنظام السوري في مواجهة أزمته الداخلية، فإن الأخير لم يقابل

ذلك بتأييد موقف إيران تجاه أحداث البحرين، حيث كان لافتًا حرص دمشق على دعم السياسة التي انتهجتها دول مجلس التعاون للتعامل مع الأزمة البحرينية، وهي السياسة التي أدت إلى تصاعد حدة التوتر والاحتقان بين إيران ودول مجلس التعاون.[٢٠٤]

هذا الموقف السوري المتناهي مع السياسة الخليجية تجاه أحداث البحرين يجد تفسيره في حرص سوريا على عدم قطع خطوط التواصل مع القوى العربية الرئيسة في المنطقة بهدف توفير غطاء عربي لها في تعاملها مع الأزمة السياسية الداخلية، تحاشيًا لتكرار السيناريو الليبي، بعد أن أقدمت جامعة الدول العربية على دعوة الأمم المتحدة إلى فرض حظر جوي على ليبيا لتقليص قدرة القوات الموالية للرئيس السابق معمر القذافي على مهاجمة المحتجين، وبعد أن شاركت بعض من هذه الدول في تطبيق قرار الحظر.

حرص سوريا على تأييد موقف دول مجلس التعاون تجاه أزمة البحرين يؤشر إلى أن ما يسمي بـ«التحالف الاستراتيجي الإيراني – السوري» له حدود على الأرض، وأنه ليس من النوع قوي البنية، لاسيما أن التباينات داخله ليست هامشية.

بمعنى آخر، فإن التحالف بين إيران وسوريا هو أقرب إلى «تحالف مصالح مفتوح» فرضته الظروف الدولية والإقليمية التي تعرضت لها الدولتان، لكنه تحالف لا يلزم طرفيه بسقوف سياسية وإستراتيجية صارمة بل يمنحهما في كثير من الأحوال حرية للحركة

٢٠٤. حسن أحمديان، السياسات السعودية تجاه الربيع العربي ومشهد العلاقات مع إيران، مجلة مختارات إيرانية، العدد١٣٨، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، يناير٢٠١٢، ص٦٧.

وهامشاً للمناورة تدفعهما إلى فتح قنوات تواصل حتى مع قوى أخرى منافسة.[٢٠٥] هذه الحقيقة تفسر إلى حد كبير قدرة سوريا على الاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع إيران والفصائل الفلسطينية واللبنانية المسلحة، وسعيها في الوقت نفسه إلى فتح قنوات تفاوضية مع إسرائيل بهدف استعادة هضبة الجولان المحتلة، وإلى التجاوب- قبل اندلاع الثورات العربية- مع مبادرات الانفتاح التي أبدتها العديد من القوى الغربية التي تعادي طموحات إيران الإقليمية والنووية وتسعي إلى تعزيز العزلة والعقوبات الدولية المفروضة عليها مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، رغم علمها بأن أحد أهم أهداف هذا الانفتاح الغربي هو فك تحالفها مع إيران.

٤-تبلور ملامح موقف خليجي موحد تجاه إيران:

أدت الموجات الثورية التي تشهدها العديد من الدول العربية إلى بلورة ملامح لرؤية عربية خليجية بالأساس، متقاربة نسبيًا تجاه إيران. صحيح أنها لم تتحول بعد إلى رؤية عامة تشمل معظم الدول العربية، ولكنها في الوقت نفسه ربما تشكل إرهاصات لموقف عربي تجاه إيران. وتبدو هذه الحقيقة جلية في حالة أزمة الاحتجاجات البحرينية. فلأول مرة، تتفق دول مجلس التعاون الخليجي الست على موقف موحد تجاه إيران، بعد أن كانت الأخيرة محورًا رئيسًا للاستقطاب الخليجي بين دول ترفض طموحات إيران النووية والإقليمية وتخشى من تدخلاتها في شئونها الداخلية مثل السعودية

٢٠٥. حسن أحمديان، السياسات السعودية تجاه الربيع العربي ومشهد العلاقات مع إيران، م.س.ذ، ص٧٣.

والكويت والبحرين والإمـارات، ودول أخرى ترى في إيـران ظهيرًا إقليميًا مهما مثل سلطنة عمان، ودول ثالثة، مثل قطر، ترى أن العلاقات القوية مع إيـران تمثل أفضل وسيلة للتفاعل معها وفي الوقت نفسه تخدم سياسة «الأحلاف المفتوحة» التي تنتهجها، وتتيح ورقة مهمة لمساومة، بل ومنافسة، قوى كبرى في الإقليم وعلى رأسها السعودية[٢٠٦].

وصول العلاقة بين دول مجلس التعاون الخليجي وإيـران التي كانت حريصة في السابق على تجنب مواجهة هـذا الاستقطاب الخليجي، مبعثه موقفها من الأحداث التي شهدتها البحرين. فقد بدا أن الموقف الإيراني تجاه الأزمة يسير في عكس الاتجاه السابق الحـريص على عـدم التـورط فـي مواجهات مباشرة، حيث طغت «أيديولوجية» إيـران على براجماتيتها»، وبدا أن ثمة ارتـداداً إلى «حالة الثورة» من جديد في تعاملها مع الأزمة.

في البداية، وجهت طهران انتقادات حادة للسلطات البحرينية بسبب تعاملها مع مطالب المحتجين، وصبغت الأزمة بطابع طائفي، حيث اعتبرتها مواجهة بين أغلبية شيعية تتعرض للتمييز على كافة المستويات وأقلية سنية تسيطر على الحكم وتحظى بكل أنواع الامتيازات. لكن الانتقادات تحولت إلى تهديدات بعد دخول قوات «درع الجزيرة» إلى البحرين، حيث قالت طهران على لسان رئيس مجلس الشورى علي لاريجاني، أنها (لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء قمع المتظاهرين في البحرين والتدخل السـعودي). هـذا الموقف

٢٠٦.محمد عز العرب، الأزمة السياسية في البحرين... حدود الربيع العربي، م.س.ذ، ص١٥.

المتشدد من جانب إيران أدى إلى توتير العلاقات مع البحرين، وهو ما انعكس في تبادل طرد دبلوماسيين من الطرفين، وامتد الأمر إلى دول مجلس التعاون الخليجي الأخرى لاسيما السعودية، التي أدانت هجوم بعض المتظاهرين الإيرانيين على سفارتها وقنصليتها في إيران وحملت الأخيرة المسئولية عن سلامة دبلوماسييها.[٢٠٧]

وصول التوتر إلى هذه الدرجة غير المسبوقة أنتج تداعيات سلبية على مصالح إيران، لاسيما أنه دفع دول مجلس التعاون إلى التخلي عن سياستها القائمة على أن الوسيلة المثلى للتعامل مع إيران هي احتواءها من خلال الدخول في شراكات أمنية واقتصادية متعددة معها، بل والتلويح بإمكانية الدخول في مواجهة معها إذا اقتضت الحاجة ذلك، وهو ما عكسه تصريح أحد وزراء خارجية دول المجلس الذي قال فيه أن (دول المجلس لن تسمح بتحول البحرين إلى لبنان آخر)، و(أنها مستعدة للدخول في حرب مع إيران وحتى مع العراق لحماية البحرين)[٢٠٨].

دول المجلس لم تكتف بذلك، بل إنها اتفقت على إدانة موقف إيران تجاه الأزمة، وعلي إرسال قوات «درع الجزيرة» إلى البحرين، والتوجه إلى الأمم المتحدة للشكوى من التدخل الإيراني في شئونها الداخلية، وتوجيه اتهامات لإيران بتهديد الأمن الوطني الخليجي، خلال الاجتماع الاستثنائي لوزراء خارجية دول المجلس الذي

٢٠٧. شحاته محمد ناصر، السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ١٩٩٧-٢٠١٢، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية (بحث غير منشور)، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية – قسم العلوم السياسية، القاهرة ٢٠١٣، ص٤٩٤.

٢٠٨. المرجع السابق، ص٤٩٩.

عقد بالرياض في ٣ أبريل ٢٠١١، وهو الموقف نفسه الذي عكسه البيان الذي صدر عن قمة مجلس التعاون الخليجي التي عقدت بالرياض في ١٩ و٢٠ ديسمبر ٢٠١١، والذي أعرب عن القلق إزاء استمرار التدخلات الإيرانية في الشئون الداخلية لدول مجلس التعاون، ومحاولة بث الفرقة، وإثارة الفتنة الطائفية بين مواطنيها، في انتهاك لسيادتها واستقلالها. وطالب البيان إيران بالكف عن هذه السياسات والممارسات، والالتزام التام بمبادئ حسن الجوار، والاحترام المتبادل، والأعراف والقوانين والمواثيق الدولية، وعدم التدخل في الشئون الداخلية، وحل الخلافات بالطرق السلمية والحوار المباشر، وعدم استخدام القوة أو التهديد بها، بما يكفل الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة[٢٠٩].

مع ذلك، فإن إيران في النهاية تصرفت بمنطق الدولة التي تدرك حدود قوتها جيدًا في تفاعلها مع تطورات محيطها الإقليمي. فرغم أنها هددت على لسان الرئيس أحمدي نجاد بأنها (إذا تدخلت في البحرين ستتغير خريطة المنطقة)، بل وردت على الاتهامات السعودية بالتدخل فى شئون البحرين، بأن (السعودية ليست بمستوى مواجهة إيران عسكريًا)، حسب ما قال وزير الدفاع الإيراني أحمدي وحيدي، فإنها في النهاية تجنبت التدخل فعلاً في الأزمة لأنها تدرك أن ذلك كفيل بتكريس الاستقطاب الإقليمي الخليجي ضدها خصوصاً أن دول مجلس التعاون الخليجي لن تسمح لإيران بالتدخل في البحرين،

٢٠٩. عبدالخالق عبدالله، السياسات السعودية والقطرية تجاه الربيع العربي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٢، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة إبريل ٢٠١٣، ص ٨٠.

باعتبار أن الأخيرة تمثل ما يمكن وصفه بـ«نقطة الوثب» التي كان يمكن لإيران من خلالها النفاذ إلى داخل دول المجلس والضغط عليها لدفعها إلى عدم الدخول في صراعات معها على ملفات إقليمية مثل الملف العراقي واللبناني والفلسطيني، أو دعم الجهود الغربية، والأمريكية خاصة، لفرض عزلة إقليمية وعقوبات دولية عليها وربما شن حرب ضدها بسبب ملفها النووي[٢١٠].

إيران استعاضت عن ذلك بالسعي إلى تقليص حدة التوتر والاحتقان في علاقاتها مع دول مجلس التعاون. هذه الحقيقة تحديداً بدت في أكثر من مؤشر: أولها، التصريحات المتكررة التي جاءت على لسان أكثر من مسئول إيراني حول أهمية العلاقات مع السعودية، حيث قال وزير الخارجية علي أكبر صالحى إن طهران تتطلع إلى عودة العلاقات مع السعودية على نحو أكثر متانة من السابق، مشيرا إلى أن (السعودية بلد مهم ومؤثر)»، مضيفًا أن (سوء الفهم يمكن تسويته). كما وجهت إيران رسائل تهدئة عديدة إلى المملكة العربية السعودية، كان أهمها الزيارة التي قام بها وزير الاستخبارات الإيراني حيدر مصلحي إلى المملكة والتي التقى فيها بكل من ولي العهد وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز رحمه الله، ومدير الاستخبارات السعودية الأمير مقرن بن عبدالعزيز، يومي ١٢ و١٣ ديسمبر ٢٠١١,[٢١١]

٢١٠.أشرف محمد كشك، السياسة الخارجية للبحرين في مرحلة الاضطراب، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٣، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة يوليو ٢٠١٣، ص ٩٨.

٢١١.عبدالخالق عبدالله، السياسات السعودية والقطرية تجاه الربيع العربي، م.س.ذ، ص٨٣.

اختيار مصلحي تحديدًا لزيارة السعودية يطرح مدلولين مهمين: أولهما، أن إيران معنية بتقليص حدة التوتر مع المملكة التي تصاعدت في الفترة الأخيرة، بسبب الاتهام الذي وجهته الولايات المتحدة لإيران بمحاولة اغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير، والذي دفع الرياض إلى دعم مشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لإدانة محاولات اغتيال الدبلوماسيين، فضلاً عن تشابك مصالح وسياسات الطرفين في العديد من الملفات الإقليمية.. لكن الملفت في هذا السياق أن هذا الاهتمام الإيراني بالتهدئة مع السعودية يبدو أنه صادر من أعلى المستويات وبالتحديد من المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي باعتبار أن حيدر مصلحي تحديدًا هو أحد أهم المقربين منه في الحكومة، لدرجة أن خامنئي اضطر للدخول في أزمة مع الرئيس أحمدي نجاد دفعت الأخير إلى الاعتكاف في منزله لمدة عشرة أيام في أبريل ٢٠١١، بعد أن ألغى المرشد قراره بإقالة مصلحي من منصبه.[٢١٢]

هذا الأمر يمكن أن يؤشر إلى أن المرشد غير راضٍ عن السياسة الخارجية التي تنتهجها حكومة أحمدي نجاد، لاسيما تجاه دول الجوار، خصوصًا أن الظروف الإقليمية والدولية التي تمر بها المنطقة ربما تنتج تداعيات سلبية على إيران، أولًا: بسبب تزايد الضغوط الغربية على إيران على خلفية أزمة ملفها النووي، لاسيما بعد اقتحام السفارة البريطانية في طهران في ٢٩ نوفمبر ٢٠١١، وثانيًا: بسبب المصير الغامض الذي يواجه الحليف الرئيس لإيران

٢١٢. شحاته محمد ناصر، السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ١٩٩٧-٢٠١٢، م.س.ذ، ص ٤٦٠.

في المنطقة وهو النظام السوري الذي يتعرض لضغوط قوية من الداخل والخارج. ثانيهما، أن المباحثات بين الطرفين تركزت على الملفات الأمنية، في ظل الخلفية الأمنية التي يتسم بها عمل مصلحي ونايف، بما يشير إلى أن إيران ربما تحاول تهدئة مخاوف السعودية تجاه بعض الملفات التي تمارس فيها الأولى أدوارًا مهمة، خصوصًا الاحتجاجات البحرينية، والنفوذ الإيراني المتزايد في العراق، إلى جانب المحاولات الحثيثة التي تبذلها إيران في الفترة الحالية لضمان موطئ قدم في الدول التي تشهد احتجاجات وثورات على أنظمتها السياسية ومنها دول حليفة للسعودية. وربما تكون الزيارة مرتبطة أيضًا بالنجاح الذي حققته الأجهزة الأمنية الإيرانية في الفترة الأخيرة خصوصًا فيما يتعلق بالكشف عن شبكة جاسوسية واسعة تعمل لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في كل من لبنان وإيران.

فضلًا عن ذلك، فقد تم تنظيم أول لقاء إيراني بحريني على مستوى وزراء الخارجية، خلال اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٦ سبتمبر ٢٠١١، حيث دعا وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي إلى تسوية الأزمة في البحرين بـ(التسامح والحوار بين المسئولين البحرينيين والشعب)، فيما أبدى وزير الخارجية البحريني خالد بن أحمد الخليفة أسفه لعدم وجود سفراء بين البلدين، معربًا عن أمله في عودتهما (إجراء اتصالات مباشرة وتبادل وجهات النظر بين البلدين) [٢١٣].

٢١٣. أشرف محمد كشك، السياسة الخارجية للبحرين في مرحلة الإضطراب، م.س.ذ، ص ١٠١.

وفي الاتجاه ذاته، استقبلت إيران أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثان في ٢٦ أغسطس ٢٠١١. ورغم أن الزيارة كان عنوانها الرئيس السعي لدى القيادة الإيرانية للضغط على النظام السوري من أجل تخفيف تعامله القمعي تجاه المحتجين، فإن الأزمة البحرينية لم تكن بعيدة عن المباحثات وبدا ذلك جليًا في تصريحات الرئيس أحمدى نجاد التي قال فيها إن على دول منطقة الشرق الأوسط تسوية مشاكلها من دون تدخل الغربيين، معتبرًا أن التدخل الأجنبي في الشئون الداخلية لدول المنطقة يعقد الوضع، كما أكدت إيران على لسان الرئيس نجاد أنها تسعى إلى علاقات متينة وبناءة مع دول مجلس التعاون الخليجي، مضيفًا خلال لقائه مع رئيس مجلس الأمة الكويتي السيد جاسم الخرافي الذي شارك في مؤتمر دعم الانتفاضة الذي عقد في طهران يومي ١ و٢ أكتوبر ٢٠١١ أن)قربنا من هذه الدول يحتم علينا أن نطور من علاقاتنا وأن نتجاوز أي إشكالية من شأنها أن تعكر صفو علاقات حسن الجوار)[٢١٤].

٥- البرنامج النووي يدخل مرحلة حرجة:

على عكس ما توقعت إيران، عاد الملف النووي إلى واجهة الأحداث من جديد، حيث بدأ الغرب في تكثيف جهوده من أجل فرض مزيد من العقوبات على إيران بهدف دفعها إلى تقديم تنازلات في ملفها النووي. هذه الجهود اكتسبت أهمية خاصة مع صدور التقرير الجديد للوكالة الدولية للطاقة الذرية في ٩ نوفمبر ٢٠١١،

٢١٤. شحاته محمد ناصر، السياسة الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ١٩٩٧-٢٠١٢، م.س.ذ، ص٣١٢.

والـذي أكد على وجـود مـؤشـرات واضـحـة تـدل على أن البـرنـامج النووي الإيراني يحمل بعدًا عسكريًا، وأن إيران أجرت أنشطة قبل عام ٢٠٠٣ تهدف إلى إنتاج سلاح نووي، وأن بعضها يمكن أن يكون مستمرًا[٢١٥].

ورغم الشبهات العديدة التي تحوم حول هذا التقرير خصوصًا فيما يتعلق بالمصادر التي استقى منها معلوماته، فإن الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية، مثل بريطانيا، استغلت الفرصة لدعوة المجتمع الدولي لفرض مزيد من العقوبات على إيران. لكن التطور الجديد في هذا السياق هو أن الجهود الأمريكية الجديدة انصبت على ضـرورة رفـع سقف العقوبات ليطول مجال النفط والتعاملات المالية الإيرانية، ومن أجل دفع المجتمع الدولي لفرض عقوبات مؤثرة على إيران، بدأت إسرائيل في التهديد بأنها لن تقف صامتة في حالة استمرار إيـران في برنامجها الـنـووي، وتعمدت تسريب بعض المعلومات عن وجود توافق مشترك بين رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ووزيـر الـدفـاع إيهـود بـاراك على توجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيـرانـيـة. كما رفضت التعهد بإبلاغ الولايات المتحدة نيتها توجيه ضربة عسكرية قبل إقدامها على ذلك. إيران ردت على هذه التحركات والتهديدات بمزيد من التشدد. فإلى جانب رفضها للتقرير الذي اعتبرته (غير مهني وغير متوازن وغير قانوني ومسيس)، أشـارت على لسان رئيس مجلس الشورى إلى أن البرلمان سيعيد النظر في العلاقات مع الوكالة الدولية للطاقة

٢١٥. عصام نايل المجالي، تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١، عمان ٢٠١٢، ص٦٧.

الذرية بسبب التقرير الأخير[٢١٦]. كما وجهت تحذيرًا للولايات المتحدة من أنها (ستلقنها درسا في الحرب) إذا تعرضت منشآتها النووية لهجوم، متوعدة إسرائيل بإطلاق ١٥٠ ألف صاروخ عليها والانتقام لـ«جرائمها في صبرا وشاتيلا وغزة»، وهددت باستهداف «أي طائرة معادية» حتى خارج المجال الجوي الإيراني وذلك بعد إعلانها إسقاط طائرة أمريكية من دون طيار [٢١٧]، وألمحت إلى أن أجهزة الدرع الصاروخية الأطلسية التي تم تركيبها في تركيا ستكون أول أهدافها في حالة تعرضها لهجوم، فضلًا عن ذلك، شنت إيران حملة عنيفة على بريطانيا بسبب قرارها وقف التعاملات المالية معها، بدأت بقرار مجلس الشورى الإسلامي تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي إلى «قائم بأعمال»، وانتهت باقتحام السفارة البريطانية في طهران، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى إصدار قرار مقابل بتقليص العلاقات الدبلوماسية مع إيران إلى أدنى حد ومطالبة الدبلوماسيين الإيرانيين بمغادرة الأراضي البريطانية في غضون ٤٨ ساعة[٢١٨].

الرسالة المهمة التي وجهتها إيران إلى الغرب تمثلت في تهديدها بإغلاق مضيق هرمز في حالة تعرضها لحظر على صادراتها النفطية، وهو الإجراء الذي وصفته بأنه «أسهل من شربة ماء» حسب ما جاء على لسان قائد البحرية الإيرانية حبيب الله سياري، ومع ذلك، فإن

٢١٦. عماد السيد جادالله، إيران والتوازن العسكري في الخليج... الصواريخ والأبعاد النووية، مجلة مختارات إيرانية، العدد ١٤٨، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، القاهرة نوفمبر ٢٠١٢، ١٧-١٨.

٢١٧. عماد السيد جاد الله، التنافس الأمريكي الإيراني في المشرق.. الأبعاد العسكرية وغير المتكافئة لعدم الاستقرار الإقليمي، مجلة مختارات إيرانية، العدد ١٥٣، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، القاهرة أبريل٢٠١٣، ص٨-٩.

٢١٨. عصام نايل المجالي، تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، م.س.ذ، ص٧٤.

إقدام إيران على إغلاق مضيق هرمز لا يعتبر قرارًا سهلًا لاعتبارات عديدة: أولها، أنه سيفرض تداعيات سلبية خطيرة على إيران نفسها باعتبارها أحد المصدرين الرئيسيين للنفط عبر المضيق، بما يعني أن إغلاقه سوف يوقف صادرات النفط الإيرانية. ثانيها، أن سيثير قلق المستوردين الرئيسيين للنفط الإيراني، خصوصاً الصين واليابان والهند وكوريا الجنوبية، لأن تهديد إيران بإغلاق المضيق معناه تعريض مصالحهم الاقتصادية للخطر، بشكل سوف يدفعهم حتمًا للتفكير في بدائل أخرى للنفط الإيراني. ثالثها وأخطرها، أن هذه الخطوة يمكن أن تقود إلى حدوث مواجهة عسكرية في الخليج، تبدو إيران في أمس الحاجة إلى تجنبها في هذه اللحظة تحديداً التي تواجه فيها طموحاتها الإقليمية تحديات قوية بسبب الثورات العربية، لاسيما أن الدول الغربية لن تسمح بإغلاق المضيق الذي يمر عبره ١٧ مليون برميل نفط يوميًا بنسبة ٢٠٪ من النفط العالمي.

٦- توتر متصاعد مع تركيا:

من بين التداعيات التي ترتبت على الثورات والاحتجاجات العربية تزايد مساحة الخلافات بين إيران وتركيا، بعد عقود عدة نجحت خلالها الدولتان في تأسيس شراكة استراتيجية قوية. فقد أحدث الخلاف حول التعامل مع الأزمة السورية شرخًا عميقًا في العلاقات بين طهران وأنقرة، لاسيما بعد مطالبة الأخيرة الرئيس السوري بالتنحي ومشاركتها في الضغوط الغربية المفروضة عليه في هذا الإطار. فضلًا عن أن ثمة قلقًا إيرانيًا ملحوظًا تجاه الجهود

الحثيثة التي تبذلها تركيا بهدف التحول إلى رقم مهم في عملية إعادة ترتيب التوازنات الإقليمية في الشرق الأوسط على خلفية الموجات الثورية التي تجتاح المنطقة في الفترة الحالية، من خلال الترويج لـ«نموذجها السياسي» باعتباره أكثر الأنظمة ملائمة للدول العربية، وبدا ذلك جلياً في الجولة التي قام بها رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان إلى الدول الثلاث التي أسقطت الثورات أنظمتها السياسية وهي مصر وتونس وليبيا، ثم جاء القرار التركي في سبتمبر ٢٠١١، والخاص بنشر رادار الدرع الصاروخية التابعة لحلف شمال الأطلنطي على أراضيها، بهدف رصد الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى التي قد يتم إطلاقها من الشرق الأوسط وتحديدًا من إيران، ليزيد القلق الإيراني من التوجهات التركية الجديدة في الإقليم.[٢١٩]

موافقة أنقرة على نشر أجزاء من الدرع الصاروخية على أراضيها وبالتحديد في بلدة «كوريسيك» بإقليم ملاطية في وسط تركيا، كانت إحدى أهم نتائج قمة حلف الأطلنطي التي عقدت في لشبونة في نوفمبر ٢٠١٠. لكن هذه الموافقة جاءت بعد استجابة الحلف لشروط عديدة وضعتها تركيا، كان أهمها أن يتم حذف أسماء أي دول مستهدفة من المشروع في إطار «المفهوم الإستراتيجي» الجديد للحلف الذي تم إقراره في القمة، في إشارة إلى إيران وروسيا تحديداً اللتين ترتبط معهما بعلاقات قوية على المستويين السياسي والاقتصادي، فضلاً عن توفير ضمانات بعدم حصول إسرائيل على

٢١٩. أحمد سالم محمد أبوصلاح، موقف كل من تركيا وإيران من حركات التغيير والثورات الشعبية في الوطن العربي ٢٠١٠-٢٠١١، م.س.ذ، ص ١٣٦.

المعلومات الاستخباراتية التي يمكن أن تجمعها الأجهزة التابعة للنظام.[٢٢٠]

في هذه اللحظة تحديداً، بدأت إيران في انتهاج سياسة جديدة تقوم على فرض ضغوط على تركيا لإقناعها بضرورة تغيير مواقفها تجاه النظام السوري، لكن التهديد الأهم الذي وجهته إيران إلى تركيا تمثل في اعتبارها الدرع الصاروخية لحلف شمال الأطلسي في تركيا، الذي بدأ تشغيله في ١٨ يناير ٢٠١٢، سيكون «أول أهدافها في حال تعرضها لهجوم»، حيث قال قائد القوة الجوية الفضائية التابعة للحرس الثوري العميد أمير علي حاجي زاده أن إيران (سترد على تهديدات الأعداء بالمثل)، وإن (أول هدف ستستهدفه إيران هي الدرع الصاروخية للناتو في تركيا)[٢٢١]

مع ذلك، لم ترغب طهران في قطع خطوط التواصل مع أنقرة، لأن ذلك كفيل بخسارتها كظهير إقليمي مهم، ومن ثم إرباك حساباتها الإقليمية، وهو ما بدا جليًا في تطورين: أولهما، مسارعة وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي إلى رفض تصريحات حاجي زاده مؤكدًا أنه)تم إصدار تحذيرات إلى المسئولين الذين أطلقوا هذه التصريحات غير المسئولة وأن المرشد ورئيس الجمهورية ووزير الخارجية وحدهم لهم الحق في التعبير عن الموقف الرسمي)، وثانيهما، قبول إيران الوساطة التي تقدمت بها تركيا وعمان لاستئناف المفاوضات حول الملف النووي وتقليص حدة التوتر في

٢٢٠. عماد السيد جاد الله، التنافس الأمريكي الإيراني في المشرق.. الأبعاد العسكرية وغير المتكافئة لعدم الاستقرار الإقليمي، م.س.ذ، ص١١.

٢٢١. عصام نايل المجالي، تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، م.س.ذ، ص٧٧.

الخليج عقب تهديد إيران بإغلاق مضيق هرمز في حالة تعرضها لحظر نفطي، وهي الوساطة التي طرحها وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو في زيارته لطهران في ٥ يناير ٢٠١٢، وعمان في نوفمبر ٢٠١٤، والتي حملا خلالها رسالة من الإدارة الأمريكية إلى القيادة الإيرانية [٢٢٢].

الاستنتاجات:

في ضوء التحليل السابق، يمكن القول إن التأثير الأهم الذي أنتجته الثورات والاحتجاجات العربية على إيران أنها فرضت نمطاً صراعياً على تفاعلاتها الإقليمية والدولية. صحيح أن ذلك النمط ربما يطغى أيضًا على تفاعلات القوى الإقليمية الأخرى مثل تركيا التي تواجه سياستها القائمة على «تصفير الأزمات» اختبارات صعبة في الفترة الحالية وإسرائيل التي باتت تشعر بمزيد من العزلة والتهديد، إلا أنه يكتسب في حالة إيران أهمية وزخمًا خاصًا. فقد فرضت هذه الثورات والاحتجاجات مشهدًا ضبابيًا وسيناريوهات متعددة في سوريا لا تبدو في مجملها مريحة لإيران حتى لو ضمنت بقاء النظام، ودشنت موقفًا خليجيًا موحدًا تجاهها ربما لأول مرة منذ تأسيس مجلس التعاون الخليجي في عام ١٩٨١، وأدخلت علاقاتها مع تركيا مرحلة من التوتر المكتوم، وأحدثت تحولات ملموسة في قراءة بعض حلفائها الإقليميين مثل «حماس» للتفاعلات السياسية الجديدة التي أنتجتها في الإقليم.

ورغم أن بعض الاتجاهات بدأت تشير إلى أن ثمة بدائل أخرى

٢٢٢. عصام نايل المجالي، تأثير التسلح الإيراني على الأمن الخليجي، م.س.ذ، ص٨٠.

يمكن أن تلجأ إليها إيـران لتعويض خسائرها فـي الإقليم بفعل الثورات والاحتجاجات العربية، وعلى رأسها التمدد داخل العراق بعد الانسحاب الأمريكي بنهاية عام ٢٠١١، بشكل يمكن أن يجعل العراق «قناة التواصل» الجديدة مع الحلفاء الإقليميين، إلا أن هذه التكهنات لا تتسامح مع المعطيات الموجودة على الأرض التي تؤكد أنه رغم قوة الدور والنفوذ الإيراني في العراق، فإن ثمة صعوبات عديدة يمكن أن تقف حائـلًا دون نجـاح إيـران فـي تحقيق ذلك، أهمها على سبيل المثال المشكلات الاقتصادية والأمنية والسياسية المتراكمة التي خلفها الاحتلال الأمريكي للعراق والتي ربما تفرض نفسها على المشهد العراقي في المرحلة المقبلة، فضلًا عن التوتر الـذي يطغى على علاقات إيـران مع العديد من القوى والتيارات السياسية العراقية، والذي دفع الأخيرة إلى التنديد بالتصريحات التي جـاءت على لسان قائد «فيلق القـدس» في الحـرس الثوري قاسم سليماني، في ندوة «الشباب والوعي الإسـلامي» التي عقدت بطهران في ١٨ يناير ٢٠١٢ بمشاركة وفود شبابية من الدول العربية التي شهدت ثورات واحتجاجات على أنظمتها السياسية، والتي قال فيها إن (إيـران حاضرة في الجنوب اللبناني والعراق، وإن هذين البلدين يخضعان بشكل أو آخر لإرادة طهران وأفكارها)، مضيفًا أن (الجمهورية الإسـلامية الإيرانية بإمكانها تنظيم أي حركة تؤدي إلى تشكيل حكومات إسـلامية هناك بغية مكافحة الاستكبار).

الملفت للانتباه في هذا السياق أن التنديد بتصريحات سليماني لم ينحصر في القوى العراقية التي تتبني موقفًا مناوئًا لإيران، بل امتد إلى حلفائها أيضًا، الذين رغم أنهم لم يصدروا بيانات رسمية

توضح موقفهم فإنهم اضطروا إلى مشاركة القوى الأخرى في تأكيد ضرورة احترام إيران سيادة العراق حتى لا يُتهموا بالتبعية لإيران، التي سارعت بدورها إلى نفي تصريحات سليماني، مشددة على أن) الخبر تم تفنيده وتكذيبه ولم يكن صحيحًا، وأن أي تدخل في شئون الدول الأخرى غير مقبول ولا ترضى به).

كما أن مساعي إيران الحثيثة لتطوير العلاقات مع مصر ربما لا تعوض هذه الخسائر المحتملة لاسيما أن احتمالات استعادة مصر لدورها الإقليمي الكلاسيكي يمكن أن تخصم من حضور إيران التي كانت إحدى القوى التي استثمرت التراجع المصري في العقود الماضية للتمدد إلى مناطق إقليمية جديدة. وتكمن المفارقة هنا في أن إيران التي سارعت إلى الترحيب بسقوط نظام الرئيس المصري السابق حسني مبارك باعتباره أحد أهم حلفاء الولايات المتحدة في الإقليم، كانت إحدى القوى المستفيدة من السياسة التي انتهجها والتي أدت إلى انحسار دور مصر الإقليمي.

فضلًا عن ذلك، فإن صعود تيار الإسلام السياسي في الدول التي أسقطت الثورات أنظمتها السياسية لا يضيف كثيرًا إلى إيران، ليس فقط بسبب الاختلاف المذهبي رغم أهميته، وإنما أيضًا بسبب التزام هذه التيارات بسقوف سياسية عديدة تمليها المصالح الإستراتيجية لهذه الدول، فضلًا عن رفضها التدخل الإيراني في الشئون الداخلية للدول العربية ومحاولاتها مصادرة المكتسبات التي حققتها الثورات العربية لزيادة رصيدها الإقليمي.

من هنا يفرض السؤال عن مستقبل الدور الإقليمي لإيران نفسه،

فإلى أين تتجه إيران: إلى مزيد من التمدد على الساحة الإقليمية بفعل الخسائر التي مني بها الغرب ومعه ما يسمي بـ«محور الاعتدال» والتي أنتجتها الثورات والاحتجاجات العربية، أم إلى الانحسار داخل حدودها ليس فقط بفعل خسائرها المحتملة أيضا في هذا الإطار، ولكن أيضًا بسبب ما يحدث في داخلها من صراعات سياسية حادة حفزتها هذه التطورات الإقليمية، بشكل أصبح معه السؤال عن مستقبل نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية لا يقل في أهميته وجديته عن سؤال مستقبل الدور الإقليمي الإيراني

الإجابة على هذه التساؤلات تبقى مؤجلة إلى حين انتهاء تداعيات الموجات الثورية التي اجتاحت الدول العربية وأثرها على توازنات القوى الاستراتيجية في الشرق الأوسط وعلى مصالح وطموحات أطرافه الرئيسة وفي مقدمتها إيران وعلاقاتها مع الدول العربية وفي مقدمتها الخليجية.

الفهرس

مقدمة المركز ٣

منهج العلماء في الحفاظ على الأمن ضمن مجموعة دول مجلس التعاون.... ٧

المقدمة ١١

خطة البحث ١٥

المبحث الأول: علماء الدعوة السلفية، والحذر من أدعيائه .. ١٧

المطلب الأول: صفة علماء الدعوة السلفية ١٨

المطلب الثاني: أثر علماء الدعوة السلفية على الأمة ٢٥

المطلب الثالث: أدعياء العلم..... ٢٧

المطلب الرابع: عدم الافتئات على أهل العلم والتقليل من شأنهم واتهامهم بالمداهنة ٣٦

المبحث الثاني: موقف العلماء من قضية تغيير المنكر ٤١

المطلب الأول: هل قام العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ٤٢

المطلب الثاني: مَن ضل في هذا الأصل من أهل البدع؟ ٤٧

المطلب الثالث: موقف العلماء السلفيين من أصحاب الدعوات المنحرفة ٥٢

المطلب الرابع: موقف العلماء من نصيحة الحكام ٦٢

المبحث الثالث: تحذير العلماء من السير خلف الدعوات الثورية غير المنضبطة بضوابط الشرع الحنيف..... ٦٥

المطلب الأول: الخروج وعواقبه الوخيمة ٦٦
المطلب الثاني: الثورات نشأتها، والثورة الإصلاحية ٧٥
المطلب الثالث: فتاوى أهل العلم في الثورات والمظاهرات والاعتصامات ٧٦
المطلب الرابع: بعض مغالطات الثورات ٨٤
المبحث الرابع: حقيقة الربيع العربي وآثاره السيئة على الأمة ... ٨٩
المطلب الأول: حقيقة الربيع العربي (الغربي) ٩٠
المطلب الثاني: ذكر بعض مفاسد المظاهرات والاعتصامات أو ما يمسى بالربيع العربي ٩٣
الخاتمة ١٠٢
الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء ١٠٥
نعمة الأمن والأمان ١٠٩
تعريف الأمن:..... ١١٠
وسائل تحقيق الأمـن:..... ١١٢
حركة جُهيمان وموقف علماء الجزيرة من الحركة ومن احتلال المسجد الحرام ١١٧
تفاصيل دخول الفئة الباغية الحرم المكي :..... ١١٨
الرصاصةُ الأولى..... ١٢٠
القضاء على الفتنة التي قامت بالمسجد الحرام..... ١٢٣
بيان هيئة كبار العلماء بالمملكة..... ١٢٥
هيئة كبار العلماء ١٣١
بيان العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله في حادثة

جهيمان ١٣٣
غزو الكويت عام ١٩٩٠ م وموقف العلماء من التصدي للغزو
والدعوة إلى تحرير الكويت ١٣٦
موقف العلماء من التصدي للغزو والدعوة إلى تحرير الكويت.... ١٣٨
بيان الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى..... ١٣٨
أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بأمريكا..... ١٤٥
موقف كبار العلماء بالسعودية من حادثة١١ سبتمبر بأمريكا..... ١٤٦
خطط الجماعات الإرهابية في تجنيد الشباب: الآلية وكيفية المواجهة..... ١٥٥
مقدمة..... ١٥٩
الوضع السوري..... ١٦٢
الدور الإيراني..... ١٦٣
الإرهاب ووسائل التواصل الاجتماعي ١٦٤
الكويت والتطرف ١٦٥
التطرف الأصولي والمذهبي:..... ١٦٧
آلية تجنيد الشباب حديثي السن: ١٧١
أساليب الأعمال الإرهابية المتوقعة خلال السنوات القادمة.... ١٧٢
أسلوب الوقاية والمكافحة:..... ١٧٤
أسلوب الوقاية في وزارة التربية ١٧٥
أسلوب الوقاية في وزارة الأوقاف..... ١٧٦
أسلوب الوقاية في الإعلام..... ١٧٨
أسلوب الوقاية فى وزارة الداخلية ١٧٩
دور المختارين في المناطق السكنية..... ١٧٩

دور الشرطة المجتمعية ١٨٠
التنسيق الإقليمي والعالمي للأجهزة الأمنية: ١٨١
التنسيق على المستوى العربي: ١٨٣
العوامل الاقتصادية والإرهاب ١٨٥
أولًا: أهمية اهتمام الإسلام بالعوامل الاقتصادية: ١٨٧
ثانيًا: إهمال الجوانب الاقتصادية من قبل مفكري وعلماء المسلمين والدول الإسلامية بصفة عامة: ١٩١
ثالثًا: الوضع الاقتصادي الحالي في العالم العربي..... ١٩٢
رابعًا: نتائج ضعف الاهتمام بالعوامل الاقتصادية في العالم العربي: ١٩٦
خامسًا: الإرهاب والعوامل الاقتصادية: ١٩٧
سادسًا: الحلول المقترحة:..... ٢٠٠
العلاقات الإيرانية - العربية في ظل تداعيات ثورات الربيع العربي.... ٢٠٣
أولًا: المنهج العملي للسياسة الإيرانية في التعامل ٢٠٩
ثانيًا: مدى تأثر إيران داخليًا بموجة الثورات..... ٢١٣
ثالثاً: الانقسام الإيراني حيال الثورات العربية وتداعياتها..... ٢٢٠
مكانة رجال الدين في ظل التقرب من الولايات المتحدة الأمريكية ٢٢٥
رابعًا: الثورات العربية والمصالح الإيرانية..... ٢٢٦
١-الثورات العربية تخلق فرصًا جديدة لإيران:..... ٢٢٧
أ - تأسيس شرق أوسط إسلامي بقيادة إيران:..... ٢٢٧

ب- دعم العلاقات مع الدول التي سقطت أنظمتها ٢٢٨
ج- تحقيق مزيد من التقدم في البرنامج النووي..... ٢٣١
٢-الثورات العربية تفرض تحديات محتملة..... ٢٣٢
١-تحديات أمام مشروع الشرق الأوسط الإسلامي..... ٢٣٤
٢-علاقات فاترة مع قوى الثورة..... ٢٣٦
٣-مخاطر سقوط النظام السوري..... ٢٣٧
٤-تبلور ملامح موقف خليجي موحد تجاه إيران..... ٢٤٤
٥- البرنامج النووي يدخل مرحلة حرجة..... ٢٥١
٦- توتر متصاعد مع تركيا..... ٢٥٤
الاستنتاجات..... ٢٥٧